

# اجعل كل يوم رائعتك

ولا تسمح للحصان الذي تمتطيه بأن يكف عن  
الصهيل والركض!

نضحات من العوالم المسحورة والشاسعة لطفل كبير  
مشاكس أسميته "صخر"!

عبدالله بن سعيد الصانع

٢  
عبدالله سعيد علي الصانع، ١٤٣٦هـ  
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصانع، عبدالله سعيد علي

اجعل كل يوم رائعتك ولا تسمح للحصان الذي تمتطيه بأن يكف عن الصهيل  
والركض. / عبدالله سعيد علي الصانع. - الرياض، ١٤٣٦هـ

٤٢٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٨٨٦٤-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- النجاح ٢- الثقة بالنفس ٣- الشخصية أ. العنوان

١٤٣٦/٧٥٦٢

ديوي ١٥٨,١

رقم الايداع: ١٤٣٦/٧٥٦٢

ردمك: ٢-٨٨٦٤-٠١-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

تصميم: محمد بن عبدالله

des.mag07@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## فهرس المحتويات

| الموضوع  | رقم الصفحة | الرقم المسلسل |
|--|------------|---------------|
| العنوان  | ١          | أ             |
| فهرس المحتويات   | ٥          | ب             |
| الإهداء  | ٩          | ج             |
| شكر وتقدير   | ١١         | د             |
| قبل البدء: كلمة وتوضيح   | ١٣         | هـ            |
| اجعل كل يوم رائعتك، ولا تسمح للحصان الذي تمتطيه بأن يكف عن الصهيل والركض | ١٥         | ١             |
| ابتسم، واشعل شمعة بدلاً من لعن الظلام                                    | ٢٧         | ٢             |
| ارتق ثقوب قلبك   | ٣٣         | ٣             |
| التوقعات العظيمة: حبة.. حبة  | ٣٧         | ٤             |
| الحلقة المفرغة   | ٤٧         | ٥             |
| الحلوة   | ٥١         | ٦             |
| الحياة على وعد!  | ٥٥         | ٧             |
| جسور للتواصل والحب   | ٦٣         | ٨             |
| الحياة مغامرة جريئة أو لا شئ!  | ٦٩         | ٩             |
| المأزق المزدوج!  | ٧٥         | ١٠            |
| المحاة التي تزيل آثار الماضي الأليم                                      | ٨١         | ١١            |
| أنا ثم من بعدي الطوفان!  | ٨٩         | ١٢            |
| انكسار قلب   | ٩٣         | ١٣            |
| بحور الأمانى: كل ما يتمنى المرء يدركه                                    | ٩٩         | ١٤            |
| كن صديقي   | ١٠٥        | ١٥            |
| الفوص في سحابة سحرية   | ١١٧        | ١٦            |
| دروس من الحياة   | ١٢٧        | ١٧            |
| دع الأزهار تتفتح   | ١٣٩        | ١٨            |

| الموضوع   | رقم الصفحة | الرقم المسلسل |
|---|------------|---------------|
| دع النور يسطع بداخلك  | ١٤٥        | ١٩            |
| دعوة لاعتقال اللحظات الحقيقية الهاربة                                 | ١٥١        | ٢٠            |
| دعوة لممارسة التفكير الايجابي الخلاق                                  | ١٥٩        | ٢١            |
| دعوة للنجاح   | ١٦٧        | ٢٢            |
| رشة عطر   | ١٧٧        | ٢٣            |
| سحر التحفيز: وصفة لاطلاق الطاقات الكامنة لدى الموظفين                 | ١٩١        | ٢٤            |
| طفلنا الغائب  | ١٩٩        | ٢٥            |
| عناقيد الغضب  | ٢٠٥        | ٢٦            |
| عندما ينفق الحصان فانزل من على ظهره!                                  | ٢١٢        | ٢٧            |
| قبل فوات الأوان   | ٢١٩        | ٢٨            |
| قلوب لا تكف عن التمني والحلم  | ٢٢٥        | ٢٩            |
| كن رحيماً وبتلقائية افعل ما هو جميل                                   | ٢٣١        | ٣٠            |
| كن صبوراً   | ٢٣٩        | ٣١            |
| كن متطوعاً  | ٢٤٢        | ٣٢            |
| كن مرحاً  | ٢٥١        | ٣٣            |
| كيف تخلع معانٍ إيجابية على الحياة التي تعيشها؟!                       | ٢٥٧        | ٣٤            |
| كيف نغري عصافير السعادة بأن تحط على شرفاتنا؟!                         | ٢٦٣        | ٣٥            |
| لا تترك الأعشاب الضارة تنمو حول بروق حبك                              | ٢٧٥        | ٣٦            |
| لا تحبس العطر في زجاجة  | ٢٨١        | ٣٧            |
| لا تكن مثل هذا!!!   | ٢٨٥        | ٣٨            |
| لست وحدك!   | ٢٩١        | ٣٩            |
| منح لا محن، ودروس لا فواجع في المدرسة التي لا تغلق أبوابها ((الحياة)) | ٣٠٣        | ٤٠            |
| هل أنت مفكر ايجابي؟   | ٣٠٧        | ٤١            |

| الموضوع                                    | رقم الصفحة | الرقم المسلسل |
|--|------------|---------------|
| هل تجرؤ على النطق بهذه الكلمات النورانية؟! | ٣٢٥        | ٤٢            |
| هل تحب ذاتك؟                               | ٣٣١        | ٤٣            |
| هل تخطط لحياتك؟                            | ٣٣٥        | ٤٤            |
| هل تعاني من متلازمة إرضاء الآخرين؟!        | ٣٥٥        | ٤٥            |
| هل تمتلك إرادة عيش الحياة الفعالة؟!        | ٣٦١        | ٤٦            |
| هل سألت نفسك هذه الأسئلة الهامة؟           | ٣٧٧        | ٤٧            |
| هنا آخر الشوط!                             | ٣٨٥        | ٤٨            |
| واحد، شاييف نفسه!                          | ٣٨٩        | ٤٩            |
| كم رصيدك؟                                  | ٣٩٧        | ٥٠            |
| على ماذا أسدل الستار؟                      | ٤٠٣        | ٥١            |
| أبداً لا تستسلم                            | ٤١٧        | ٥٢            |







## الإهداء

إلى الحب الكبير في حياتي.

إلى التي أتشرف بالتصريح بحبي "العظيم"  
لها، وينطوي قلبها الشفيف على حب "كبير" لي، هو  
من أؤمن ما أملك في هذه الحياة.

إلى أمي الحبيبة/ فاطمة بنت عبدالله بن  
علاس (منسيّة) أمد الله بعمرها على الطاعة، التي  
شاركت بفعالية غير إعتيادية في تأهيلي للعيش في  
العوالم المسحورة، وأعدّتي للاحتفاء اليوم بهذه  
المعاني، البسيطة، لكن الأصيلّة.

مع شديد الأسف، لن تتمكني أيتها الحبيبة  
الغالية من قراءة هذه المعاني، لظروف استثنائية  
قاهرة خارجة عن إرادتك الصّلبة، وكأثر لتقاعسنا  
نحن أولادك عن تعليمك، لكن يكفي أن سيرتك  
العطرّة تجسّد لها، وعيشك المبارك على أديم الثرى  
تشخيص لها ولكل جميل.

متعك الله بالصحة والعافية، وأحسن خاتمتك  
على الطاعة.. يا ملكة قلبي.

وابقي حبي الكبير.

الصغير في مدرستك العظيمة.. ابنك المُحبّ/ عبدالله

الخميس ٢٣ / ٧ / ١٤٣٨هـ الموافق ٢٠ / ٤ / ٢٠١٧م

الرياض





## شكر وتقدير

بفخر وامتنان واعتزاز كبيرين أزجي خالص  
الشكر والتقدير لله تبارك وتعالى أولاً، ثم لابني الكريم  
الأستاذ/ محمد بن عبدالله.. يحفظه الله الذي تُعدُّ جهوده  
المباركة علامة فارقة أسهمت لأن يخرج هذا العمل للنور،  
ومن قبله الجزء الأول من كتابي الموسوم: "من هدايا  
عقلي الباطن"، سواء من حيث تقبُّل العمل، والاندماج  
في أدائه بعشق، وحب كبيرين، يسمان شخصيته العاشقة  
لكل جميل، أو بالمبادرة لتذليل العقبات التي كانت حتماً  
ستثنيني عن إتمام إنجازهِ، لو كنت وحدي، أو فيما يتصل  
بوضع التصاميم الداخلية، والخارجية للكتاب، وتنسيق  
مادته، والإعداد للنشر، ووضع مواصفات الطباعة،  
والتنسيق مع دور النشر والتوزيع، ومن ثم متابعة أعمال  
الطباعة، ومراجعة البروفة إلى غير ذلك من الجهود  
الفنية، والإدارية التي لا أعرفها، لكن الله تعالى وحده  
القادر على إحصائها، ومكافأة الحبيب الغالي على تميزه  
في أدائها، وجودته في إتقانها.

أشكر الابن الحبيب من أعماق قلبي، وأسأل الله  
مخلصاً أن يبارك له في عمره، وعلمه، وعمله، وأن يمتعه  
بالصحة والعافية، ويمدّه بعونه، وتوفيقه، وأؤكد أنني  
برفقته، وقربه لا أحس أنني وحيداً، وهذا كسب لي،  
وأتمنى أن يكون له أيضاً، أدامه الله حباً، وذخراً، وفخراً.

وأحمد الله جلت قدرته على أنني تأخرت في نشر ما كتبت حتى هذا الوقت، الذي صار فيه محمد مؤهلاً في مجال التصميم، لأستفيد من خبرته ما أؤكد بلا مجاملة أو تحيز أنه يُعد إضافة قيمة جداً لجهدي المتواضع، لدرجة أعده شريكاً في النجاح، بينما أعدني المسئول الوحيد عن الفشل - إن قدر الله أنه كائن.

تجدد الإشارة إلى أن مادة هذا الكتاب كانت شبه جاهزة ومحفوظة في ملفات خاصة منذ ثمان سنوات تقريباً، وترددت في نشرها، وصدق الله القائل: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. شكرًا بدفء الكون يا محمد.



## قبل البدء: كلمة وتوضيح

ارتكاب فعل الكتابة مغامرة، في بادئ الأمر تكون لعبة وتسلية وترفيهاً عن الذات، ثم تصبح عشقاً، وكقطرات ماء، تنسكب حروفنا من شلال الأبجدية المتدفق، إلى هاوية المجهول. فلا نحن نختر توقيت انسكابها، ولا سرعة ملامستها لوجدان المتلقي الكريم، وبالتالي تفاعله معها بالقبول، أو الرفض.

الذي نختره أنها تنسكب بأمل تحصيل صدق مأمول، وتحقيق هدف مبتغى منشود، ونيل فائدة مرتجاة. هي تنسكب بالصدق الصادر من الطفل الفضولي الشاسع الذي يقبع في الأعماق، ودوماً يمتشق أجنحة الأبجدية هرباً من النمطية والرتابة، والاعتيادية، والتفاصيل المملة للحياة، هرباً من حقيقة التلبُّس بالوحدة الصقيعية في هذا العالم الشاسع، أملاً بتشرنق القلب بعاطفة تجلب الدفء، وتسد الجوعة للنفهم، والحنان، والمشاركة.

إن هذه الكلمات جاءت عضو الخاطر، وأتيح للمرة الأولى في هذه اللحظة المباركة لها فرصة معانقة أنظاركم الكريمة ووجداناتكم الشفيفة، ليس إيماناً مني بأهميتها، فهي قد لا تكون مهمة أبداً، إنما هي محاولة من المحاولات المستمرة لكسر العزلة الصقيعية، وهي استماتة صادقة لإيصال الصوت النقي، والمدلول الإنساني العميق، الذي يُعبّر عن نبضنا، ويتلمس مشكلاتنا، ويضئ الطريق أمام خطواتنا المرتعشة،

والخائفة، والوجل. إنها محاولة جديدة لترك بصمة إصبع، وتوقيع قلب، على ستارة مسرح الحياة والحب والأمل، قبل أن تنسدل. فأهلاً بكم في العوالم الشاسعة لطفل عذب الوجدان أسميته عند بدئي الكتابة "صخر"، وعلى طريقتنا في قبيلة غامد التابعة لمنطقة الباحة في بلادي الحبيبة: المملكة العربية السعودية.. مرحباً هيل عدّ السيل.. مرحباً تراحيب المطر.

عبدالله

# 01



اجعل كل يوم رائعتك، ولا تسمح  
للحصان الذي تمتطيه بأن يكف  
عن الصهيل والركض





الأحلام التي يجمع الخيال إلى التلبس بها كثيرة، وهي كثيرة الآمال والتطلعات التي تهفو النفس البشرية إلى تحقيقها، وهي كثيرة كثيرة أيضاً الأهداف التي يضعها الإنسان لنفسه و صوب عينيه لتغطي جوانب حياته المختلفة، ما كان منها فيه إرضاء لربه جل في علاه، أو اتباع لهدي نبيه صلى الله عليه وسلم، أو ما كان له صلة بحب نفسه وترقيتها روحاً وجسداً، عقلاً وعاطفةً، إحساساً ووجداناً، أو البر بالوالدين الكريمين، أو الوفاء للزوجة أو الزوج، أو رعاية الولد، أو الإخلاص في العمل الذي ينفذه خدمة للدين والوطن والأمة، أو الإحسان إلى ضعيف، أو الإسهام في جهد تطوعي لإحداث تنمية مستدامة وتحسين أحوال تستحق، أو التواصل بالآخرين من حوله، أو غير ذلك من الأمور، مما لا يمكن حصره ولا عدّه، في هذا العالم الذي تشرق أنواره علينا كل صباح، وتُظللنا أسراره وخباياه في كل حين، وكل لحظة من لحظاته حُبلى بالتوقعات والتطلعات والآمال، ما كان منها طيباً، وما كان سيئاً، وكل حدث من أحداثه يقودنا إلى الرضا، أو إلى السخط.

الأحلام كثيرة، أكان الإنسان الحالم شخصاً عادياً ذا إمكانيات متواضعة، أم كان ذا شأن خطير ومقام رفيع، أو كان بين ذلك وذلك، صغيراً كان أم كبيراً، ذكراً كان أم أنثى، طالباً أم معلماً، عاملاً أم موظفاً، من خاصة الناس أو من عامتهم، على اختلاف ملهم ونحلهم وثقافتهم ومشاربهم، وتنوع أجناسهم وجنسياتهم وبيئاتهم، وتبدل اهتماماتهم، وتباين أذواقهم وميولهم ورغباتهم.

وعندما يفشل بعض الناس أحياناً في تحقيق بعض أهدافهم، أو

في الوصول إلى بعض تطلعاتهم وأمانيهم ورغباتهم وأحلامهم، لا يكون ذلك -عند التأمل في أحوالهم وسبر أغوارهم- بسبب نقص قدراتهم ومهاراتهم وإمكانياتهم وكفاءاتهم، بل بسبب تلبسهم بنقص خطير لا يسوغ التلبس به، والاتصاف بصفة سيئة لا ينجح المتصف بها، وهي القنوط والاستسلام واليأس.

قد يكون لدى أحدهم حلمٌ قوي وأمنيةٌ غالية، ثم ينكب على دراسة الكثير من العلوم والمعارف والمعلومات المرتبطة بحلمه القوي وأمنيته الغالية، ويُنفق الكثير من المال والوقت والجهد لتحسين مهاراته وتطوير قدراته، والتدريب على البرامج ذات الصلة بها، ووضع حلمه وأمنيته موضع التنفيذ، ثم عند تحقق أول عارض صعوبة أو فشل لجهوده ومحاولاته، وبعد أن يُمنى بأول سقوط، يتوقف عن المحاولة، ويرفع راية الاستسلام لهذه النتيجة غير المستحبة، ويكف عن بذل الجهد، والعمل، والعناء.

إن من الممكن أن تكون درجة حماسة الإنسان ورغبته في العمل عالية جداً، ومن الممكن أن تكون طاقته كبيرة للغاية، ونشاطه لا يوصف، وأن يكون لديه المعلومات الوفيرة والأهداف والاستراتيجيات المحددة، والخطط والبرامج والسياسات والإجراءات الواضحة، وأن يكون حلمه بتحقيق هدفه مستمراً، ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، ومن الممكن أن يضع حلمه موضع التنفيذ وأن يتسم بالإيجابية في توقعاته، لكن إذا لم يكن عنده القدر الكافي من الإلتزام لمواجهة الصعاب والصمود أمام التحديات والموانع والعقبات التي قد تعترضه في الطريق، فإن محاولاته ستبوء بالفشل ولا بد، وستذهب جهوده أدراج الرياح، وتكون أثراً بعد عين.

إن من الواضح جداً لمن يحاول دراسة سير الرُّسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والصالحين والمصلحين رضوان الله ورحمته عليهم، والعظماء والناجحين عموماً جزى الله المسلمين منهم خير الجزاء وشكر لغيرهم، ويحاول سبر أغوارهم والتفكير في شؤون حياتهم، يجد أنه كان عند الكثيرين منهم في كثير من الأحيان أسباباً قوية وظروفاً مؤثرة تدفعهم للتراجع عن تحقيق رسالاتهم وطموحاتهم وأهدافهم، وواجه غير قليلٍ منهم عقبات كثيرة، ومصاعب شتى، كادت أن تطوِّح بآمالهم، وتعرضوا للهبوط في عزائمهم وأرواحهم المعنوية، وفقدوا بأسباب الدخول في معارك التغيير التي خاضوها أعز أحبائهم وأصدقائهم، وحققوا في بعض الأحيان خسائر مادية ومعنوية أدت إلى إفلاسهم المعنوي أو المادي أو وضعتهم على شفير الإفلاس، وأفقدتهم الكثير مما حققوه من مكاسب وأرصدة لدى القلوب، وعلى أرض الواقع.

لكنهم لم يستسلموا ولم ييأسوا، ولم يركنوا إلى الدعة ولا إلى الخمول ولا إلى الكسل، لم يتركوا أحلامهم، ولم يتخلَّوا عن مُثُلهم وقيمهم وأهدافهم ومبادئهم، بل كانوا مقتنعين بأن تجربة واحدة أو عدة تجارب لا تكفي لتحقيق رسالاتهم، وأهدافهم، وأحلامهم، وأمانيتهم، وتطلعاتهم، فكرَّسوا حياتهم لتحقيق ما انتووا تحقيقه، درسوا أسباب الفشل ومواقع الخلل، وشخَّصوا العِلل والأمراض وأماكن الألم، واستخلصوا الدروس والعِبَر من التجارب، وأعادوا التجريب مرات ومرات، بنفس الأساليب أحياناً، وبأساليب مختلفة في أحيانٍ أُخرى، حتى نفع الله بجهودهم، وتحقق على أيديهم ما تآقت أنفسهم إلى تحقيقه،

وانتفعت أمهم من نفحات وتجليات عقولهم، وحصائد ألسنهم، وفعال أيديهم، وثمار بيادهم، ونتاج كدهم وكدهم، ووصبهم ونصبهم.

إنهم يملكون قوة غير اعتيادية تدفع من يملكها إلى الاستمرار في أداء مهمة معينة، أو وظيفة مختارة، أو إنتاج منتج معين، أو أداء خدمة أو خدمات ذات أطر ومعالم واضحة ومحددة، أو إيصال رسالة معينة، يملكونها حتى في ظل أحلك الظروف الصعبة التي يمرون بها خلال معافستهم لهذه الحياة، ومداراتهم لمن فيها من أحياء، خلال سيرهم على أديمها، واصطلائهم بوهج لهيبها، وتدوقهم للمرارة القليلة أو الكثيرة المتأتية من أحداثها.

إنهم يملكون قوة دافعة تقودهم إلى أداء أعمال عظيمة، وإنجازات ضخمة، وأفعال إستثنائية، يشرفون بإبقائها خلفهم بعد مغادرتهم لمسرح الحياة، ويعتزون بتسطير عظمتها في سجلات التاريخ الذي لا ينسى ولا يكذب.

إنهم ملتزمون بتعهدات قوية يفرضونها على أنفسهم بهدف تغيير الأشياء الاعتيادية في حياتهم لتصبح أشياء ممتازة وغير اعتيادية، والمساهمة في تغيير من لهم صلة به، حتى يُصبح من ذوي الشأن العالي، والمكانة الرفيعة المحمودة، والحياة الفاعلة، ذات النكهة المميزة، والمذاق الحلو.

إنهم يتوافقون على قوة جبارة بواسطتها تُخرج من داخل الإنسان جميع القدرات الكامنة لتكون تحت تصرفه وتصرف مجتمعه ووطنه وأمتة فيسعد وتسعد البشرية بها.

## إنهم يملكون زمام "قوة الالتزام".

هذه الصفة العظيمة التي على طريقها ينبغي على الإنسان المسلم أن يُعاهد الله تعالى ثم نفسه على الالتزام بأهداب الدين الإسلامي الحنيف، والالتزام بالقيم الأصيلة، والمبادئ السامية، والأخلاق النبيلة، المُستقاة من أنوار الرحيم الرحمن، ثم من مشكاة النبوة، وهدى خير الخلق صلى الله عليه وسلم، الصفة التي تُقربُه من رضا الله وتُبعد عنه سخطه جل وعلا، التي تُقربُه من رضا الحبيب صلى الله عليه وسلم وحبه، وتُسهم في أن يكون وجوده في الحياة إضافة لها لا عبئاً عليها وعلى من فيها.

إنه الالتزام الذي بموجبه يُعاهد الإنسان الله تعالى على أن يكون شخصاً متميزاً بين أفراد أسرته ومجتمعه، فيعمل على تحسين علاقاته بهم، والتقرب إليهم، وتقريبهم إليه، بشتى الطرق والوسائل الممكنة والمتاحة يبحث عن رضا والديه، يعمل على البرّ بهما، وطاعتهما، وتقديم العون والمساعدة لهما، والاستماع إلى توجيهاتهما والاستفادة من نصائحهما، وخبرتهما المتراكمة عبر السنين.

الالتزام الذي بموجبه يهتم المرء برعاية زوجه وأولاده، فيُسهم في تبصيرهم بأخطار رياح العولمة التي تهب منذ فترة على مجتمعاتنا كما المجتمعات البشرية جمعاء، فتُسهم في زعزعة استقرار الأسر، وبث روح العداء في العلاقة بين الزوجين وبينهم وبين أولادهم، ويُسهم في حمايتهم من تغلغل الأفكار الغربية المضلّة التي يتشدد بها هؤلاء القوم، بينما لا يُعيرونها اهتماماً، عندما تختص بالإنسان

المسلم، كالعدالة، والحرية، والمساواة بين بني الإنسان رجالاً ونساءً،  
شباباً وشباباً.

الالتزام الذي بموجبه يُساعدهم على تجنب القيم التي تدعو  
إلى التحلل والإباحية والاستسلام للشهوات، والفرق في المذات، وغياب  
الأهداف الأخروية الأسمى، وغير ذلك من أركان المنظومة الثقافية  
الغربية، المُدمرة للعلاقات الأسرية، التي أخذت الأسر المسلمة تجني  
ثمار التخلُّق بها، مما أدى إلى تفكُّكها وزيادة حالات عدم الانسجام،  
والعقوق، والقطيعة، وعدم التواصل بين أفرادها، وزيادة حالات العنف،  
والإيذاء الجسدي، والمعنوي، والطلاق، والانتحار، والعزوف عن الزواج،  
والبطالة، والرشوة، والفساد، وتعاطي المسكرات، والمخدرات، والدخان،  
والتسرب من المدارس، وممارسة الجريمة، والإرهاب الفكري والمادي،  
إلى غير ذلك من الآثار السلبية التي لا يُحصيها إلا الله تبارك وتعالى.

الالتزام الذي بموجبه يُوفّر لهم الدفء الأبوي والإشباع العاطفي  
والنفسي اللازم كي يعيشوا حياة مستقرة سعيدة وينموا نمواً سليماً،  
ويُسهم في تبصيرهم وحمايتهم من السيل الغزير من البرامج المنهمرة  
عبر الإنترنت، والفضائيات، والصحف، والمجلات، وغيرها من الوسائط  
الإعلامية والتقنية، التي تُهدّد مستقبل الأسرة، لا سيما النشء، وتحمل  
قيماً غربية غريبة، لا تمتُّ بصلة لديننا الإسلامي الحنيف، وأنماط من  
السلوك تقوم على التحرُّر من كل المبادئ، والقيم، والتقليد لكل ما هو  
منحط، وتافه، ونبذ لكل ما هو أصيل عميق الجذور، وممارسة العنف،  
والتخلُّق بخلق الأنانية، والنفعية، والحرص على حظوظ النفس، وانتهاج  
أسلوب الاستهلاك الترفي، والإغراق في المذات.

الالتزام الذي بموجبه يُعاهد المرء نفسه على الذهاب باكراً إلى عمله، والاستفادة من كل وقت وظيفته، فيما يُحقّق الصالح العام، ويرتقي بمهاراته، التي تحتاجها أمته، ويُعاهد نفسه على الالتزام بأداب عمله، وأخلاقيات وسلوكيات مهنته، وتأدية ما يُطلب منه، بإخلاص، وفاعلية، وتفان، وفق ما يُرضي الله جل وعلا أولاً، ثم وفق الأخلاقيات المرعية للمهنة، أو الوظيفة التي يتسنىها، وبصرف النظر عما قد يحصل عليه من امتيازات وحوافز، ويعمل على تكوين زمالات عمل جيدة وممتينة، وصدقات حياة مؤثّرة وحميمة، تكون مبنية على القيم الفاضلة، والأخلاق النبيلة، وتُراعي تبادل المصالح والمنافع، وتنتهج منهج الابتعاد عن جلسات الحقد، التي تكثر فيها الغيبة، والنميمة، والشايات، والأحاديث السلبية، عن الرؤساء، وزملاء العمل، والأصدقاء، والإخوان، والأخوات، وكل من له بهم صلة، ويحرّضهم على الامتناع عن تمضية أوقات الوظيفة وغيرها في قراءة الأخبار الفنية، والرياضية، وتتبع الشائعات والتوافه، عبر الجرائد والمجلات وعبر المواقع الإلكترونية التافهة.

الالتزام الذي يُلزم المرء نفسه بالسعي إلى تحقيق أهدافه، والتركيز على ما يتم من خلاله تحقيق نتائج إيجابية، تُسهم في نمائه، ومن حوله، ويعمل على تنمية مهاراته، وتطوير قدراته وخبراته، من خلال القراءة، والاطلاع، ومشاهدة والاستماع إلى البرامج المفيدة التي تبثها وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمرئية والمسموعة، وحضور الندوات، والمحاضرات، والمؤتمرات المتخصصة، والاستفادة من المناشط والفعاليات، وخبرات زملاء العمل، التي ترفّد ثقافته، وتزيد

من علمه، والتي تمكنه من تتبّع سير الناجحين في الحياة، للاستفادة من طرائق تفاعلهم مع الحياة، وسبل تحقيقهم للنجاح، ومن أبرزها التخلُّق بالتفكير الإيجابي، ونبذ التشاؤم، واليأس ووجود رسالة حياة سامية، وأهداف نبيلة محددة وواضحة المعالم، وأساليب حديثة تتواءم مع معطيات العصر، ولا تنبذ القديم بسبب قِدْمه، ومد يد العون قدر الإمكان للمحتاجين مادياً ومعنوياً، انطلاقاً من أن الكلمة الطيبة صدقة، وكذا الفعل الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كذلك، وهكذا.

الالتزام الذي بموجبه يهتم المرء بصحته من خلال تناول الأغذية الصحية، والابتعاد عن كثرة الأكل والشرب، ويهتم بممارسة التمارين الرياضية بانتظام، وزيارة الطبيب عند الحاجة وبشكل منتظم، والابتعاد عن ممارسة أي عادات سيئة كشرب الدخان، أو المسكرات، أو تعاطي المخدرات، أو الدخول في علاقات جنسية، أو عاطفية محرمة.

الالتزام الذي بموجبه يبذل كلاً منا قُصارى جهده، فيبدأ التخطيط لجهوده، وتنظيم نفسه، وأوقاته، ويبدأ العمل والتنفيذ، حتى وإن كانت البداية صغيرة ومتواضعة، فالصغير ينمو، ويصبح بعون الله كبيراً، وقليل دائم خير من كثير منقطع.

الالتزام الذي يُشجعه على أن يفكّر على مستوى كبير، وبشكل شامل يربط من خلاله أحداث ووقائع الماضي، بالحاضر، بالمستقبل، لا يكف عن الاعتقاد أنه إنسان كبير، خلقه الله تعالى لحكمة عالية، واستخلفه في الأرض لتحقيق أهداف سامية، ومقاصد نبيلة، ويعمل



بتصميم على اجتياز العقبات، وتجاوز المصاعب، ويستثمر كل ما عنده فيما يعود عليه بالنفع، والفائدة، وأن يكون دائماً على استعداد للتصرف مع توقع العقبات، ولكن لا تستغرقه الظروف الصعبة الحاضرة، ولا يسمح لها بمنعه من التقدم.

الالتزام الذي يدفعه ليستمر في العطاء والمحاولة دائماً، وبدون يأس ولا عجز، فلا يوجد في العالم شئ يمكنه أن يحُل محل العزيمة، والإصرار، ولا يوجد مستحيل لمن يتلبس بلبوس الأمل، والتفاؤل، والعمل الجاد المخلص، فالمكان الوحيد الذي تصبح فيه أحلامنا مستحيلة هو داخل أفكارنا، وما يستطيع الإنسان أن يحلم به يستطيع تحقيقه، ومن سيعمل على تغيير أفكاره، ستتغير حياته، بإذن الله تعالى، ووفقاً لمشيئته جل وعز.

الالتزام الذي يتأكد كلاً منا من خلاله أن الموهبة وحدها لا تكفي لتحقيق النجاح، فهناك كمٌ كبير من الفاشلين من ذوي المواهب، والذكاء وحده لا يكفي للفوز بمعارك الحياة، وكثير من الأذكاء لم يجنوا الخير من وراء ذكائهم فقط، والتعليم وحده لا يكفي، فالعالم ملئ بالمتعلمين عديمي الجدوى، ولكن من خلال هذه المهارات وغيرها مجتمعة، ومع الإصرار والتصميم والعمل الجاد المخلص تكون القدرة على تحقيق كثير من الأمور أجلى وأكثر، بإذن الله تعالى، وبعد توفيقه جَلَّ وعَزَّ.

الالتزام الذي يدفع بكل إنسان منا إلى أن يُجاهد نفسه حتى آخر نفس في حياته، بالوسائل المشروعة والطرق الممكنة، ليكون لديه

أهداف يريد بقوة تحقيقها وأهمها الدخول في الجنة بإذن الله تعالى، ثم ليتعرّف على طرائق الوصول إلى هذه الأهداف وتحقيقها ووصفها بالدقة اللازمة وبالتفاصيل الضرورية، بعدئذ يُعطي كل ما لديه من جهود وعمل لا يعرف الكلل، ولا الملل، وقبل كل ذلك يقرّ في داخله الإيمان العميق بما سيفعل.

وإذا استطاع تكوين الحلم في ذهنه وزرعه في قلبه، فلا يدع فرصة لشكوكه أن تُخمّده، فالشيطان حريص على تخريب الجهود، وتبديد الطاقات والإمكانات، وتضييع الفرص، ورفقاء السوء أحرص، والنفس أمارة بالسوء وحريصة هي الأخرى على الدعة والخمول والكسل والتعاطي مع صفائر الأمور وسفاسفها، لكنه لا ينسى أن الحلم يمكن أن يكون واقعاً، وأن أشعة الشمس لا تصل إلى درجة الحريق إلا إذا تم تركيزها عن طريق المجهر على شكل حزمة ضوء.

احرص على أن تجعل كل يوم رائعتك، وإذا سقطت وترديت أثناء سعيك في المضمار، فارفع نفسك عن الأرض، وانفضّ عنك ما علق بك من الأتربة والغبار، وابدأ من جديد في الركض مرة أخرى، ولا تسمح للحصان الذي تمتطيه بأن يكفّ عن الصهيل والركض.

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

02



ابتسم، وأشعل شمعة بدلاً من  
لعن الظلام



يقول المُجربون أن الابتسامة الصادقة باب مُشرع للحياة الهانئة السعيدة، وهي تتيح له نفسية أفضل للإنتاج والعطاء، وهي تمدّه بطاقة جبارة لاحتمال المسؤوليات الجسام ومواجهة المشكلات الكبيرة والصعوبات الخطيرة.

لكن المتأمل في وجوه الكثيرين ممن حوله يجد أنها غاضت منها الابتسامة، وارتسم عليها التقطيب والعبوس، هذا بالرغم من النعم التي يتمتع بها هؤلاء، سواء ما يتصل منها بالمأكل، أو المشرب، أو الملابس، أو المركب، أو الصحة، أو العائلة، أو المال، أو التعليم والمعرفة، أو المنصب، أو الجاه الاجتماعي، أو غير ذلك من الإمكانيات المادية والمعنوية التي أمد الله تعالى بها كثير من الناس.

ومع أن طبيعة الإنسان السوي أن يكون بسّاماً مستبشراً متفائلاً، إلا أن الابتسامة لا تجد أحياناً إلى شفطي البعض سبيلاً، إما بسبب المرض، وهنا لا يُعد الأمر مُستنكراً، أو لسوء التربية والتطبّع بالطبع المكتئب والتلبس بلبوس الكآبة والتشاؤم، أو لكثرة الاشتغال بالحياة وما ينجم عن التعاطي معها من مشاكل، أو بسبب الأنانية في التعامل مع الآخرين، إلى غير ذلك من مُعكّرات الصفو ومُكدّرات المزاج.

لكن عندي أن المسألة تتمثل بالدرجة الأولى في أسلوب حياة المرء وطريقة تفكيره، فعندما ينظر أحداً للحياة بعين الأمل والتفاؤل يجد أن الحياة جميلة ورائعة وتستحق أن تُعاش بفرح وحب وابتسام، والعكس إذا نظر إليها نظرة سوداوية متشائمة، وبالمثل عندما يتعاطى مع أشخاصها وأحداثها بحب ومرح يجد أن الأمور تمر بسلاسة

وانسيابية، والعلاقات تنمو بتؤدة وثبات، والحب والتسامح والمشاعر الطيبة تشيع في الأنفس وبين المتعاملين.

وعلى هذا يكون بإمكان الإنسان إذا قرَّر أن يكون ما يريد، شقيماً أم سعيداً، بساماً أم متجهماً عابساً، فرحاً أم مهموماً، متشائماً أم متفائلاً، قنوطاً، أم آملاً.

ولأن الحياة فنٌّ يُمكن تعلمه فخير للإنسان أن يعمل على أن يكون سعيداً، لا شقيماً، باسماً، لا متجهماً عبوساً، وبالجملة: إيجابياً لا سلبياً.

ما أروع أن يستخدم أحدنا حواسه في التعامل مع ما هو مُبهج ومُدخّل للسرو إلى النفس.. لا يحرم نفسه من مشاهدة الورود والأزهار، ولا الخضرة والأطيّار، لا يكون جدياً بصرامة، ولا هازلاً حد السُخف، لا يحرم نفسه من فتح نظره على مباحج الحياة، ولا يجعل كل همّه كسب الريال والدرهم والدينار والدولار، يخلط الجُد بالهزل، والبشاشة بالصرامة.

ما أحلى أن يتعامل الإنسان مع المحنّ على أنها منّح، والتجارب الفاشلة على أنها دروس وفُرصٌ للتعلّم والاستزادة من المعرفة والخبرة، لا مزالِق إلى الفشل، ما أحلى أن يعتقد في قرارة نفسه أنه مخلوق عظيم ومميز ومختلف، له رسالة في الحياة وأهداف سامية ومقاصد نبيلة يعيش لتحقيقها، يبتعد عن الشعور بالحزن والكآبة، واليأس وفقدان الأمل، يشغل نفسه بمعالي الأمور ويرتفع عن الانشغال بسفسافها، يُلزم نفسه بالتوقف عن البحث عن أخطاء الناس ومعاييبهم، يُجالس

المتفائلين والخيرين، ويبتعد، بل يفر فراره من الوحوش المفترسة عن مجالسة المتشائمين، اليائسين، المحبطين، العابسين.

ما أجمل أن يُعوّد المرء نفسه على التخلُّق بالأخلاق الحميدة، كالْحلم، والأناة، والصبر، والحب، والصفح، والتسامح، والرضا والقناعة بما قسم الله له، وأن يكف شرّه عن الناس، ويعمل ما وسعه الجهد على أن يكون مصدر خير وسعادة وعون لهم.

ما أجمل أن تكون نفس كلاً منا شمساً مشّعة للضوء والحب والخير، وأن يكون قلبه مليئاً بالرحمة والعطف واللطف، والرقّة، والحنان، والبرّ، والإنسانية الشفيقة، وحب إيصال الخير لكل من اتصل به وتعامل معه.

ما أجمل أن يشيع كلاً من الابتسام فيمن حوله، ويعمل بإخلاص وتفان على إشعال شمعة بدلاً من لعن الظلام.





03



ارتق ثقبوب قلبك



دائماً يميل الإنسان إلى طريقة معينة يود أن يعامله بها من يُحِبُّ، وعلى أساسها تنبني علاقته المثالية بهم، ويشعر بمشاعر معينة تجاههم، ولا تتطابق إجابات الناس حول هذه المسألة في الغالب الأعم. ويقول معظم الناس أنهم يريدون شخصاً طيباً، ومراعياً للآخرين، ومحباً، ويُنصت لأمنياتهم وأهدافهم وأحلامهم، ويستمتع بإنصات إلى مشكلاتهم، والتحديات التي تواجههم، ويُشعرهم بخصوصيتهم، والإعتزاز بهم، ويسعد لنجاحهم، ويشعرون معه بالانفتاح والإخلاص، ويشعرون تجاهه بالارتباط القلبي والعقلي والروحي.

إننا في الغالب نعرف المكونات الضرورية والخططة السحرية لهذا الكائن الهلامي الأسر والمارد العظيم الذي إذا تمكن من النفوس أطلقها من عقولها، وفكّها من أسرها، ومكّنها من صنّع أعظم الأعمال والمواقف، والتي هي في الغالب الاحترام المتبادل، والاتصال الدائم حتى لو كان بسيطاً وفترته محدودة، والتفاوض الخلاق، وتفهم الاختلافات، والمودة، والرومانسية، لكن المشكلة واللغز الذي يصعب على الكثيرين حله، هو عملية وضع هذه الأشياء تحت تصرفاتنا، وفي واقعنا المعاش، حتى نحفظ بعلاقات حية، وحيوية، وقوية.

وإذا تم سؤال الناس عن السلوكيات التي ينتهجونها في التعامل مع الآخرين، يُقر معظمهم بأنه يكبت حاجاته، ولا يُعير اهتماماً لصفاته الحسنة، وإنجازاته المُتَحَقِّقة، وأنه يُكرِّس وقتاً ضئيلاً، وانتهاهاً بسيطاً للارتباط بقلوبهم وأرواحهم.

إن الكثيرين ممن يسعون إلى الحصول على حب حقيقي ليس

لديهم فكرة عن كيفية تقديمه لأنصافهم الأخرى "الحلوة"، ومن العجيب في الأمر أن حاجتنا الملحة التي تجعلنا دائمي البحث عن الحب هي نفس ما يعوق انتعاشه، وأعجب من ذلك أنه، أي الحب، ينجذب أحياناً إلى من لا يرغبونه، ويبتعد عمّن يحتاجونه بإلحاح.

وكما يُقال فإن: "فاقد الشيء لا يعطيه"، ولذا ينبغي على الإنسان أن يبدأ بحب ذاته، ذلك أن صُلب علاقاته بالآخرين هو علاقته بذاته، وحبها لها يُعد شرطاً لازماً لإيجاد رابطة حب حقيقية تجمعهم بآخرين، أسرة كانوا أم أصدقاء، أو تجمعهم بهم علاقات حب، أو عمل، أو مصلحة من مصالح الحياة المتنوعة، والمركز الذي يوُلد حب الذات هو نفس المكان الذي يجذب حب الآخرين إليه، فإذا كان هذا المركز مُلبداً بالغيوم مُلطخاً بالأحوال، فإن قدرته على جذب علاقات تتلألاً بالسحر من فرط الحب ستكون غير كاملة.

إن الإنسان يحتاج إلى معرفة كيف يُحب ذاته، كيف يُعطيها ما يود إعطائه للآخرين، والمهارات التي يتطلبها ليُسّع في النفوس طبيته وسحره الحلال، وإذا سطع نور الحب بداخله، انفتحت الفرص أمامه، للاستمتاع بروعة الارتباط بآخر.. فاحبب ذاتك يُحبك الناس.

04



التوقعات العظيمة: حبة.. حبه



الأمل، كلمة قوية المعنى، عميقة المدلولات، رائعة النتائج، للفكر الذي يرتديها حُلة قشبية، ولبوساً أنيقاً، وللقلب الذي يتعلقها ريفياً، ونبضاً، وللجوارح التي تكتسيها نهجاً وتتمثلها أسلوباً وممارسة وتعاملاً في الحياة.

هو اكسير الحياة، ودافع نشاطها ومخفف ويلاتها وآلامها، والباعث على البهجة والسرور فيها.

هو شعاع يغمر جوانح الإنسان، ويلوح له في ظلمات الحياة، فيُضئ له تلك الدياجير، ويُنير أمامه السبل، ويهديه إلى معالم الطريق. هو الذي يتذوق الإنسان من خلاله طعم السعادة الحقة، والإحساس بهجة الحياة، هو شئ حلو المذاق، جميل المحيا في ذاته، تحقق أم لم يتحقق.

إنه قوة كبيرة تُعين على العمل، وتخلق لدى الانسان دوافع المجاهدة والكفاح من أجل أداء الواجب الملقى على العاتق، وتبعث النشاط في النفس، والروح، والبدن، وتدفع الإنسان الكسول إلى أن يعمل بجِد، وإخلاص، وتفان، كما وتدفع الإنسان المُجد إلى أن يستمر في جِدّه، والمُخلص في إخلاصه، والمضاعفة من جهوده، ليُحقق انتصارات أسمى، ونجاحات أكبر، ومجد أبقى.

إن الأمل قوة تدفع بالإنسان الذي تعرّض للإخفاق، إلى تكرار المحاولة لينال النجاح الذي يبتغيه، وتحفز الإنسان الذي تذوق طعم النجاح ومارسه وتحصل عليه، إلى مضاعفة عمله وجهوده ليزداد تقدماً ونجاحاً وفلاحاً وصلاًحاً.

إنه تلك الطاقة الجبّارة الخلاقَة التي تبعث الحياة في البيوت التعسة، التي اختفى من بين جنباتها دفاء الحب، وصدق المشاعر، وسموق الثقة، وروعة الحنان واللفظ، وهو الإشراق في الأنفس الخربّة المحزونة والمكتئبة، التي فشلت في تحقيق أهدافها، وعجزت عن الوصول إلى غاياتها، وطموحاتها، وآمالها، وأحلامها، وأمانيتها، وتطلعاتها.

هو تلك القوة النورانية ذات الآثار السحرية، التي تقلب الأتراح أفراحاً، وتُغيّر الفشل نجاحاً، وتُبدّل الهزيمة انتصاراً مؤزراً، وتُحيل التعاسة التي تعترى الأنفس إلى سعادة حقة تعيش الأنفس في كنفها، خلّاقةً، مُبدعةً، مُتوهجةً، راضيةً، فرحةً، سعيدةً، هانئةً، مطمئنة.

والياس ضد الأمل، هو انطفاء لجذوة الأمل في الصدر، وهو انقطاع لخيوط الرجاء في القلب، هو معوّق قاهر يُحطّم في الأنفس بواعث الجّد والاجتهاد والإخلاص والعمل، ويوهي في الجسد دوافع القوة، ويبدّد النشاط والحيوية، ويوهن العزائم، والهمم.

والإنسان المؤمن برّبّه جل وعلا إيماناً حقيقياً، المتحقّق من عدلّه جل وعلا وحكمته حق التأكّد، الراضي تمام الرضا بقضاء الله وقدره، العارّف بطبيعة الحياة، وتقلّب أحوالها، خليق به أن يتلبّس بلبوس هذا الخلق الحسّن، الأمل، وأن يُمارس هذه الفضيلة النبيلة، لا سيما عندما تُظلمه الغيوم، وتتلبّد سماء حياته بها، وتشتد من حوله العواصف الهوجاء، التي تُعيق طريق تقدمه.

إنه يحتاج إلى أن يُرسي هذا المفهوم عميقاً في وعيه، وأن يبني حوله حياته، حتى تتغير إلى الأفضل والأبهى والأجمل، يحتاج إلى أن



ينُقش هذه الكلمة في قلبه، ويكتبها بأحرف ذهبية كبيرة في سماء حياته، لتكون سعيدة جداً، ويضعها في مكان بارز أمامه بحيث يراها دائماً، فهي فاعلة جداً، إلى درجة تجعله لا يستطيع، مهما قيل، كشف سر قوتها.

إنه يحتاج إلى أن يُتيح لنفسه الرتع في هذه المروج أخاذة الخضرة، رائعة المناظر، لذيدة الطعوم، شهية المذاقات، يجتهد لتحقيق حلمه، يبذل الأسباب للوصول إلى تحقيق أهدافه، لا ييأس، ولا يستسلم للظروف والأحداث، يصبر، لا يقسو على نفسه، بل يأخذ الأمور ببساطة، يتوقع حدوث التوقعات العظيمة: حبه حبه!

إنه يحتاج إلى أن يُدرِّبه أهله، وإلى أن يُدرِّب نفسه منذ بدء رحلته في هذه الحياة على استخدام كثير من الأدوات والمهارات المتطورة للتغلب على صعوبات الحياة، وتجاوز محنها وهنأتها، وهي الإيمان بالله تعالى، والثقة بالقوى التي وهبنا الله إياها، وبدور الخير والأمل المزروعة في قلوبنا، والمتأصلة في أنفسنا.

إننا عندما نتوقع أمراً، نمارس اعتقاداً، ونملك إيماناً، ونضع ثقتنا بشخص ما أو حدث ما أو فكرة ما، وهذا الاعتقاد أمر شديد القوة والتأثير. في كل مرة نتوقع كثيراً بشأن علاقتنا بربنا جل وعلا والناس من حولنا وما يحيط بنا، مثلاً نتوقع أن يستجيب الله دعاءنا وأن يحمينا ويوفقنا إلى سبل السلام والهداية والرشاد وأن يمنحنا الصحة والعافية والتوفيق والهداية والنجاح على كل المستويات وأن يختم لنا بالحسنى، وأن يُرضي عنا والدينا، وأن يكون أزواجنا صالحين، وأن

يكون أولادنا باريين بنا وناجحين متفوقين أقوياء وأصحاء، وأن يلقى عملنا ما يستحق من مردود إيجابي وإطراء وقبول، وأن نُكافأ على أعمالنا الخيرة ومساعدتنا ومجهوداتنا النبيلة، وأن ينعكس علينا خيراً ما نحمله من حب وود وطيبة تجاه الآخرين، وأن يعود لنا حبنا المفقود، وأن نُحصّل سعادتنا المنشودة، ونجاحاتنا المستحقة، وهكذا.

إننا نتوقع أشياء كثيرة تبعاً لما تهجس به وتتمناه أنفسنا، نُفكر أحياناً أننا جديرين بأمر ما، وفي أحيانٍ آخر نفكر أننا غير قادرين على تحقيق أمر آخر، أو أنه تنقصنا صفات محددة، أو أن كفاءات هامة لا تتوافر فينا.

ومن المذهل أن توقعاتنا تصدق في كثير من الأحوال والأحيان، وأن ما نتوقعه له حظ كبير لأن يحدث حقاً على أرض واقعنا، وتكون نتيجة أفكارنا الايجابية تحقق السعادة المنشودة والأحلام والأمانى والتطلعات المستهدفة، وهذا مفرح جداً، أما نتيجة أفكارنا السلبية فتؤدي إلى البقاء في الخلف والسير وراء الآخرين، وهذا مؤسف حقاً ومحزن جداً.

عندما خلقنا الله سبحانه وتعالى في هذا العالم أتينا مُهيأين ومؤهلين بالكامل لمواجهة كل المتاعب والتحديات والمصاعب، ومزوَّدين بالقدرة على تأدية الأعمال الإنسانية العظيمة الجليلة. لقد وهبنا الله تعالى كل المهارات والقدرات التي نحتاج إليها لنكون بشراً عاملين ناجحين متفوقين على هذه الأرض، وأبدع تصويرنا في أحسن تقويم. وإذا استخدمنا تلك الأدوات التي هي معنا في قلوبنا، وأرواحنا،

وأجسادنا، فلا يهمننا ما نقابله من صعوبات ومشكلات ومِحَن، وكل ما علينا هو أن نُطبِّق الثقة في شؤوننا وسنصل إلى بَر الأمان بإذن الله تعالى، أما إذا تسرَّب الشك إلى هذه القدرات والمهارات والأدوات، فإننا سنسمح لمواهبنا أن تبقى مُعطَّلة، وقدراتنا رهن إقامة جبرية، وحياتنا أن تُهدَّر دون فائدة، وربما قد تضيع.

وعلى هذا فإنه مطلوب منا دائماً أن نكون متفائلين فألاً حسنا، مستبشرين ببُشرى طيبة، مطلوب منا أن نتوقع حدوث ما نتمنى، أن نتفاءل بالخير لنجده، ولا نستغرب إذا صدقت توقعاتنا، فكل ذلك يحدث بفعل الثقة بالله جل وعلا، ثم بأنفسنا وقدراتنا وإمكاناتنا، وبالناس من حولنا، وأولهم بالطبع من نكُن له الحب العظيم.

إذا توقَّع الإنسان الأفضل، فسيحصل على الأفضل، بإذن الله تعالى، وإذا فكَّر أنه غير جدير به، فبالتأكيد سيخفق لا محالة، وإذا فكَّر الإنسان أنه الأذكى والأقدر، فسيحصل على أمانيه ويُحقِّق طموحاته، بحول الله وقوته، مصداقاً لما جاء في الحديث القدسي: "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عِبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ".

وإذا آمن الإنسان بالله ثم بقدراته الذاتية وعمل جيداً، فإنه يستطيع الذهاب إلى حيث يستطيع الآخرون، وأن يفعل ما يفعلون، وأن يُحقِّق ما يُحقِّقون من نجاحات، ولا شئ سَيكون بعيداً عن توقعاته، فالقشور الخارجية له غير مهمة كثيراً، والمهم هو جوهر الإنسان وجوهر الأشياء، فهي وحدها مفرق الاختلاف.

يحصل الإنسان على ما يبحث عنه بالتحديد، وما يبحث عنه

بعمق، هو ما سيحصل عليه في الغالب، بإذن الله تعالى، فاذا بحث عن العلم فقد يصبح عالماً، وإذا بحث عن الإلهام فقد يصبح مُلهماً، وإذا بحث عن المعرفة فقد يصبح عارفاً، وإذا بحث عن الحكمة فقد يكون حكيماً، وإذا بحث عن الصحة فقد يشفى من الأمراض ويكون سليماً معافى، وإذا بحث عن الخير والنجاح فقد يناله ويحققه، واذا بحث عن الحب الحقيقي فقد يجده.. كل ذلك باذن الله تعالى، ثم بشرط أن يبحث بحثاً عميقاً مرتبطاً بالإيمان بقدرة الله تعالى وحكمته، ثم بقدرته شخصياً على تحقيق أحلامه وتطلعاته، وبوفرة الخير من حوله.

ولذا فعلينا لنحصل على ما نريد أن نُبقي في أذهاننا الأشياء التي نُريدها، وأن نُبعد من أذهاننا الأشياء التي لا نُريدها.. علينا أن نبدأ بالتفكير فيما نُريد، وأن نؤمن بقدرتنا على الوصول إليه، وبالتدرج سيستقر ذلك في عقولنا الباطنة، فالتكرار، وإرادة المحاولة، والإيمان بما نُريد، كل ذلك كفيل بالانتقال إلى العقل غير الواعي لتمثله.

إن ما يؤمن به الإنسان في ذهنه ستُفذه إرادته، وما علينا إلا أن نطلب فنُعطي من جواد كريم،، وأن نبحت لنجد، وأن نقرع الأبواب بقوة ليبسر الله تعالى لنا فتحها، وأن نبحت عميقاً عن الأشياء العظيمة التي نُريد تحقيقها، والقيم النبيلة التي نُريدها من الحياة، ليعطينا الله ما نريد وأكثر مما نريد ويمتلئ عيشنا بالمعاني السعيدة، والنجاحات العظيمة.

إن سر نجاح توقعات الإنسان يكمن في عملية تنظيم توالد الأفكار عنده، فهو يحتاج إلى معرفة دقيقة لتوقعاته إذا أراد لها حظاً

عميقاً من النجاح، ولذلك عليه تحديد أفكاره باستمرار، والانطلاق من الثقة بالله تعالى ثم بخبراته السابقة وتجاربه وأدواته التي خبرها من الحياة، يجب أن يعلم وأن يثق أن لديه أفكار خلاقية وقابلة للتحقق، وأن يعمل على وضع كل شيء في مكانه الصحيح كي يتحقق. بإذن الله تعالى ووفقاً لمشيئته التي لا تتأخر عن دعم كل مُجدِّ مخلص.



05



الحلقة المُفرغة





الحياة ليست درباً سهلاً يُمكن السير فيه بدون توقع حدوث عوائق ومشكلات وتضحيات وخسائر ومصاعب وآلام.

والإنسان عادة يتعامل مع المشكلات والأشياء السيئة في الحياة بطريقتين، إما أن يهرب منها وهي ليست بهاربة منه مع شديد الأسف، أو أن يعمل على حلّها والتعاطي معها ليتجاوزها ويتعلم من تجاربها ودروسها ودررها وفرائدها.

والإنسان الجاد المتوكل على الله والمتسّم بصفات الصبر والمثابرة بدأب على تنمية مهاراته ومتابعة منجزاته يمكنه تحقيق أهدافه وآماله وأمانيه وأحلامه التي وضعها لنفسه وسمت وتاقت روحه إلى تحقيقها، بصرف النظر عما يواجهه من مصاعب وعوائق.

وفي الدرب الموصل لتحقيق تلك الأهداف قد يضطر الإنسان إلى التعامل مع أشخاص لا يُطبق التعامل معهم ويواجه بأحداث ومواقف لم يُفكر فيها ولم يُخطّط لمواجهةها أو يضع الفرضيات والاحتمالات اللازمة أو يرسم الحلول الناجعة لاجتيازها.

وعندما تتحقق الآمال والأهداف والطموحات، تزول الأتعاب مهما كانت، وتنتشي وتنتعش الأرواح ألقاً وبشراً وسروراً وحبوراً بما تقدّم وتحقق، ثم ما يلبث الإنسان أن يجد نفسه مجدداً في مهب الريح، وبمواجهة تحديات وأخطار أخرى، في حلقة مفرغة لا تنتهي إلا لتبدأ، وبشكل ينبئ عن الطبيعة غير المستقرة للحياة، والديمومة اللامنتهية لتقلباتها.



06



الحلوة



الإنسان منا محظوظ لأنه يعيش على هذا الكوكب دون أن يدري أهمية ذلك في كثير من الأحيان أو يُلقى له بالألأ.

والرضا بالحياة والشعور بالجميل تجاه المنعم بها سبحانه وتعالى وجل في علاه أمران يُعدّان من أهم سُبل تحقق العيش الهنيء الآمن للإنسان فيها، وهما يضعان كل شئ في موضعه الصحيح، ويزنانه بوزنه الحقيقي وحجمه الطبيعي، لكننا كثيراً ما لا نُقدّر هذه النعمة حق قدرها، ونتصرف في معيشتنا اليومي، وكأننا نملك الحياة أبداً.

إننا بهذا المنطق نتعامل مع الأمر من مُنطلق العادة وليس من مُنطلق الحكمة، مما يؤدي بنا إلى الفشل في تركيز اهتمامنا على أولوياتنا الحقيقية وأسبقياتنا الرئيسية.

يُقرُّ أحدنا بنعمة الشريك في الحياة، أو الولد، أو الصديق، أو العمل، أو البيت، أو السيارة، أو الثروة أو الصحة، أو كل ذلك، أو غيره من المكتسبات المادية أو المعنوية التي يحققها خلال مشوار الحياة، لكنه بالمقابل لا يُقرُّ بقيمة الحياة التي وهبها له المنعم تبارك في علاه.

إن الاعتراف بأن الحياة نعمة (بصرف النظر عما يصاحبها من أتعاب أو أحزان أو نقص في الإمكانيات أو غير ذلك مما قد يجعلنا فيها أقل إحساساً بالسعادة وهناءة البال) أمر حَسَن يُقلّل في ذهن الإنسان من تعظيم أتعابها، ويُججّم مُشكلاتها، ويُقلّل من الشعور بلاوائها، لدرجة لا يُلقى بالألأ لشيء من ذلك، مهما كانت أهميته، وهو يُمكنه من تقدير الأمور حق قدرها، وعدم تضخيمها، وعدم الشعور

بالغضب عند فوات بعض لذائذها، أو مُتعتها، أو مُكتسباتها، أو عند عدم تحقق بعض أحلامها، وأمانيتها، وتطلعاتها، ورغباتها.

إن الإقرار بهذه النعمة يجعل المرء يتسم بالأخلاق الحسنة، لا سيما وهو يشعر بأن الحياة موقوتة وزائلة، فيكون أقل بُخلاً، وأكثر كرمًا، وأريحية، وعطاءً، إنها تجعله أكثر تواضعاً، وأكثر بُرّاً، إنه يكون بأثرها رحيماً، عطوفاً، محباً، متسامحاً، غير حاسد، ولا حاقد، محباً للخير، مستمتعاً بالجمال، ذا إحساس مرهف، وذوق راق، متعاملاً بشفافية عالية مع الجميع من حوله.

وإنه لحري وجدير بنا أن نُتقن هذه المهارات، ونحُث من حولنا على إتقانها، ونساعده على ذلك، نمارسها سلوكات عملية خلل تعاملاتنا اليومية، ليعود ذلك بالنفع علينا، وعليهم، وعلى المجتمع، وفي الدارين الدنيا الفانية، والأخرى الأبقى.

الحياة حلوة، ونفيسة.. فلنُحببها، ولنقدِّرها حق قدرها، وأهم من ذلك أن يتحوَّل سلوكنا فيها إلى شكر عملي للمنعم بها جل وعلا.

07



الحياة على وعد!





في هذا العالم الذي أذهلني أحدهم عندما قال مؤخراً بأنه أصبح عبارة عن: "شاشة" ولم يُعد قرية كونية صغيرة فقط كما كنا نُردّد قبل فترة بسيطة جداً، ووسط هذه المتغيرات المتلاحقة التي يسير العالم من حولنا وفقها بخطى مجنونة، إن صح التعبير، تجعل من الصعوبة بمكان على الإنسان ملاحظتها، ومحاولة التأقلم معها، واستشراف أفقها، وسبر أغوارها، لم يُعد بمقدور الإنسان امتلاك القدرة على محاولة توقع المستقبل، واستشراف آفاقه، بالرغم من أن ذلك ميزة كبيرة، لا ينطوي عليها، ولا يمارسها إلا قلة من الناس.

ومن الطبيعي أن يشعر الانسان بالسعادة الحاضرة، عندما يكون متوقعاً حدوث شئ محبب إليه في المستقبل، إلا أن ذلك لا يخلو من مشكلة، عندما تُغلّف (السعادة المتوقعة) في المستقبل (التعاسة الحالية).

بينما أنت واقف بين يدي الله جل وعلا تؤدي الصلاة، تسرح بذهنك في عمل ما، أنجزت، وآخر أهملت، وثالث تتمنى لو فعلت.

وترى الناس مُقبلين على الاستزادة من طاعة الله جل وعلا، والتقرب إليه، بزيارة، أو أداء لحج، أو عمرة، أو غير ذلك من العبادات، والطاعات، والمعاملات، وتهتم بأن تسابقهم إلى هذا الخير الذي لا يعدله خير، والشرف الذي لا يوازيه شرف، ثم توجل الفكرة، أملاً في أن تتحسن أمكانياتك المادية، أو تقلّ مشاغلك الحياتية، حتى تُقبل على ربك بقلب أكثر إشراقاً، وأقدر على تنفيذ الطاعة كما يرضيها الباري جل وعلا، وتتأخر بفعل هذا الهاجس عن المضي فيما عزمتم عليه.

وبينما أنت تقرأ كتاباً في علم من العلوم، أو فن من الفنون

التي تحب، تتمنى لو أن أتاحت لك الفرصة لمشاهدة برنامج يَبث على التلفزيون، أو محفوظ على الفيديو، أو اليوتيوب، أو أن تستمع إلى مادة إعلامية عبر الراديو، أو جهاز التسجيل، أو غير ذلك من الوسائط التي كثرت هذه الأيام.

تستمع إلى أغنية، فتتمنى لو أن الله تاب عليك من هذه العادة المذمومة المفضولة، وأن قد وفقك لاستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، فتستمع إلى الأشرطة الدينية، والثقافية والفكرية، التي تُثري وجدانك، وتُغذي فكريك، وتريح روحك.

وفي عزِّ ضرورات العمل، تشتاق نفسك إلى النوم، أو إلى مُغادرة المكان طلباً للنزهة، أو التمشية، أو التقاء الصديق، أو الحبيب، في عز الكلام، تتمنى لو تتاح لك الفرصة للصمت، والكف عن الثرثرة، وفي عز الحاجة إلى التلبُّس بالمُطبق، تجد نفسك أكثر ميلاً إلى الثرثرة والقييل والقال، ثم بعدما تنتهي، تتمنى لو أنك لم تفعل.

تشتاق نفسك إلى شئ من الترويح، وتتوق إلى زيارة بعض الأماكن المشهورة بالسياحة، فتؤجل التنفيذ على أمل أن يكون ذلك في القريب العاجل، بعدما تتحسن الظروف، وتقلُّ المشاغل، وترى أن الوقت لم يحن بعد، وأن التركيز على الأساسيات هو أمر أهم، وأن ما تُفكر فيه ترف، مثلك لا يقدر عليه.

خلال رحلتك في هذه الحياة تعمل على جمع أعداد كبيرة من الكتب، والأشرطة، والمجلات، والجرائد، بمختلف أنواعها، واهتماماتها، وتوجهاتها، التي تحمل مواد ثقافية، وأدبية، وفكرية، وعلمية، وغير

ذلك، وتأمل في أن تُمتّع نفسك بمتعة قراءتها، أو مشاهدتها، أو سماعها، لكن في زحمة الانشغال بشؤون البيت، والأهل، والأولاد، والعمل، وغير ذلك من مشاغل الحياة، التي لا تنتهي، إلا لتبدأ، لا تتمكن من استقطاع الوقت اللازم لإنجاز هذه المهام التي تعرف أنك لو انجزتها لتحسنت حياتك، ولأصبحت أكثر سعادة ورضاً.

تهتم بزيارة صديق طفولة، وملاعب صبا، شباب، أو دراسة، أو عمل، ثم لما تبدأ بعض الخطوات العملية لإنجاز الزيارة تتوقف في أثناء الطريق، خوفاً من أن لاتحظى بالاستقبال الذي يليق بك، أو أن يكون في سعيك المفاجئ أزعاج لذلك الصديق، فتُلغى الزيارة من أصلها، أو تُوَجَّهها إلى أجل غير مسمى، قد يأتي أحياناً، وقد لا يأتي، في كثير من الأحيان، مطلقاً.

تتمنى أن يُوطّر الحُب تعاملك مع من هم حولك، وتقرأ كثيراً، وبشغف، عن فضائل التحلي بحسن معاملة الآخرين، وحبهم، واحترامهم، وتقديرهم، والصبر على زلاتهم، والتسامح، والعفو عن هتاتهم، وتحاول بالفعل تطبيق ما تعلمت، ثم يُخيّل إليك أن أهل الزمن متغيرين!

تتذكر أن لنفسك عليك حقاً، يُوجب أن تهتم بمظهرك، وهندامك، وحسن طلعته، فتُمني النفس بالاهتمام قريباً وعاجلاً، بلبسك، وعطرك، وما يرضي على مظهرك هيبة عند الناس ووقاراً، وقبل ذلك ما يُريح دواخلك، بعد أن تأكد عندك، أن هناك علاقة شرطية بين ظاهر الإنسان وباطنه، ثم لما تحسب التكاليف، والوقت والجهد اللازمين

لتحقق هكذا عناية، تراجع، وتهوّن الأمر على نفسك، وتُقنعها بأن الإنسان مخبر لا مظهر، وأنه لا يسوغ صرف الاهتمام على الشكليات والأمور الثانوية، بل يجب التركيز على الأولويات والأساسيات أولاً، فتلغي الفكرة وتُجهضها في مهدها.

تعلم أن من الأهمية بمكان البرّ بالديك، وإحسان عشرة زوجك، ورعاية أولادك كما ينبغي، فتعزم على أن تجعل كل ذلك من أولى أولوياتك، وأهم اهتماماتك، ثم تستسلم لضغوط العمل، والارتباطات الأخرى الذاتية والخارجية، وتُتّع نفسك أنك تعمل ما تعمل من أجل تأمين لقمة عيش كريم لك ولهم، وترضى عن نفسك، وتقلّل من أهمية صوت ضميرك، الذي لا يكف عن تأنيبك، ووخزك، بسبب سوء فعلتك، ودق نواقيس أجراس الخطر، الملازم لعدم الاهتمام بهذه العلاقات، أو إثرائها.

تدور لعمر في نفسك أمنية غالية بأن تمارس الرياضة التي تُحب، رغبة في الحفاظ على صحتك، والإبقاء على طاقتك، وتشتري بالفعل الأدوات اللازمة لتنفيذ الفكرة، الحلم، والضرورة في آن معاً، وبعزم تتوقع وتتمنى أن لا يلين، تبدأ الركض في المضمار المُخصّص للمشي، والركض، أو السباحة في المسبح، أو اقتفاء أثر الكرة في الملعب، ثم بعد فترة غير طويلة تُقنع نفسك بأن ما تقوم به ترف، لا تقدر على دفع ضريبته، وتفتقد حضورك الأرض التي ملأت، نشاطاً، ولعباً، وحيوية، ذات يوم، وتُقنع نفسك بأن في الأمر مُتسع، وأنها قريباً ستنتهي أعمالك التي تتوسد صدر جدولك اليومي، ثم بعدها تتفرغ لهذه الأعمال، لهذه الأحلام!!

تتمنى أن تجد الحُب الذي عشت عمرك توقاً للتلبس بأشواقه، وأتعبه، ثم لما تطرق كهاربه المسحورة باب قلبك ونوافذه، توصلها دونه، وتُشكِّك في أنه الشعور الذي تبغي، والإحساس الذي تُحب، تردد: هذا ليس حباً حقيقياً!! ما أريده شئ آخر، ثم لما يهرُب الحب، تُعدُّ كرة البحث، وتخوض مجدداً في أحوال، ومستنقع الانتظار.

يتلبَّسُك لزمان هاجس الاقتران بزوجة، وبناء أسرة، وتربية أطفال، وقد تكون متزوجاً منذ مدة وتعاني من إهمال الزوجة الأولى، أو عدم الإحساس بالميل إليها، لسبب من الأسباب، التي قد ترجع إليها، أو إليك، أو إليكما معاً، فتعلم همساً وجهرًا بالزواج مرة أخرى، وتُعدُّ ذلك حاجة من حاجاتك الملحة، وهدفاً من أهدافك المستقبلية الأساسية الأولية، وربما تُبلغ شريكة حياتك بذلك، وتُشهر الأمر في وجهها على الدوام، كسيف مُصلت، تُحدِّث عنه أصدقاءك، وزملائك، ومعارفك، ثم لما تتذكر المشاق والأتعاب الناجمة، والتعبات، والمسؤوليات الملقاة على العاتق جراء تنفيذه، تتراجع عن التنفيذ وتجنُّ، تُحدِّث نفسك أنك تُؤثر القناعة، والسلامة، والعافية، وترك المجال للآخر، القريب، أو البعيد.

أحلام لا تنتهي، إلا لتبدأ، وأمان، لا تكف عن الانشغال، إلا لتتجدد، ووعود تتكاثر مع الأيام، لكنها لا تتحقق، ولا جزءاً منها في بعض الأحيان، وسبب كل ذلك في نظري عجز الإنسان الكامل عن أن يعيش لحظته الحاضرة، عجزه عن تناسي آلام الماضي، والانشغاله بأشواق المستقبل.

فليُحدِّثْ كلاً منا نفسه هذا الحديث طالما في العمر فسحة  
ومُنَّسَع: لا تبكي على الماء المُراق!!، ولا تعبرُ الجسر قبل أن تأتيه!!،  
اعتن باللحظة الحاضرة فحسب.. لا تعش في الماضي.. لا تعش في  
المستقبل.. عش الحاضر، وكفى.

يومك يومك، واترك المستقبل حتى يأتي، ولا تأسى على ما فات  
ومضى.. تمثّل قول الشاعر القديم:

ما مضى فات والمؤمل غيب

ولك الساعة التي أنت فيها

08



جسورٌ للتواصل والحب





سحر الحب يُحرِّض الإنسان على رؤية الجمال الحقيقي للحياة، والأحياء، وهو يملأ القلب، بالعطف، والدفء، ومن خلاله تسري البهجة في العروق، فتملاً قوته الكيان، ويصعد بالإنسان إلى حالة من السمو، والسعادة.

والمُحِبُّ لا بد له من التساؤل عن ماهية هذا الشيء الذي يبحث عنه، ويحرص على أن يعي معناه ويتعلم ماهيته.

الحب الذي نبحث عنه، وتبحثون عنه، ويبحثون عنه.. ما هو؟!!

الحب هو اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع ونوعها السامي. هو الشيء الذي تحتاجه دواخلنا، حتى تزدهر حياتنا، وهو الشيء الذي نظل دائماً نتساءل عما نعمل من خلاله، لبناء علاقات غنية، ومُشبعة، ونمضي جل حياتنا في محاولات لا تنتهي، لإنجاح علاقاتنا بمن حولنا.

هو الذي يستمد قوته، وحاجة الناس إليه، ومدى إلحاحهم للتعرض لبروقه، ووهجه النوراني، من أن بمقدوره أن يجلب للإنسان المرح، ويساعده على الارتقاء، والرفعة، بطرق لا يتوقعها.. هو الذي يستمد قوته من كونه قوة عارمة، تُعدُّ من أسْمَى مُتَعِّ الحياة، ومباهجها.

والحب الشرعي، بين رجل وامرأة، هو أن يختار الإنسان شريك حياته، بالضبط كما هو، كما خلقه الله جل وعلا، وأن يُنحِّي غضبه، وأنانيته جانباً، أثناء اختياره، وأن يحاول إكساب هذه العلاقة مذاق السحر، بدلاً من التنقيب عن أسباب عدم جدواها.

الحب الحقيقي، هو أن يحاول الزوج دعم ومؤازرة هذا الشريك، في جميع خياراته، وحثه على تحقيق رغباته، وكل أحلامه التي يتمناها، أو على الأقل جُلّها.. وهو تقدير صدق الشريك، وتمني الخير كل الخير له، والثقة به، واحترام أسلوبه الخاص، والفريد في الحياة، والشجاعة لقول الحقيقة، خاصة عندما يظن الإنسان أنه لا يمكن التصريح بها لسوى شريكه.

الحب الصادق والحقيقي هو معرفة حدود ما هو مسموح به في العلاقة، واحترام حدود الشريك، وهو التخاطب، والتفاهم، والتحاور، بدلاً من فرض الرأي، وطرح التساؤلات، بدلاً من الانتقال سريعاً إلى النتائج، وردود الأفعال السريعة، والغاضبة.

هو الوصول إلى قرارات مشتركة، بدلاً من الشجار، والشجار، بدلاً من الطلاق، والتغلب على الخلافات، وجرح المشاعر، والاحباطات، والثقة بأنه يمكن التئام أي جرح، من خلال الالتزام، والتفهم، وكذلك البقاء، حالما يريد إنهاء العلاقة، واحترام التزامه، باتخاذ قرارات مع من وقع عليه الاختيار.

هو التركيز على من يُكّن له الإنسان الإعجاب والشعور بالامتنان، والتركيز على الحلول، بدلاً من المشكلات، وعلى الشريك، وإعطائه الفرصة لمعرفة كم يهتم به، وتقدير من يُحب التعامل معه، واعتبار ذلك قدراً، وأمرٌ مسلّمٌ به، وهو العمل على العيش بأمان، واعتبار كل يوم، وكأنه اليوم الأخير في حياة الطرفين والرغبة في أن يُحقّق كلاً من الطرفين تطلعاته، وأن يكون ذاته، وأن يتم العيش في تناغم، وتفاهم، وتعاقد، وحب.

إن الحب الحقيقي يزدهر بالإخلاص، ويتألق بالحقيقة، ويستمر إذا تميزت العلاقة بين الطرفين بالحوار، والمرونة، والتفهم، والاقناع، والتضحية، وذلك من خلال الانحناء أمام الاحتياجات، والتغيرات المتقلبة لدى كل شريك، والعمل بجهد واجتهاد، للإطاحة بأية صعّاب، قد تصادفهما، وأن يلتزم الاثنان بالعمل على تحقيق النمو، والازدهار، لكليهما، طوال حياتهما، وهو بالتأكيد ليس التحكّم في الشريك، ولا محاولة امتلاكه، بل مساندته، بكل قوة، لتحقيق كمالاته، وأمنيته.

لقد أثبتت التجارب أن البعض تعلّم هذه المعاني السامية للمرة الأولى، بينما كان يعيش في كنف أبوين شفيقين، أو أحدهما، ومنهم من تعرّض لبروقه، من جراء قراءة قصائد، أو روايات، أو قصص، كتبت لوصف مشاعر محبين سُعداء، وللتعبير عن نبض أصحاب قلوب رقيقة، رهيفة، وأن آخرين تعلموها بعد مخالطة ومعاشرة توائم أرواحهم، سوا كانوا أزواج أو زوجات.

أولئك اللذين اختاروا أن يكونوا صادقين مع أنفسهم وأنصافهم "الحلوة"، فيأخذون بأيديهم في معترك الحياة، ليسوا في قمة الأنانية، كما هو حال بعض من اهتموا بتنمية قدراتهم، ومهاراتهم فقط، ونسوا أن يقدموا نفس الفرص، ويساعدوا أنصافهم الأخرى على اختيارها.

أولئك الذين يؤكدون شفاهة وكتابة.. همساً وجهراً أنه بدون تجربة الحب التي مرّوا بها مع أحبائهم، وبدون الحب الذي منحهم إياه الشق الآخر من البذرة، لم يكن بإمكانهم إنجاز أفعال عظيمة في هذه الحياة.

إن الحب عملية تفاعلية، لا يمكن إنجازها والاستمتاع بها من طرف واحد، بل هي جهود بذلها من قبل الإنسان بمفرده شئ يُسفر عن طعم معين، وله نكهة معينة، لكن الاشتراك في التنفيذ، والتذوق، مع آخر، أمر مختلف، وذا مذاق خاص ونكهة خاصة، الطريقة الثانية لها مذاق يستطيع الإنسان معه أن يقول وبثقة، ومن دون تردد أن: ناتج جمع  $1+1=3$  مخالف للنظرية الرياضية الشهيرة، حيث تجتمع خبرة الإنسان، مع خبرة شريكه، زائداً الخبرة التي يتقاسمانها معاً.

يحتاج الأزواج إلى أن يتفهم بعضهم البعض، وأن يكون بمقدرتهم التعبير عن حبه بصدق، وهم يحتاجون أيضاً إلى المساعدة للعثور على الحب في حياتهم، والاحتفاظ به في ظل الأدوار المتغيرة، وانحسار القيم من النفوس، وطغيان، وسيطرة الأبعاد المادية على اهتمامات كثير من الأحياء، وغياب الأهداف الواضحة، وكثرة التوقعات غير المنطقية، وفي ظل معدلات الطلاق المرتفعة.

09



الحياة مغامرة جريئة أو لا شيء



يُقال بأنه كان لجحا ابن وحمار، وفي يوم من الأيام ذهب وابنه إلى مقصد لهما فركب جحا فوق الحمار وابنه يمشي بجانب الحمار، فقال بعض الناس ممن رأهم: انظروا إلى جحا إنه "أناني"، أتعب ابنه، وأرهقه، وهو يُفضّل نفسه على ابنه، هذا ضد حقوق الأطفال!!

سمع جحا كلامهم فترجّل ماشياً، وأركب ابنه على الحمار، فقال قوم آخرون رأوهم: الإبن على الحمار، والأب يمشي؟! هذه قلة أدب!!  
سمع جحا كلامهم فركب مع ابنه على الحمار، قال بعض الناس ممن رأوهم: كيف يضع جحا شخصين على الحمار؟! جحا أتعب الحمار، وأرهقه، ما له حق، هذا ضد حقوق الحمير!!

نزل جحا وأنزل ابنه عن ظهر الحمار، ومشيا بجانب الحمار، فقال بعض الناس انظروا إلى الساذجين جحا وابنه لديهما حمار ولم ينتفعا منه!!

ضاقت على جحا الدنيا بما رحبت به فحمل الحمار!!

قال بعض الناس: انظروا إلى جحا مجنون، يحمل الحمار بدلاً عن أن يحمله الحمار!!

هكذا هم الناس، رضاهم غاية لا تُدرك، والإختلاط بهم، والتعامل معهم، فعلٌ، لا يُمكن أن يُترك.

تُخبر صديقاً، أو قريباً، أو زميلاً لك، أنك اخترت التخصص الدراسي المُعيّن في المعهد، أو الجامعة، أو الكلية المُعيّنة، فيتفنن في إشعارك بأنك مخطيء في الاختيار، وأن التخصص الآخر الذي

يذكره، هو أكثر توافقاً مع متطلبات سوق العمل مستقبلاً، وحتى مع احتياجاتك، وإمكانياتك، وقدراتك، ورغباتك، التي لم تعرفها، وتقدّرهما حق قدرهما، وربما يُخالطك الندم، إن كنت قد اتخذت القرار، أو ربما يدفعك كلامه نحو تغييره.

وتبني منزلاً، وأثناء تنفيذ التشطيبات النهائية لا تعدم أن تجد زائراً لك في المنزل الجديد ذات عصرية، يُشعرك من خلال سرد آرائه، وخبراته، أنك كنت نهياً لأطماع العمالة الأجنبية، وأن كثيراً مما نفذت يحتاج إلى إعادة نظر، وينشئ يُحدّثك: لو هدمت هذا الجدار لكان أحسن، ولو بدّلت مكان هذا الباب لكان يُستحسن، ولو استبدلت هذا اللون بذاك، أو هذه المادة بتلك لأحدث اختيارك صيحة في عالم البناء والتعمير! ويُنعك كلامه أحياناً، فتهدم الذي بنيت، وتخلع الذي ركّبت، وتُغيّر الذي استحسن، ثم يأتي آخر بفكر مغاير، ورأي مختلف، ولا تملك أحياناً إلا تقريع ذاتك، ولومها على أن قد أنصت لصوت الأول، واقتنعت برأيه، ولولا أن إمكانياتك لا تُسعفك للإستفادة من ثراء خبرات الآخر العبقري! لأنفذت مشورته بلا تردد، وربما تفعل أحياناً ولو كلفك الأمر ما كلف، ولو استنزفت منك التغييرات غير قليل من المال، والوقت، والجهد، وأهم من ذلك تأرجح القرار.

وتولّي وجهك صوب جهة معينة بغية الاستمتاع، أو الإستفادة من وقتك، ومما يُمكن أن تطالعه في رحلة استكشاف، أو استجمام، أو تعلّم، أو عمل، أو نحو ذلك، ثم تجد من يُخطيء رأيك، أنت الذي بذلت وقتاً لا بأس به في التخطيط لرحلتك، وفق احتياجاتك، ورغباتك، وإمكانياتك، وتطلعاتك، ووفق ما هو متاح في البلد الذي قصدت،



فتهرب إلى بئر عميق ليس له قرار من الصمت، والحيرة، والضياع، تتمنى معه لو أنك لم تفشي سر نفسك، ولم تُطلع الآخرين على ما فعلت، أو انتويت فعله، وتحترق هل تُنصت لكلام الآخرين أم تتجاهله؟! هل تستمع إلى نصائح الناصحين أم تضع في إحدى الأذنين طين، وبالأخرى عجين، كما يُقال، وتمضي في دربك لا تُبال، بل تفعل ما بدا لك صحيحاً ومناسباً؟! ثم تتذكر أن هذا غير ممكن فلا خاب من استشار، ولا ندم من استخار.

تزداد حيرتك مع تذكر المواقف المشابهة التي لا حصر لها ولا عد، وربما تنخرط في نوبة حزن، أو حيرة، أو حتى قلق وبكاء، لكن ينثال من داخلك صوت حق شفيف تعرفه وترتاح لداعيه، يقول لك:

كن عملياً، واجمع أكبر قدر من المعلومات، حول ما عزمتم اتخاذ قرار لتنفيذه، ادرس المسألة بعناية فائقة، قبل الانهماك في إنجازها، استشر من تأنس إلى نضوج خبرته، ورجاحة عقله، فلا ندم من استشار، واستخر الله دائماً وقبل الإقدام على فعل أي شيء، فما خاب من استخار، وفي كل حين احرص على أن تكون مقداماً وجريئاً، واتخذ قراراً، فخير لك أن تتخذ عدة قرارات وتخطيء في بعضها من أن لا تتخذ قراراً، خوفاً من الفشل، ثم تجده ماثلاً كما فلق الصبح، أمام ناظريك، لأنك أخفقت في الاختيار، وعدم الاختيار بحد ذاته يُعدُّ فشلاً.

وتذكر دائماً وأبداً، أن الذي لا يُخطئ أبداً هو الذي لا يفعل شيئاً، وإذا عزمتم فتوكل على الله، لا تبال بما يقوله المتقولون، ولا

تلتفت لما يتخرصه المتخرصون حول قرارك، ودائماً، وأبداً تذكر: أن  
رضاء الناس غاية لا تُدرِك، وأن الحياة مغامرة جريئة أو لا شيء!!

10



المأزق المزدوج!



للسر مناهج تفكير مختلفة وسلوكيات متنوعة للتواصل مع الآخرين، وقد يكون الحط من شأن الآخرين وجرح مشاعرهم، والعمل على زعزعة الثقة بأنفسهم، وتحطيم معنوياتهم، وعدم تقديم المساندة اللازمة لهم للنهوض من كبواتهم، والقيام من سقطاتهم، إذا احتاجوا، العلة الرئيسية وراء التقدير المتدني للذات عند البعض، وبالتالي تلبُّسه بالمعاناة النفسية، وسقوطه في براثن التعاسة، بصفة عامة، وهو يُشكِّل اعتداءً صارخاً على حُرِّية المرء، وانتهاكاً موجعاً لروحه وأدميته، وتدميراً لحياته وأوجه سعادته.

إن الانتقاص من شأن الآخرين، وتحقيرهم، يتفشى بشكل ملحوظ في مجتمعاتنا العربية، وربما نُسهِّم فيه جميعنا، وربما صادف كلاً منا أحد الأشخاص المنتمين إلى هذه النوعية من الناس، الذين يجنحون بسلوكياتهم غير السوية، ولا القويمة، إلى التلاعب بالآخرين والسيطرة عليهم. البعض يُمارس سلوكه المشين عن وعي، أو شبه وعي، توهُماً أن فيه حيلة دفاعية للبقاء، بينما يُمارسه آخرون بدون وعي، وبدون تعمُّد، تطبُّعاً، ومن منطلق ما توارثوه، ومن خلال ما اكتسبوه من تنشئتهم السيئة.

والأشخاص الأكثر سعادة، هم من تمت تنشئتهم، في مجتمعات يقلُّ فيها التحقير، والتقصُّ من شأن الآخرين إلى أدنى الحدود الممكنة، أولئك الذين يعيشون بين أناس يتسمون بطيبة القلب، وكرم النفس، حتى وإن كانت ظروفهم المادية صعبة.

وللتحقير والحط من شأن الآخرين صور شتى، منها ما هو

جِسِّي، ومنها ما هو غير جِسِّي، منها ما يُلحَق بالأذى بالجسد، وأشدّه  
المأماً ما يُلحَق بالأذى بالنفس، والروح، لامتداده طيلة العمر، وتكمن  
خطورة هذا النوع، في صعوبة ملاحظته، وإمكان معاقبة المعتدي  
المقترف له، وهو قد يتمثل في الضرب، أو في النظر إلى الآخر بتعالٍ،  
وازدراء، واحتقار، أو قد يكون بالتظاهر بتقدير شيء تفخر به أنت،  
ثم يحُط الآخر القريب من شأنه، ويُلقى بعض التلميحات السلبية  
حياله، إنه قد يكون من خلال تركيز الآخر على معرفة بعض نقاط  
ضعفك، فيستغلها ضدك، في الأوقات المناسبة، يُعاملك بحب وود مرة،  
ثم في المرة القادمة لا ترى منه وداً، ولا حباً، فتحتار في الأمر، يُلقى  
بمسؤولية اختلال مشاعره وتضاربها عليك، فيتهمك بما ليس فيك،  
يتهمك بأنك لا تحبه، بينما هو في الواقع الذي لا يحبك، يدفعك إلى  
تفحص مشاعرك نحوه، ومراجعة، وتدقيق حساباتك، ومعاودة النظر  
في مواقفك قبّله. يلجأ إلى تعميم، وتضخيم الأمور، يُصدر أحكامه  
القاسية عليك، فيشكك في قدراتك، ومواهبك، يدفعك إلى أن تتحفّز  
للدفاع عن نفسك، وتفسير مواقفك، وتوضيح وجهات نظرك، لحمله  
على العدول عن آرائه السيئة فيك.

إنه يستخدم للسيطرة والهيمنة عليك أساليب مستقيمة وألفاظ  
عذبة، فإذا لم تُفلح استخدم أساليبه الملتوية، والأعيبه الخبيثة، إنه يبث  
نحوك باستمرار رسائل مزدوجة المعنى تحار في تفسيرها، فإذا حاولت  
أن تبين الجانب السلبي فيها اتهمك بالتعدي عليه، ثم راح يصب عليك  
صباً شائب عفوهِ وصفحه ومسامحته، إنه يمنحك فرصة الحديث عن  
أمر يشغل بالك، وفي قمة استغراقك في ذكر التفاصيل ينسحب من

اللقاء، أو يُبدّل موضوع الحديث، دون مبالاة بالخواطر التي تعتمل في دواخلك، وتنتال من وجدانك.

إن الإنسان بذاته عليه تقع مسؤولية كبيرة جداً للسماح للآخرين بتحقيره وإهانته، أو احترامه، ومن ألزم الواجبات بالنسبة له أن يعرف أساليب المحقّرين، وطرق الحيلولة دون الوقوع في مصائبهم، وحبائلهم، إنه مسئول عن قيادة ذاته وتدبر أمر سعادته.

وقد لا يكون سهلاً أو متاحاً القضاء على هذا الداء العضال، ولكن العمل على كشف المتلبّسين به وتسييل الأضواء على أفعالهم الشائنة، البذيئة، التي يتم اكتشافها ورصدها باستمرار، من الأمور الوقائية التي تُسهّم على المدى البعيد في كبح جماح هذا الداء، ووضع حدٍ لإمكانية تفشيهِ بين الناس، وإزاحة المحقّرين من دروب سعادتنا وهنائنا.

إن بعض المحقّرين مرضى يشعرون بالدونية تجاه أنفسهم أولاً، ثم الآخرين، وبعضهم ينزع إلى الشر بملء إرادته وتصميمه، وقد يدركه المرء فيُكّن للمُحقّر حِقداً دفيناً في القلب وكرهيةً تتغلغل في الشرايين، وقد يُدركه فيحاول التنفيس عن نفسه بردود أفعال ربما تكون غاية في العدوانية، والعنف، والسلبية، وقد يواجه المُحقّر ببعض الأعيه الملتوية، فيوهمه بأنه مخطيء في استنتاجاته، ويسمها بأنها ساذجة، مما يشعره بالذنب والوضاعة والسذاجة.

والتحقير قد يمارسه الزوج ضد زوجته، والزوجة ضد زوجها، وقد يتلبّس به الأب، أو الأم ضد ابنتهما، أو ابنهما، قد يمارسه الصديق

ضد صديقه، أو القريب ضد قريبه، أو الزميل ضد زميله، أو الرئيس ضد مرؤوسه، أو السيد ضد خادمه، أو القائد ضد شعبه، فتستحيل الحياة إلى جحيم لا يُطاق.

إن التلبس بهذا الداء أمر غير مرضٍ بلا شك، ولا يُعدّ ميزة رائعة، والسقوط ضحية له أمر لا يتمناه أحد، والمتنقّصون من الناس والمُحقّرون لهم، خاسرون في نهاية المطاف، وعلى المدى القريب والبعيد، وإن اعتقدوا وتخلّوا أنهم سيطروا وفازوا بعض الوقت، والنهاية الموجهة لهم، والمحتومة، والآيل مصيرهم إليها، هي اجتذاب الذنوب إلى أرصدتهم وانفضاض الناس من حولهم، وما من إنسان عاقل يريد أن يسقط هذه السقطة المروّعة، أو ينتهي هذه النهاية المؤسفة، المفجعة، فحذار من السقوط في هذا الفخ المهلّك.



11



الممحة التي تُزيل آثار الماضي  
الأليم



تدُب على أديم هذه الأرض عمراً وأنت تعتقد أن والديك، أحدهما، أو كلاهما لم يمنحانك ما أردته، أو احتجت إليه من الحب، والحنان، والمتطلبات المادية، وغير المادية، عندما كنت طفلاً، وربما بعدما شببت على الطوق، وأحياناً حتى بعد أن جاوزت بدايات العمر الأولى، وتشعر جراء ذلك أنك لا يُمكن أن تسامحهما على ما تعتقده تقصيرهما تجاه مطالبك.

وينتابك غير قليل من الألم في بعض الأحيان عندما تتذكر الإهانات التي حصلت لك جراء التعامل مع حبيب، أو صديق، أو قريب، أو زميل، أو مُعلِّم، أو رئيس، أو مرؤوس، وتنشغل دواخلك طويلاً بحوارات داخلية لها أول وليس لها آخر، تُدافع من خلالها عن نفسك، وتُلقي بالتهم، والأحكام الحقة، والجزافية ضد أولئك الآخرين، إدانة لهم على ما تعتقد أنهم اقترفوه في حقك، من أخطاء، وآثام، وما تتوهمهم تسببوا فيه لك من آلام، عندما تتذكر الإهانات الجسدية، والنفسية التي مُنيت بها من أشخاص كانوا يعتقدون في الأغلب الأعم أن دافعهم لفعالها حب الخير، والنصح لك، وتبقى في نفسك علائم محفورة خلّفتها تلك الإهانات، وتحسب أنها غدت كالوشم يستحيل محوه.

وتشعر بألم شديد عندما يطيف بك طائف أشياء قام بها آخرون ممن تعرف، وسببت لك آلام، وجروح، وأتعاب تعتقد أنهم لن يستطيعوا، مهما بذلوا من جهود إرضائك ولا مدّ جسور علاقات أفضل عبر شريانات قلبك.

وبسبب نشوة الحماس الزائد، والطموح الجامح المتقدّ قد بيدر من أحدهم من التصرفات ما يؤذي مشاعرك، سواء كان زميل عمل، أو جار منزل، أو صديق، أو حبيب، فيخبو حب ذلك الشخص في نفسك ويحل محل الحب مشاعر الاستياء، وربما الكُره الذي لا تُصدّق قدرتك على محوه ذات يوم.

وتستاء دواخل الأب المُحب لولده، والحالم له بمستقبل مشرق، عندما لا يعبأ هذا الولد بنصائح أبيه، ولا بحكمته، ولا بتوجيهاته، وارشاداته التي تروم الخير، والنفع، والصلاح له، بل يضرب بها عرض الحائط، وبكل صلف، وغرور، وإتعاّب للقلب يجري خلف صديق ينقصه الرأي السديد والحكمة الموفقة، ولا يروم الخير والرشد له.

وتستاء الأم الرءوم من إحجام ابنتها عن إعلان بروق الحب عليها، لا لشيء إلا لأنها تعيب عليها كثرة النوم، والتقزز من عمل المطبخ، والضجر من تعليم أخواتها بالأسلوب الذي ترتأيه تلك الأم، وينجم عن هذه العلاقة غير قليل من الغضب، لدرجة إعلان البنت صراحة، وعلى رؤوس الأشهاد، وفي كل مناسبة تجمعها بالقاصي والداني عدم حبها أمها، وربما كرهها لها.

وتستاء ابنة أخرى من انشغال أبيها عنها لهثاً وراء تأمين لقمة عيش رغيدة لها ولأخواتها وإخوتها، واشباعاً لمذاته ورغباته، وشغلاً لاهتماماته الخاصة، وتقديم كل ذلك على حاجاتها النفسية، والعاطفية، المتأتية من قربه، وحبّه، والاستفادة من خبراته، وتجاربه، وتوجيهاته، في فترة حرجة من عمرها، وينجم عن هذا الاستياء تمنيّ الابنة لو

كان لها أباً آخر يهتم بحضورها، ويحتفي بمشاعرها، ويحتضن أفراحها، ويللم جراحات قلبها، ويُثري روحها، ووجدانها الشفيف بكلمه الطيب، ويصقل تجربتها الانسانية بخبرته، وحنكته، ودُربته في تنفيذ الأشياء.

وتستمر الأنفس في تشاحن، وخصام، وعدم توافق، بين الأخ، وأخيه، أو الأخت، واختها، أو أخيها، بسبب رغبة أحدهم في الاستئثار بحصة وافرة ليست له، من إرث، أو شراكة، أو ما شابه ذلك، وتصل الأمور بهم أحياناً إلى حد القطيعة لأشهر، أو سنوات، وقد يموت أحدهم دون التمكن من تصفية النفوس، وتطيبب الخواطر وإرضاء القلوب، وإرجاع المياه إلى مجاريها الطبيعية كما يُقال، لِيُخْلَفَ ذلك حسرة لا تنتهي، وندامة لا تنقطع، تستأثر كثيراً بقلب من له قلب، من الأحياء، أو ألقى السمع وهو شهيد.

وتغضب الزوجة حد الوجع من قيام زوجها بالزواج عليها، بعد أن بذلت الغالي والنفيس من أجله، خلال الأيام الصعبة والبدايات الممهورة بقله الامكانيات المادية، وضعف الموارد، وربما الفاقة، وقله ذات اليد، في الوقت الذي كانت تحسب أنه قد آن الأوان للاستمتاع معه بقطف ثمرة الصبر، والإخلاص في العمل، والنجاح، ثم ينطوي قلبها على لوم لا مثيل له، لصدقها في الأيام الخوالي، وعلى وعد غير مقطوع بأن لا تنسى الإساءة، وأن لا يكُف الجرح، جرح قلبها عن النزف، مهما بذل الحبيب من بوادر الاعتذار، والندم، محاولة منه لإصلاح الخطأ الذي من وجهة نظرها لا يُعْتَفَر.

أشياء، وأمور، وأحداث، من هذا القبيل، وأفعال سيئة يقوم بها

الأقارب، أو الغرباء، في حق الإنسان، ويحسب أنها لا يمكن أن تُنسى، ولا تُغتفر، وأنها غير قابلة للتسامح، بسبب ما أحدثته من جروح، وما خلفته من شروخ، وآلام، وإشقاء للنفس.

لكن في طريق البحث الدءوب عن السعادة المنشودة يتساءل الإنسان عن الاكسير الذي يُبطل مفعول هذه المنغصات ويمحوها محواً، ما هو؟!، ثم يجده في كلمة واحدة قوامها سبعة أحرف هي: "أ ل ت س ا م ح".

فلنجعل الصوت الذي يشغل دواخلنا، ولنجعل قوام وجودنا، ولنعلن بروقه الأخاذة على من أخطأوا في حقنا، حتى يتسنى للجميع نسيان الماضي، بكل احباطاته، وآلامه وجراحاته، ومآسيه.

لنحارب الأنا، والخوف اللذين يسكنانا، ويعطّلان هذه الأداة الفاعلة عن القيام بدورها لإسعادنا، ولنكف عن مقاومة الحب، والتسامح، ولنبدلهما لمن حولنا بغير شروط، ولنجعل معاونة بعضنا البعض على محو الأفكار السيئة، من أولى أولوياتنا وأهم مهامنا، وليكن ذلك من خلال توظيف القدرات الهائلة التي تنطوي عليها منظومة الحب، والتسامح، التي بإمكانها جلب المرح للإنسان، بدل الحزن، والسلام، بدلاً عن القلق والغضب، والسعادة، بدل الشقاء، والإحساس بالحرية الشخصية الحقيقية، والتفائل، والأمل، والتحرر من الماضي المؤلم، والعيش في الحاضر الزاهر الجميل، بكل جوارحنا.. حتى يُتيح لنا كل ذلك فرصة التوقف عن استحضار الغضب، واللوم، وحتى تخمد معاركنا الداخلية التي لا تتوقف مع أنفسنا، وحتى نتعرّف على حقيقة

أنفسنا وعلى ما يُساعدنا على ممارسة الحب الحقيقي غير المشروط،  
وبهذا نُغيّر من الطريقة التي نرى من خلالها العالم والناس.

ولنحافظ من خلال ذلك على أجسادنا، من أن تُصاب بقرحة  
المعدة، أو ارتفاع ضغط الدم، أو السرطان، أو السكر أو غيرها، وعلى  
أنفسنا، وقلوبنا، وعقولنا، وأرواحنا، من أن يصيبها الخوف، والتوتر،  
والقلق، والهَم، والحزَن، والاكتئاب، وغير ذلك من الأمراض النفسية،  
المعروفة، وغير المعروفة.

لنتخيل الوئام، والسلام، اللذان يُمكن أن يعما كوكبنا الجميل  
هذا، إن نحن سامحنا الآخرين، وعفونا عن تقصيرهم، وصفحنا عن  
زلاتهم، وكففنا عن لومهم، وإصدار الأحكام عليهم، والشكوى منهم.

فهل نفعل!!؟

ذلك أمر مؤمّل حتى يسعد الجميع.





12



أنا ثم من بعدي الطوفان!



إن عدم القدرة على تكوين علاقات شخصية سليمة ومعافاة قد تصاعد بشكل درامي بمجتمعنا في السنوات الماضية.

وأصبح الإنسان فضاً غليظاً - إلا من رحم ربك - لا يُرَكِّز إلا على نفسه، ولا يُعطي أدنى اهتمام للآخرين.

بل يتمثل ويُطبَّق تلك الفلسفة الميكافيلية المملوءة غطرسة وأنانية والتي تقول كلماتها: "أنا.. ثم من بعدي الطوفان".

ويحاول الوصول إلى المركز الأول مهما كلف الأمر، ولو كان ذلك على حساب إقصاء الآخرين من مواقعهم بالقوة والعنف، المادي والمعنوي.

ومما لا شك فيه أن تبني هذه الفلسفة يدل دلالة واضحة على ذلك الكم الهائل من التعاسة والبؤس الذي يعيش بين برائثه ذلك الإنسان الشقي.

ذلك أن التركيز على الذات، والتلاعب بمشاعر الآخرين، وتخويفهم، أو ترهيبهم، وتجاهل احتياجاتهم، من الأمور التي لا محالة تُقصي الإنسان، وتُبعده عن دائرة اهتمامات الناس، وتجعله وحيداً في عالم موحش بغيض، هذا بالطبع مع تحقق سخط الله تعالى عليه، وغضبه.

إنه لتغيّرٌ مُدهش، ومثير ذلك التغير الذي يقود الإنسان إلى الانتقال من التركيز على ذاته إلى التركيز على الآخرين ومحاولة مساعدتهم.

وهناك قاعدة ذهبية في التعامل الناجح مع الآخرين توصل إليها الحكماء تقول: "يمكنك أن تحصل على ما تريد من الحياة إذا كنت ستساعد الآخرين في الحصول على ما يريدون منها".

وقديماً قال الشاعر الحصيف:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم لطالما استعبد الإنسان إحسانا  
وأبلغ من ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

13



انكسار قلب



تحاول أحياناً إخبار شخص ما بأنك تهتم به، أو تأنس لقربه، أو تسعد بالتواصل معه، أو حتى تحبه.

تحاول أن لا تُخفي صدقك، فتبوح له بما تنطوي عليه أضلاعك، من مودة ووله وشوق، وتحاول أن تُعبّر ببساطة، وجرأة، وبصوت مسموع، عما يدور في دواخلك، وما يجتاح كيائك، من مشاعر رقيقة، وأحاسيس مرهفة، وحميمة تجاه ذلك الصديق، أو العزيز، أو الحبيب.

وبدلاً من تلقيه لهذه الرسالة الإيجابية بالامتنان والشكر والعرفان، وبدلاً من أن يُقدّر مشاعرك حق قدرها، ويُعاملك بالمثل إن لم يكن أكثر، امثالاً للسلوك السوي المتمثل في رد التحية بمثها أو أحسن منها، والتماهي مع المعروف بما لا يقل عنه، كما هو دأب المتعاملين برقي، وأدب الأصدقاء، والمتوادين، والمتناجين، بدلاً من ذلك تجده يتلقى رسالة سلبية، فلا يعتبر فعلك عربون صدق، ولا دليل على تطور مشاعر الود، وترسّخ معاني الحب في نفسك نحوه، بل يُشكّك في مصداقية فعلك وكلامك، ويفهم منه غير ما قصدت، ويُعاملك على أسس وضيعة، لا ترغب في التعامل وفقها.

تحاول إيضاح الحقيقه، لكنه لا يُبالي بصبرك، ولا يُقدّر ترفّعك عن معاملته بالمثل، يتمادى في شكوكه وصلفه وعناده، بله حتى يتلبّس بالعدوانية، والانزعاج بشكل يُضفي به إلى تجاهل التواصل بك.

ولأنك بشر، ولأنك ذو احساسات شفيفة، ومشاعر مرهفة، ينكسر قلبك وتكون استجابتك أيضاً الانزعاج، والانكفاء على الذات، والاكتفاء بمحاورتها، لتأنيبها على حفرك على صدق البوح.

وتسقط مجدداً دون حول منك، أو رغبة، في بؤر الوحدة المفزعة،  
وتراودك نفسك كثيراً على الانسحاب من بهاء التواصل الواسع المحبَّب،  
إلى أتون العزلة البغيضة، الكريهة، الضيقة.

وتعيش صراعاً مُرّاً، ومُمّضاً، بين رغبتك في الإقدام، والاستجابة  
للظروف التي تُملِي عليك التراجع، أو تحميل ذلك الشخص الذي لا  
تستطيع إلا إعزازه وحبه - مهما بدر منه أو، صدر عنه - مسؤولية ما قد  
يتولّد عن هذه المشاعر من ترسبات كريهة، وضغائن موجعة، قد تصل  
إلى درجة القطيعة التي تقضي على كل أمل لك في تواصل تُعده من  
مكاسب هذه الحياة وفضائلها، وتروم من فعلك تحقيق السعادة والهناءة  
للطرفين.. ويُشجّعك على المُضيّ قُدماً في هذا الاتجاه هاجس يؤكد لك  
أن فعلك سيكون مخرجاً سهلاً ومُبرّراً، وإن كان ليس الأكثر حكمة دائماً.  
ثم تتذكر أنك عندما تُعلن الود والحب على الآخر، فإنك بذلك  
تنتهج استراتيجية تعي من خلالها أن القدرة على الحب سمة بارزة  
من سمات الإنسان الراقى، المتحضر، الصالح المؤمن.

ولا تلتفت إلى ردود الأفعال السيئة، لأنك أيضاً تعي أن الإنسان لا  
يُعد إنساناً إلا بمقدار ما يقدر عليه من الحب، حُبّه لخالقه تبارك في  
علاه، وحُبّه للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وحُبّه لفضائل ديننا  
الإسلامي الحنيف، وحُبّه لنفسه، وحبه للآخر المؤمن، القريب والصديق  
والعزيز، والحب له ما تحبه النفس مصداقاً لقول المصطفى صلى  
الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه"،  
وحبه الخير للمخالف غير المعتدي وحبه للأشياء التي خلقها الله في



هذا الكون الفسيح وأمرنا بالتفكير فيها واستجلاء العبر والدروس من  
حكمة خلقها والاستفادة منها بما يحقق رغد العيش، وسعادة القلب.

وتتذكر أيضا أنك عندما تُعلن الحب والود على الآخر فإن  
ذلك لأنك تعي أن الحب حالة مثل كل الحالات التي تتلبس الإنسان،  
والنتائج التي تنتج عن مجموعة من أفعاله، أو المشيرات التي تصدر  
عنه، عندما يتم إدراكها، أو تصويرها بطرق معينة، وتعني أيضاً أن  
الإنسان يقع فيه عبر الاتصال بكل الأشياء التي يُحِبُّها في شخص  
معين، والانفصال عن الأشياء التي يكرهها فيه.

وتدرك أن البعض يُعده شعوراً غير متزن، إذ أن أحدهم يطلقه  
على شخص ما، ويعتبر أن في العناصر التي تُشده لذلك الشخص  
إثارة جمّة، بينما يرى آخر أن تلك العناصر عيوب لم يعيها المحب  
في محبوبه، بسبب وطأة الانفعال، وكثافة الشعور، وانثيال الأخيلة،  
والأشواق، والصور.

تُدرك كل ذلك وأكثر، لكنك تُؤكّد لنفسك أنك لا تستطيع إلا أن  
تُحِبّ، ومجدداً، ودونما خجل، أو وجل، تُعلن أنك لا تستطيع تغيير  
أطباعك.. فالحب بالنسبة إليك هاجس، وأمل، ومصدر سعادة لا تنتهي،  
إلا بانتهاء الحياة، وانطفاء الروح، وهمود الجسد.

ومع إشراقة كل شمس، وانبلاج كل فجر تنتظر تفهّم الحبيب  
الغالي، ومع كل سرحة وروحة طيور هذا العالم الجميل ستنظر تحليق  
مودته صوب قلبك، ستنظر ذلك كلما غرّد في الأفق طائر.. وكلما  
هدلت في الفضاءات الحمائيم، التي يُرطّب هديلها القلوب المتعبة..

ستظل بشوق لسماع صوته النقي وشدوه العذب، ولن تياس.

ومع استيقاظ كل طفلة، وطفل، وفتى، وفتاة، وطالب، وطالبة، في هذا العالم الرحب الواسع، تأهباً للذهاب إلى مدارسهم، والمعاهد، والمحاضن التربوية التي يرتادونها، طلباً للعلم، الذي يُعلي من شأن الإنسان، ستنتظر الإطالة البهية لمن تُحب، ولن تملّ، حتى لو طال الانتظار.

نعم لن تملّ، ولن تكُف عن البّوح لحبيبك بصادق مشاعرك، وبصوت مسموع كأنه تعاتيب خلان، تردد أنك ما تزال تعلن عليه الحب، ولا تشك في أن ستهطل حبات مطرك الهتان في أرضه، التي تتسم بالخصب، والمتعشة دوماً، لروعة الحياة.

14



بحور الأمانى: كل ما يتمنى المرء  
يدركه!



الأمانى بالنسبة للإنسان مثل بساط الريح، يمتطيه للارتقاء، والصعود صوب الأماكن المسحورة. تخترق دواخله توقاً للصعود صوبها. هي مثل الشعاع، يتسلل إلى أعماق الظلام، فيجلوه، ويكشف حُجبه، ويذهب أستاره، ومثل قوس قزح، يلوح في الأفق، فيزينه بأشعته، الطيفية، رائعة البهاء، أخاذة الجمال، وهي مثل وصفة سحرية، يتعاطاها المرء أحياناً، لتسكين أوجاع مبرحة، أضناه البحث لعلاجات لها.

وهي كثيرة، تعتمل في الأنفس، وتتجذر في الدواخل، ولا يرتوي للإنسان منها ظمأً، ولا يسكن له فيها جوع، ومن لا يملكها يعدّ مثل طائر مهيض الجناح.

منها ما هو مستحيل التحقق، ومنها ما هو مُمكن، ومنها ما هو بين بين، وتحقق إحداها، يُغري النفس، ويقودها إلى الانفعال بالرغبة العارمة في تحقق المزيد منها.. إنها تتنامى باستمرار، ويتعاطاها الجميع بدون استثناء، وتتربّع على عروش غالبية قلوب الصغار والكبار، الذكور والإناث، ذوي المناصب الرفيعة، وأصحاب الأخرى العادية والمتواضعة.

فيها ملاذات آمنة للقلوب المتعبّة، كما تلك التي يُبهجها العيش، وتتوق إلى الاستمتاع بالمزيد من المتّع، والمبَاهج، التي تهفو إلى الاستمتاع بها، وتعمل جادة للفوز بها، ونيلها.

ولقد اعتاد الكثيرون منا على ترديد بيت الشعر الشهير:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

للتعبير من خلال كلماته عن حالات العجز التي قد يُمنون بها، عند محاولاتهم تحقيق أمنية من الأمناني، أو حلم من الأحلام، أو تطلّع من التطلّعات، ولتعزيزتها إذا عزّ بالحلم والأمنية اللقاء.

وهذا الأسلوب من أساليب التعبير في نظري خاطئ، لما ينطوي عليه من صيغة تشاؤمية، وما يتسم به من ميل إلى اليأس، والقنوط، والإحباط، لذا نحتاج إلى تغييره، إلى ما يشي بالتلبّس بالإيجابية، والتفاؤل، والأمل، حتى في أحلك الظروف، وأصعب المواقف، ومهما كلف الأمر.

إن التلبّس بمشاعر الأمل، والتفاؤل، والتطلّع للأفضل، من أبرز سمات الإنسان المسلم، على وجه الخصوص، والإنسان إيجابي التفكير عموماً، ولن يخسر الإنسان عندما يتوقع حدوث الأفضل، ولا عند حصوله عليه، ولا حتى عند عدم حصوله على مناه، ورغباته، وأمنيّاته، بل هو سيخسر حتماً الكثير، عندما يتلبّس بمشاعر التوقّع على الذات، والتشاؤم، وتوقع الأسوأ، واستحالة تحقق الأمور التي يعيش من أجل تحقيقها، أو تحقيق بعضها.

فلنجرّب منذ اليوم أن نُعيد صياغة بيت الشعر الشهير ونقرأه على طريقتنا المتفائلة، غير اليائسة من رحمة الله تعالى، فيكون:

كلما يتمنى المرء يدركه

ولا يخشى أحدنا أن يضبط نفسه ودواخله متلبّسة بارتكاب أمنية، مهما خطر بباله أن تحققها بالنسبة إليه قد يكون في عداد المستحيل، وليتذكر أن صاحب الأهداف الصغيرة لابد سيحقق إنجازات ضئيلة،

أما من يفكر في أهداف كبيرة، ومن ينطوي قلبه على أمانٍ، وأحلام وتوقعات إيجابية، وتطلعات كبيرة متفائلة، ويَتَّبِع الأمانى بالعمل المخلص الجاد، فسيفوز بنجاح هائل هو أهل له. إن شاء الله تعالى.

وليتذكر كلاً منا أن النجاح تركيز لجميع قوى كيانه على ما يتحرَّق شوقاً، ورغبة في تحقيقه، وأنه إذا أراد أن يصنع شيئاً رائعاً مميزاً تتوق إليه نفسه، بينما هو يعيش على هذا الكوكب الجميل، فليس هناك بإذن الله تعالى شئ على الإطلاق يمكنه منعه من صنعه، وتحقيقه، وإن واجه ما واجه من صعوبات، وعقبات، وعوائق، ومشكلات.

وليبذل كلاً منا ما يستطيع بالأسلوب الذي نُطلق عليه بالعامية: حبه.. حبه، وليخطو الطريق: خطوة.. خطوة، وليصعد سلم المجد: درجة.. درجة.. ليُجرب أن يكتشف في عز الشتاء دفء الصيف بداخله.

ليُحافظ على دهشة الطفل المسكونة بها دواخله، مهما تقدّم به العمر، ليبقى مبدعاً متفائلاً بجودة الحياة، متفاعلاً مع من حوله من الأحياء والجمادات.. وليتذكر أن الأمانى والأحلام والتوقعات تتحقق بالفعل، فقط إذا كانت رغبته فيما يريد الحصول عليه بالقوة الكافية، وإذا كان مستعداً للتضحية بجزء مما يملك من الوقت، والجهد، والمال، أو غير ذلك من لوازم التفوق، وعناصر النجاح، ومقتنع بأنه يفوز بالثمرة من يريدها بشغف أكثر، لا من يُجيد القفز إلى الأعلى فقط.

وليتذكر من يُجدّف عكس التيار أنه لا داعي للخوف مطلقاً إذا ضربته العاصفة، أو ظن أنها اجتالته الريح، وكلما يحتاجه هو أن يحصل على نفس عميق، ثم ينحني للعاصفة، وينحرف عن المواجهة

قليلاً، ثم يبدأ التجديف من جديد، وسينجو وسيصل بإذن الله تعالى إلى وجهته، وسيتمكن من الفوز ببغيته، ويحقق أهدافه، ومُنَاه.

ثم ليسأل نفسه هذا السؤال بصدق: بحار بلا وجهة. لماذا يأمل في ربح مواتية؟!!!



15



كن صديقي



تحظى الصداقة باهتمام واسع المدى من الناس منذ قديم الزمان، نظراً للمكانة العظيمة التي شغلتها في نفوسهم، بوصفها قيمة إنسانية عظيمة الأثر، في حياة الفرد، والجماعة، والمجتمع، وهي إحدى الحاجات الضرورية للإنسان، خصوصاً في وقتنا المعاصر المتسم كثير من أهله بالطبيعة، والانكفاء على الذات والانعزال عن الآخر.

والإنسان مدني اجتماعي بطبعه، كما يقال، لا يستطيع العيش بمنأى، ومعزل عن الآخرين، لذا فهو في الغالب الأعم تواق لتوثيق عرى الصداقة بالآخرين، مهما كلفه الأمر من تبعات، ومعنوية ومادية، ومهما حالت دون ذلك صعوبات الحياة، وبُذلت في سبيله التضحيات الجسيمة، وهو لا يستطيع بأثر الفطرة والتطبع العيش بلا أصدقاء، مهما توفر له من إمكانيات مادية ومعنوية، ومهما بلغ في ذرى المجد، وحاز من قصب السبق.

الأصدقاء هم الملاذ الآمن، الذي يلجأ إليه الإنسان بعد الله جل وعلا، عند الشدائد، ولدى حلول المصائب، والضائقات، وبالمثل في حال التلبس بلبوس النعمة، والتحلي بحُلل البسط، والرخاء، والعافية، والمرء يحتاج إلى أصدقائه، في حالي السعادة، والشقاء، فعند الشقاء، يحتاجهم ليقدموا له المواساة، والعزاء، والتفهم، والنصح، والدعم، والمساندة، والعون، بأشكالها المادية، والمعنوية، كما أن حضورهم في حد ذاته يبعث على السرور، والغبطة، والامتلاء الوجداني، أما في حال السعادة فتنتعش حاجة الإنسان إلى من يشاركه سعادته قلبه، وأفراحه، ويرتع معه في مروج لهوه، ويبارك في الخير مسعاه.

والصداقة الحقّة ضرورية للشاب، لأنها تُمدّه بنصائح الآخرين، وتحميه من الوقوع في مهاوي الزلل، أو اتخاذ قرارات خاطئة، حيال شؤون حياته، وهي مهمّة لكبير السن، عندما يتقدم به العمر، ويضعف لديه البدن، فيكون أحوج ما يكون، إلى مساندة الآخرين، ودعمهم.

والأصدقاء يُعدّون من خير مكاسب الدنيا، وهم من بعض، وأهمّ زينتها، ولقد أثار عن الفيلسوف أرسطو أنه يميز بين ثلاثة أسس للصداقة أولها: المنفعة، وثانيها اللذة، وثالثها الفضيلة، ويضيف: أن صداقة المنفعة صداقة عرضية تنتهي بانتهاء الفائدة منها، أما صداقة اللذة فتتعدّد بسهولة، وتنتهي بسهولة، بعد إشباع اللذة، بينما تُعدّ صداقة الفضيلة أفضل الصداقات، وهي الأكثر ديمومة، وبقاءً، وتأثيراً على المرء، والآخر، وبيقين تكون الصداقة أكمل، عندما تتوافر لها الأسس الثلاثة المشار لها أعلاه.

إن الصداقة الحقّة لا تتشكّل بسرعة، ولا تنضج، ولا تكتمل، إلا على مدى الزمن، وبتعدد الأحداث، والرسوخ في المواقف، والثبات في الملمّات، والبعد بين الصديقين لا يقطع الصداقة، ولكنه يوقف مظاهرها، إيقافاً مؤقتاً، أما الغيبة الطويلة فيمكن أن تنهي الصداقة، بفعل النسيان، وبأثر انخراط المرء في علاقات أخرى، قد تكون أكبر جاذبية، وأشدّ وهجاً.

للصداقة والصديق تعريفات لا حصر لها، فبعضهم يرى أنها تعني الصدق، وأن صديقك من صدّك، لا من صدّك، وهناك من يقول بأن الصداقة تعني اتفاق الضمائر على المودة، وانطواء القلوب

على نوع متفرد من الحب، وآخرين يرون بأن الصداقة قد تسمو على القرابة، وربما على صلة الرحم، وهناك من يرى أنها علاقة مميزة ووثيقة بين شخصين، أو أكثر، تتسم بالجاذبية المتبادلة، المصحوبة بمشاعر وجدانية، مخلصه، وصادقة.

أيضاً هناك من يرى بأن الصداقة علاقة تتميز بوجود قدر من الاعتماد المتبادل، يجري بشكل إرادي، ويسمح بالتفاعل الشخصي المباشر، والمتفرد، ويترتب عليه أن يكون تفكير كل طرف، في خطئه، ونشاطاته، معتمداً إلى حد كبير، وبعيد، على تفكير الطرف الآخر، في نفس الأمور، وبدون قيد، أو شرط، أو ضغط خارجي، وإنما انسياقاً خلف الآثار التي أحدثها الانسجام بين المنتمين لهذه العلاقة الإنسانية المميزة.

وفي ظل هذه العلاقة الإنسانية السامية يحصل الأصدقاء على فوائد متنوعة تشمل المساندة، والتشجيع، والتحقق من صحة الأفكار، والآراء الشخصية، وتلاقحها، والتنبيه على أفكار، ومعارف، ومواضيع ربما لا تقع في دائرة اهتمام المرء، أو لا تسمح ظروفه، لسبب، أو لآخر بتعاطيها، ومعرفتها، بالإضافة إلى الانتفاع المباشر، بتسخير طاقة الصديق المادية، والمعنوية، لخدمة الصديق الآخر، إلى غير ذلك من المنافع التي لا يمكن حصرها.

في ضوء ما سبق يمكن تعريف الصداقة بأنها علاقة اجتماعية وثيقة تقوم في الغالب على مشاعر الاحترام، والتقدير، والحب، والجاذبية المتبادلة بين شخصين، أو أكثر، وتميزها عدة خصائص

من بينها: الاستقرار، والدوام النسبي، والتقارب العمري، في بعض الحالات، وتوافر قدر من التماثل بسمات الشخصية، والقدرات العقلية، والاهتمامات، والتفضيلات، والاتجاهات، والقيّم، والظروف الاجتماعية، وغيرها.

إن اختيار الصديق، قضية تعد من أبرز القضايا المهمة للغاية في حياة المرء، والتي يجب أن لا يغفل عنها، ذلك أن "الصاحب صاحب" كما يقول المثل القديم. لكن الملاحظ أن الفرق كبير جداً بين طريقة اختيار الصديق في الزمن الماضي، وزمننا الحاضر، ففي الماضي غالباً ما كانت تتم عملية اختيار الصديق، بتأني، وعن قناعة، وثقة تامة، وخبرة، ودراية، وأنه يُعدّ مكسباً كبيراً، لمن يحظى بصداقته، وبعد معرفة كل الصفات الطيبة التي يتصف بها، والسلوكيات الحسنة التي يمارسها، وعلى رأسها الاستقامة، والأمانة، والنزاهة، والطيبة، والوفاء والتعاون، ومحبة الخير للآخرين، وأن لديه القدرة على مراعاة مشاعرهم، والإحساس بأحاسيسهم، وآلامهم، ومعاناتهم، والتلبّس بالعطف عليهم، بينما نرى في هذا الزمان أن البعض يختار صديقه بالصدفة، وبدون مبالاة، وبسرعة هائلة، لا يكون الاختيار وفقها مبني على معايير واضحة، وأسس محددة، وبدون النظر لما سينتج عن هذه الصداقة مستقبلاً، لذا من غير المستغرب أن النتائج قد تكون سلبية، إلى حدود كبيرة، إن لم تكن كارثية، بالنسبة لكثير ممن يختارون صداقاتهم بالطريقة الأخيرة، وخصوصاً لمن تعارفوا عبر مواقع الانترنت، ووسائل الاتصال الحديثة الأخرى.

وللصداقة الحقبة المثمرة شروط منها: الموافقة في الاعتقاد،

والتقى، والدين، والعقل، وحسن الخلق، والصلاح، والكرم، والصدق، والإخلاص، ولها آداب وبروتوكولات -إن صح التعبير- يجب أن يسعى المرء لمعرفة، ومعاملة صديقه وفقاً لها، منها أن يحب الخير للآخر، كما يحب لنفسه، وأن يعامله بأخلاق نفسه راقية المستوى، لا بأخلاقيات الآخر، التي قد تكون متذبذبة أحياناً، وأن يتسم بغيرة منضبطة يترك وفقها للآخر فرصة مصادقة من شاء من الناس سواء من الأصدقاء أو الأعداء، وأن يكون الإقبال على الصديق بحساب حتى لا تنتج السامة والملافة عن كثرة الاختلاط به وقد قيل في المثل: "زر غباً تزدد حباً"، ومن المعروف أن الناس يحبون في الغالب من يعاملهم وفق منظومة الأخذ والعطاء، لذا كلما كان المرء سمح النفس كريم اليد نظيف القلب كان ذلك أكثر تمكيناً له من كسب قلوب الآخرين وامتلاك مشاعرهم الطيبة، ومن المهم أن يتوج الصديق أقواله بالأفعال التي تُصدِّق ما يقول خصوصاً في أوقات الأزمات والطوارئ والملمات، ولا بد للمرء أن يكون سمحاً قادراً على إيجاد المعاذير للناس واختلافها أحياناً.

ومن الحقوق الواجب التحلي بها مع الصديق السلام عليه عند لقائه وإظهار البشاشة والسرور والتبسم في وجهه استبشاراً برؤيته وتحيته بما يشعره بالطمأنينة والأمان والوئام والسلام، ومناداته بأحب الأسماء والكنى إليه، ومعاملته معاملة حسنة وإسباغ التقدير المُخلص عليه وإشعاره بأهميته وإيصاله لاستشعار هذا الأمر المهم عن نفسه، وتشجيعه على الحديث عن نفسه وبث شؤونه وشجونه، ومنها أيضاً المسارعة إلى بسط يد المساعدة إليه في حال احتياجه سواء كان الاحتياج فكرياً من خلال إسداء النصح المُخلص وتقديم المشورة

الصادقة له بأسلوب لطيف وكلام طيب لين، أو مادياً ببذل المال الذي يحتاجه على سبيل الهبة أو الصدقة أو الهدية أو السلفة، أو جسدياً بالمعاونة لأداء عمل معين أو تدريبه على أدائه أو توجيهه لتحسين مهاراته فيه، والتخفيف عنه في حال حدوث الضوائق والمكاره، ومنها كذلك المحافظة على الأسرار التي قد يبوح بها، وستر العيوب التي قد تتجلى، أثناء المخالطة، كنتاج للتبسط، والثقة، وتزداد أهمية هذا الأمر، في أوقات الاختلاف، والخصومة، إذ أن البعض ينتهك حرمة الأسرار في هذه الفترة العصبية، واعتبارها فرصة لتصفية الحسابات، ورد الاعتبار، ومنها كذلك الثناء عليه بما يتصف به من الفضائل والمكارم، وعدم نقل الإشاعات، والأقاويل المفرضة إليه، سواء ما كان منها متصلاً بشخصه، من قدح الناس فيه، وذمهم له، أو ما ينتشر على وجه العموم، بهدف إحداث البلبلة في النفوس، وإحداث الخلل في الصفوف المتراسة، وزعزعة النفوس المتألفة عما ألفت من ثوابت راسخات، وإبلاغه بما يسر من الأقوال، والأفعال، التي تبعث على التفاؤل، وتزيد النفوس امتلاءً بالحماس والأمل وترقباً لقدوم الخير، وسموق التقي، والصلاح، ومنها أيضاً الإقبال عليه بجماع القلب، إذا أقبل، وجعل السمع مرهفاً، حتى يتسنى الإصغاء إليه، إذا تحدثت، احتراماً، لمقامه، ورغبة في الاستفادة من تجربته الإنسانية، بشكل عام، وما يميزه، على وجه الخصوص، إذا كان بارعاً، في فن من الفنون، أو متقناً لحرفة من الحرف، أو مجيداً لعلم من العلوم، ومنها كذلك شكره، إذا برّع، وأخلص في الأداء، ومكافأته، مادياً، ومعنوياً، والإهداء إليه، لاستيقاء وده، والاعتذار إليه، عند ارتكاب خطأ بحقه، وقبول عذره،



إذا أخطأ، وتقصيره إذا قصّر، والعفو عن زلته، ومسامحته، من القلب، والصبر على أذاه، وعدم توجيه اللوم له، أو تعنيفه، وعدم تصديق ما يقال عنه في غيابه، والدفاع عنه، والذب عن عرضه، والحفاظ على حرماته، والوفاء لأهله، والقيام بأعبائه، بدلاً منه.. خصوصاً في حال غيبته، أو انشغاله، بسبب أي طارئ، أو عارض، ومعاتبته إذا تم الاختلاف معه، حول أمرٍ من الأمور، والامتناع عن مجافاته، والابتعاد عنه، فضلاً عن قطع الصلة به، نهائياً، نكايه به، وعقاباً على خطأ ارتكبه.

والصديق، لا يُعرف حق المعرفة، كما يُقال، إلا في أوقات الضيق، والأزمات، وخلال مرور الإنسان بمواقف عصيبة، قد تتبدى حاجته المادية، وتتكشّف أحواله المستورة، لكن قد تكون حاجته أكبر، وأكثر للمساندة المعنوية، فالحصول على المادة لم يُعد بحمد الله عسيراً، عند كثير من الناس، خصوصاً في هذه الأيام، أما الحاجة النفسية، فيزداد إلحاحها، مع ابتعاد الإنسان عن ذويه، واغترابه في المدن الاسمنتية، وضعف الجيرة، وعدم توثق الروابط، بالمحيطين، وتسارع رتم الحياة، وابتعاد الناس عن بعضهم البعض، ومن أعجب العجب أحياناً أن يكون حول المرء في أوقات الطوارئ والملمات أشخاص لم يكن يعدّهم من أصدقائه، لكنهم يقفون معه، ويساندونه، وربما يضمرون في نفسه أن لا يألو جهداً في الاحتفاء بهم، والاهتمام بمسراتهم، وأفراحهم، ومواساتهم، في أتراحهم، وأحزانهم.

بالطبع يحسن بالإنسان أن يسبر أغوار صديقه قبل إعلان الصداقة الخالصة عليه، فهي أمر لا يسوغ ابتداله، وشرف لا يسوغ أن

يُعطي لكل أحد، ومن المؤلم أن الإنسان قد يمر بتجارب فاشلة مع بعض أصدقائه، وينخدع أحياناً، بحيث يمنح ود قلبه، وصفو مشاعره، لمن لا يستحق، لكن للأسف لا معرفة حقة للآخر، إلا من خلال الاحتكاك به، والتعامل معه، ووضعه على محك التجربة، والاستفادة من أخطائه، والاعتبار مما يستجد، خلال ذلك من دروس، وعِبَر.

إن الإنسان يُمر في حياته بأحوال مختلفة، فمرة يحس أن فضاءات الدنيا على رحابتها، وشساعتها، لا تستوعبه، بسبب امتلائه بمشاعر السرور، والفرح، ثم بعد ساعة، أو جزء، أو أجزاء منها، قد يجد نفسه، وقد نجده حزين القلب، منقبض الفؤاد، غاضباً، ربما على الدنيا ومن فيها، وبعد البكاء، قد يكون الفرح، والرضا قد يعقبه السخط، واليقين قد يعقبه الشك، والثقة قد تنال منها اللاتقة، ولذا لا بد أن يكون الصديق متفهماً لتقلب أحوال صديقه، وتبدل مزاجه، وأن يكون راغباً في التعايش معه، خلال تلبسه بكل أحواله، بما فيها عندما يكون معتل المزاج، متقلب الأطوار، وبدون هذا النوع من التقبُّل، سيجد المرء نفسه، وحيداً، بلا أصدقاء، وبلا أحبة. هذه في الواقع هي بشريتنا، وهذا هو ضعفنا.

كم هو جميل أن يترك الإنسان، من خلال هذه العلاقة الإنسانية الراقية الطيبة أثراً تخلد به ذكراه، ويبقى من خلالها عطر سجاياء، فواحاً، بالرغم من مرور السنين، وتتالي الأيام.

إن الصداقة أمر جميل للغاية، ومن النادر إن لم يكن من المحال أن تكتمل حياة إنسان، ليس له أصدقاء، لذا لا أستغرب أن أحد الأمثال

المتداولة في القرية التي تُعد مسقطاً لرأسي يقول: "معرفة الرجال تجارة". هنا أختم بذكر قصة طريفة أتذكر أنني سمعتها عندما كنت صغيراً حكاها لي أحد كبار السن من الأقارب يرحمه الله للتدليل على أهمية الصداقة، وسبر أغوار الرجال ومعرفة أحوالهم، وما يزال دوي أصدائها يتردد في أذني ما امتلكت الوعي. قال يرحمه الله: هناك شخص له أكثر من ولد، وقبل أن توافيه المنية، جمع أولاده حوله، وقسّم تركته بينهم وفقاً للشرع، لكنهم عندما طلبوا منه النصح، كان من بين وصاياه أن أوصى "الأبناء" منهم أن يُنفق كلاً منهم "جُل" ثروته، وإن أمكن "كلها" لبناء "حصون" (قلاع) في القرى الأخرى، القريبة، والمجاورة، والبعيدة قائلًا: ليبنى أحدكم لنفسه في كل ديرةً حصناً، وعندما طلبوا منه تفسيراً لقصده امتنع عن ذلك رغبة في أن يترك لهم فرص إعمال الفكر، واستثمار بروق الدهاء، والفتنة، لمن أوتي حظاً منهم، والحصن كما قد يُعلم نوع من أنواع القلاع بناها الأجداد يرحمهم الله على حدود المدن الصغيرة والقرى وفي أعالي المرتفعات لحراستها وأهلها من الأعداء. أنفق عدد من الأبناء غير قليل من ثروتهم في بناء عدد قليل، محدود، من الحصون، ثم لما شارفت ثروتهم على الانتهاء، وشعروا بأنهم لم يستفيدوا شيئاً توقفوا متسائلين عن الحكمة مما كلفهم به أبيهم؟!، أما أحدهم فقد أعمل فكره في وصية والده وفطن منذ البدء إلى أنه كان يقصد أن يكون له صداقات، في طول البلاد، وعرضها، فراح يُنفق المال بحساب، لإكرام الناس، والاحتفاء بهم، والتعرف عليهم، ليكونوا دفناً لقلبه عند حاجته لهم.

فلنكن أصدقاء.



16



الغوص في سحابة سحرية!



الوقوف في الحب مثل الغوص في سحابة سحرية، حيث يشعر الإنسان بالهواء أكثر إنعاشاً، ومن خلاله تُصبح روائح الزهور أطر، ومناظرها أجمل، يُصبح للطعام مذاق خاص، بالتأكيد أفضل، تتلألأ النجوم في السماء أكثر مما هي عليه في حقيقتها الواقعية، ويشعر الإنسان أنه خفيف، سهل الحركة، كأنه يسبح في فضاء الحياة، الرحب، الواسع، الجميل.

ومعه لا أهمية للمشكلات، ولا للتحديات، والصعوبات في حياة الإنسان، بل يمكن تجاوزها، أو التعايش معها بكل يُسر، وسهولة، واقتدار، ومعه يشعر المرء بأن الحياة تُدب في جسده، وعندما يستيقظ في الصباح ترسم على وجهه ابتسامة أخاذة معبرة عن الرضا، والفرح، والسرور، ويجد نفسه متلبساً بحالة من النشوة الحقيقية، والسعادة الغامرة.

إن الحب شعور، وأفعال تخرج من أكثر الأماكن حساسية، كالقلب، ومع ذلك فإن إقامة علاقة حب مشروعة عملية يمكن تعلمها، بحيث تسمح للمشاعر المصاحبة بأن يتم تجربتها، وتغذيتها، وتعديلها، تحت سقف الزوجية، وارف الظلال.

والتواصل بين البشر يفتح أمامهم آفاقاً لا حصر لها، ويساعدهم على إنشاء صداقات داخل عالمهم الداخلي الخاص، وفي عقولهم، وأفكارهم، مما يجعلهم يقضي الفكر، والوجدان، فاعلي الحس، والضمير.

وهو يُحدث النمو على مستوى الفرد، والتطور على مستوى المجتمع، بشكل عام، وكلما حُسن تواصل الإنسان مع الآخرين، كانت نوعية الحياة التي يحيها أفضل، وانعكس ذلك بالإيجاب على حياتهم أيضاً.

إن الناس مدفوعون إلى التعاون، والتضامن، مع بعضهم البعض، لتكوين جماعات لا يُمكن ممارسة الأنشطة الحياتية إلا بها.

ولقد توصلت بعض الدراسات الغربية إلى أن الناس الذين يفتقرون إلى الروابط الاجتماعية يكونون أكثر عرضة للإصابة بالأمراض ثلاث مرات أكثر من أولئك الذين يتمتعون بعلاقات اجتماعية طيبة وواسعة.

يحتاج الإنسان إلى الحصول على المساندة العاطفية، فهو ليس نظاماً آلياً مُغلقاً، لا يتفاعل إلا مع نفسه، وإنما هو مفطور على التأثر بمن حوله، بملاحظاتهم الإيجابية، والسلبية عنه، تشجيعهم، أو توبيخهم له، ردود أفعالهم نحوه، إيجابية كانت، أم سلبية، صدقهم وصراحتهم معه، حبهم أو كرههم له.

وفي بعض الأحيان يُقابل الإنسان أشخاصاً يؤثرون فيه تأثيراً إيجابياً عميقاً، على مشاعره وأحاسيسه، وعواطفه، فينشأ بينهم ما درجنا على تسميته "الحب" فتزدهر الحياة وتزداد الرغبة في العطاء، والإبداع، والفعل الإيجابي، الخلاق.

والناس هم الذين يُسهّلون علينا مصاعب الحياة، ويزيدون من حلاوة الأوقات الجميلة التي نمضيها عن طريق لغة الجسد، أو إيماءات، أو تعبيرات الأطراف، من خلال نبرة الصوت، ومن خلال وقع الكلمة المقروءة، والمكتوبة والمسموعة، وحضورهم الفاعل، حتى وإن كان مغلفاً بالصمت!

وكسب حبهم يتوقف في نهاية المطاف على المشاعر التي نُثريها



فيهم، وهو يدلُّ على رغبة الإنسان في أن يكون جزءاً من فسيفساء المجتمع الجميلة.

والمحبة بلا شك شئ فطري، وشعور مصاحب للإنسان منذ خلقه الله تعالى، لكنني أعتقد أيضاً أن لبيئة الإنسان تأثير كبير في صقل هذه المهارات، واكتسابها، ومنحها، وجعلها جزء من الممارسة اليومية العفوية عنده.

إن بيوتات كثيرة تهدمت على رؤوس أصحابها، ليس لأن قلوبهم خلو من هذا النور الوضاء، وإنما لأنهم لم يعرفوا الطرق الصحيحة للتعبير عنها (المحبة)، وإيصالها بكل زخمها الشفيف الجميل إلى الطرف الآخر، المتلهّف للري، وقلوب كثيرة انكسرت، وعذبتها اللفظة لاصطياد هذا المخلوق، فراحت تتخبط، وتنتهج وسائل غير مشروعة، أحياناً، للحصول عليه، يُفرضي بها الأمر إلى وهم، وسراب، وضنى، وعذاب.

باعترادي أن للإنسان دور فاعل فيما يحصل عليه نتيجة لتعامله مع الآخرين، إذ لو مشى كلاً منا الخطوة اللازمة نحو شريكه، وأدى ما عليه في هذا الجانب، لأثمرت حياتنا في الغالب ولتعلقت قلوبنا بقلوب شركاء حياتنا.

يحتاج بالفعل كلاً منا إلى ممارسة هذه المشاعر، والتعبير عنها على شكل أفعال، بسيطة، لكنها قوية التأثير.. وهذا يتطلب أن يتلمّس الإنسان جوانب نقص الآخر، ويتفهم احتياجاته، ليسبر بأفعاله الشفيفة عميق أغوارها.

إنه يُذكي مفعول الحب في شغاف القلب، تلك الجلسات التي قد يُوَفَّق المرء لتمضيّتها أباً كان، أو أمّاً، مع أولاده، وفلذات كبده، يتم

خلالها المشاركة في اللعب، وفي الحديث بشكل عفوي، ومشاركة في الاهتمامات، والهوايات، تفاعلاً نابغاً من القلب، واهتماماً بالإنجازات، والآلام، والآمال، والطموحات، والأحلام، والمشكلات.

ويُذَكِّيه أيضاً تلك النزهات، التي قد تخرج إليها الأسرة، بكامل، أو بعض أفرادها، إلى البرّ، أو إلى شاطئ البحر، أو إلى الحدائق الغنّاء، والروضات الفسيحة، التي تكسوها الخضرة، وتزينها الأعشاب، وتتلاًلأ فيها الزهور والورود بألوانها المبهرة، وترتع فيها الحيوانات، والطيور، والحشرات، والفراشات الملونة. ينعمون بالدفء الأسري، وتقرّ أعينهم بمشاهدة الكون، كتاب الله المفتوح، والتعلّم مما فيه من مخلوقات، تزخر ببديع خلق الله تعالى، وعظيم صنعه، جل في علاه.

وهي تُذَكِّيه، الكلمات النابعة من القلب، المُعبِّرة عن الحب، والتقدير، والشاء، والاعتراف بالجميل، التي قد يتبادلها قولاً، أو كتابة، الأب مع ابنه، أو ابنته، والزوج مع زوجته، والعكس، والأخ مع أخته، أو أخيه، والزميل مع زميله، والزميلة مع زميلتها، والصديق مع صديقه، والكبير مع الصغير، والرئيس مع المرؤوس، وذا الجاه والمنصب مع العائل الفقير... إلخ.

تُذَكِّيه في أوساطنا تلك الكلمات التي تُقال في لحظات صدق، ووُدّ، وصفاء، نادرين، خالية من الزيف، والخداع، والتجديف، والكذب، والمجاملة الصفيقة، والنفاق المُميت للقلب.

يُذَكِّيه مفعوله في النفوس الهدية، مهما قلّ ثمنها، أو تواضع مستواها، المهم أن تكون رمزاً للذكرى الطيبة وتعبيراً عن الاهتمام،

والمشاركة الوجدانية، التي تُثبَّت للآخر أنه ليس وحده، يهديها الوالد لولده، ولزوجه، والعكس، تُهديها الطالبة لمعلمتها، والطالب لمعلمه، والمرؤوس لرئيسه، والعكس، يُهديها الأخ لأخته، وأخيه، والأخت لأختها، وأخيها، يُهديها الصديق، لصديقه، والزميل، لزميله، في مناسبات الأفراح، كالتفوق الأخلاقي، أو الدراسي، أو العملي، أو عندما يُرزق الإنسان بمولود، أو عند زواجه، أو نجاحه في أداء عمل من الأعمال، أو مهمة من المهام، أو غير ذلك من المناسبات التي لا تُعدّ، ولا تُحصى، وتكون على شكل كتاب مفيد، أو شريط نافع، أو شئ ذا قيمة أدبية، أو مادية معينة، أو خلاف ذلك مما يمكن أن يُحدِّث تقبُّلاً جميلاً، عند الآخر.

ويذكي هذه المشاعر الطيبة، والعواطف النبيلة في الأنفس أقوال، وأفعال، نستمطر من خلالها حب أشخاص صرخنا في وجوههم في لحظة انفعال، أو أغضبناهم جراء تدمرنا من بعض أفعالهم، كعدم قيامهم بتنفيذ ما نتوقع أنهم قادرون على أدائه، أو نتيجة لإخفاقهم في الالتزام ببعض المثل، والمبادئ السامية النبيلة التي نريد غرسها في أنفسهم، أو لإخفاقهم في التحصيل الدراسي، أو العطاء الوظيفي، أو التواصل الأسري، أو غير ذلك من الاهتمامات التي تعج بها عادة حياة الإنسان، كل إنسان.

ابتسامة رضا وسرور تعبّر بها أوجهننا في وجه من نُحب، فتمتص كل أتعاب الدنيا، التي مُني بها قبل أن يلقانا، رسالة فاكسية، أو عبر الايميل، أو الماسينجر، أو بواسطة البريد العادي، أو الممتاز، أو الإلكتروني، أو حتى مشبوكة (مربوطة) في أقدام حمام زاجل!

أو عبر برنامج اذاعي، أو تلفازي، نبعث خلالها كلمة واحدة نقول فيها لمن نحب أننا نحبه، نهتم به، وأن أمره يعنيننا، وأن شؤونه تهمنا وتخصنا، وتؤثر في مجريات حياتنا.

مكالمة بالهاتف الثابت، أو الجوال، أو بأي أسلوب آخر مُعاصر تعارف عليه بني البشر، يتم تضمينها كلمة واحدة مكونة من أربعة أحرف "أحبك" نُعلن من خلالها "الحب" على محبوبنا.

يُذكي مفعوله في الدواخل مبلغ من المال قَل أو كثر، طعام، أو شراب أو ملبس نعطيه لمستحق، سحقت آماله قلة ذات اليد، أو لجائع، فنت كبده الجوع، أو لضام، استبَدَّ به العطش، وجرح شفاهه، أو عار فنت كبرياؤه الفقر، والعوز.

إنه يذكيه، مبلغ مالي، نتفقد من خلاله أرملة فقدت عشيرها، أو كبيرة في السن، أو كبير في السن لم يَمُنَّ الله عليهما بولد يساعدهما على استقامة حياتهما في شيخوختهما، مبلغ نمسح من خلاله دمعة يتيم، أو نزيح من خلاله هم مهموم، أو نُفرِّج من خلاله كربة مكروب، ونواسي به حُزن محزون، أو نُضمِّد به كَلِم مكوم، وجرح مجروح.

يُذكي مفعوله في الدواخل كلمة حق تُقال في حق إنسان مظلوم، نُزيل من خلالها ما لحق به من حيف وجور وبطش وظلم، ونُشعِّره من خلالها بأن العدل لا يزال متداولاً بين بني البشر، وأن الدنيا ما تزال مكاناً يطيب فيه العيش وتحسن به الإقامة.

اجتماع عفوي في ليلة شتائية، حول النار، يتم خلاله الحصول على الدفء، والإحساس به، سواء كان مادياً، أو معنوياً، وتناول الطعام،

وتغذية الروح، بمناقشة أمور الحياة، وما يجذب إليها من اهتمامات، وما يكتنفها من أتعاب ومباهج.

المشاركة في مأدبة، أو وليمة، أو من خلال أداء واجب تقديم العزاء، وحضور دفن الميت، أو للتهنئة بقدوم غائب، أو إطلالة مولود، أو عيادة مريض، والتهنئة بسلامته، أو التهنئة بخروج سجين، أو سلامة مُصاب.

إن الحب العملي ممكّن التشكُّل من خلال إقامة حفلة تكريمية، يتخللها إلقاء كلمات التقريظ، والتبجيل غير المُغالى فيه، والاحترام، والثناء المرتكز إلى أسس، وفاءً للإنسان متقاعد، قدّم زهرة عمره، وزهوه شبابيه لوظيفة تقلّدها، أو مركز عام تبوأه، أو خاص قدّم من خلاله بعض ما عليه من حقوق لدينه، وبلده، ومجتمعه، ثم آن الأوان لأن يستريح ويُعطي الراية لمن يمكنه مواصلة الجهد، ومن يقدر على بذل العطاء، إن مثل هذه الحفلة أسلوب آخر شفيف من الأساليب التي يُمكن من خلالها استقطاب بؤر اهتمام الآخرين، والتعبير لهم عما تعتمل به دواخل القلوب من حب.

إن معالم الحب الحقيقي ترسم في صورة كلمة تشجيعية يقولها أب لولده، أو أم لولدها، أو زوج لزوجته، أو زوجة لزوجها، أو مُعلّم لطالبه، أو طالب لمعلّمه، أو ولي أمر لمعلّم ولده، أو رئيس لمؤوسه، يستحث من خلالها كوامن الرغبة لدى الآخر في العطاء المتميز الثر، والإبداع الراقى، الزاخر بالخير، كلمة قد لا يابيه لقولها قائلها، لكنها تجد عند الآخر أذنًا صاغية، حسنة الاستقبال، وقلب واع، وأفق مفتوح.

إننا نُشَبِّعُ دواخلنا بمثل هذه المشاعر النورانية، من خلال باقات ورود، أو زهور، أو ياسمين، أو قُلْ نَحْمِلْهَا إِلَى مَنْ نُحِبُّ، فيسري أريجها في نخاع عظمه، أو من خلال شمعَة نُضِيئُهَا احتفاءً بحضوره، فتتير الاشعاعات المنبعثة منها ظلامات دواخله، وروحه، وجدر قلبه.

فعل يتم من خلاله صياغة عمل إبداعي، أو فني مكتوب، أو مسموع، أو مرسوم، أو مصوّر، شعراً كان، أو نثراً، لوحة فنية كانت، أو مقالة، قصة، أو رواية، محكية في قالب كوميدي ضاحك، أو تراجمي جاد، وربما حزين.

أشياء وأفعال من هذا القبيل، ومن مثل هذه الأشياء البسيطة في قيمتها المادية، لكن الكبيرة فيما تدل عليه من مضامين، ومعاني، وهذا ليس بكثير!!

اليس كذلك؟!

17



دروس من الحياة





كما هو معلوم، نحتاج جميعاً، وفي كل حين إلى التواصل مع الآخرين، والتعامل معهم، سواءً كان ذلك عبر المناسبات العائلية، أو عبر الأحداث الاجتماعية، أو من خلال الفرص، والمشاركات العملية، مع الوالدين، أو الأَوْلاد، أو الأزواج، أو الأقارب، أو الأصدقاء، أو الزملاء، أو المعارف، أو الجيران، أو أهل الحي، مع من يقدمون الخدمات، أو ينتجون المنتجات لنا، أو مع من نقدمها لهم، في البيت، أو المسجد، أو المدرسة، أو الشارع، أو مقر العمل، مهما كان نوعه، ومهما اختلف الغرض منه.

والتعامل مع الآخرين فن راق ومهم من فنون الحياة، ولكنه للأسف فن صعب على الكثيرين منا، لأسباب كثيرة قد يصعب حصرها على وجه الدقة، لكن يمكن القول أن من بينها اختلاف وتنوع معتقداتهم، ومذاهبهم، وأجناسهم، وشخصياتهم، وأطباعهم، وثقافتهم، وأفكارهم، وسلوكياتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وميولهم، ورغباتهم، واهتماماتهم، وغير ذلك، مما يُحتم علينا أهمية أن نتعمق ولو قليلاً في فهم هذا الفن الراق.

وعلى أن التعامل مع الناس يُعد من الأمور الصعبة، لأنهم مختلفون، فإن من أساسيات فهمنا أن هذا الاختلاف لم يكن من الخالق عز وجل، إلا رحمة لنا، ولحكمة بمقتضاها كلفنا سبحانه وتعالى أن نتعارف، ونتألف، وينتفع بعضنا من جهود بعض، ويعذر بعضنا بعضاً، إذا لم نتفق على هذا الأمر أو ذاك.

ومن فضل الله تبارك وتعالى لم يكن الأمر مستحيلاً، فقد هيا

لنا جلت قدرته طرائق الاتصال ببعضنا البعض، من لغة إشارة، إلى لغة عبارة، من كلام منطوق، إلى آخر مكتوب، عبر هذه الوسائل والتقنيات المتطورة المتزايدة يوماً بعد يوم، والتي أسهمت في تعرفنا على الآخر، مهما كان بُعد موقعه عنا، وسهّلت فُرص التواصل به، والتعاطي معه على كل المستويات، والصُّعد.

والرقي في التعامل سلوك قد يُقَابَل من الآخرين بالترحاب، والتقدير، ولربما اضطر الطرف الآخر إلى العدول عن كثير من مطالبه، والتخفيف من توقعاته، حياءً، وخجلاً، من المعاملة الطيبة، اللطيفة، الودودة، التي يلقاها ممن يُعامله، بلطف وود.

غير أن الأمور لا تسير في كل الأحوال بهذه الصيغة الجذّابة، والموافقة لهدايات الدين العظيم، وبواعث الفطرة النقية، وذلك من حيث، تبادل التقدير، والاحترام، والحب، بين الأطراف المتعاملين، لأننا قد نواجه في كثير من مواقع الحياة أناساً صعبوا المراس، غليظوا الأطباع، سيئوا الأخلاق، يصعب التعامل معهم، وإقناعهم باحترامنا لأنفسنا، وحبنا عليهم، وحبنا وودنا لهم، مما يُحتمُّ علينا بالضرورة أن نتسلَّح بالوسائل التي تمكّنا من مواجهة مثل هؤلاء الأفراد المبتزون!!

أن عملية التواصل مع الآخرين تتضمن خطوات عديدة، منها الهدف مما نريد من هذا التواصل، والتخطيط لما نقول، أو نفعل، والتدبُّر للمشاعر المصاحبة للعملية الاتصالية، واستخدام المهارات اللازمة لإذكاء جذوة التواصل، كالإنصات، والملاحظة، والتعاطي مع الطرح، من خلال رد الفعل، وتقييم عملية التواصل، وإصدار الأحكام

المناسبة لطبيعتها، إما بالارتياح، أو الانزعاج، بالتلبس بحب، أو بكره الآخر، بالموافقة، أو المخالفة، بالتعامل بحياد، أو بتحيز... إلخ ضوابط التقييم المعروفة.

والتواصل الشخصي يلعب دوراً أساسياً في التعامل مع الآخرين، وهو يتضمن ما نقوله للطرف الآخر، إضافة إلى الطرائق، والسبل، والوسائل التي نوصل بها الرسائل المراد إرسالها له.

ولتحقيق التواصل بفعالية نستخدم عدداً من المهارات اللفظية، أو المكتوبة، أو إيماءات الجسد، أو الحركات الخارجية لبعض الأعضاء، واستمرارية التعامل مع الآخر، وكثرة الخبرات المكتسبة الناجمة عن ذلك، تُسهِّم في إجلاء كثير من الغموض المُكتنف لشخصيته، وتبعاً لذلك يتوافر حظوظ أفضل لأحكامنا التي نصدرها ضده، والمتمثلة في قبولنا له، أو رفضنا له.

ويحرص معظم الناس الأسوياء على إظهار أفضل ما لديهم من نواحٍ إيجابية، عند التعامل مع الآخرين، في محاولة منهم لكسب ثقتهم، ومودتهم، بل إن قيامهم بهذا السلوك قد يجعلهم في بعض الأحيان يقسون على أنفسهم طلباً لرضى أولئك، وذلك من خلال المجاملة الزائدة، ومحاولة تحمُّل هفواتهم، والصفح عن زلاتهم، والعضو عن أخطائهم، ومسامحتهم، بطيبة قلب.

العملية بالفعل صعبة نوعاً ما، وأثناء إنجازها قد يتعرض أحدنا لنوع من الابتزاز، أو ضياع الحقوق، أو التلبُّس بمشاعر غير مبتغاة، كالكرهية، أو الندم على ربط العلاقة، أو فقدان الثقة في من حولنا،

أو تحقق خسائر جسيمة، مادية كانت، أو معنوية، ما كانت لتحدث، لولا هذه العلاقة الفاشلة، لكن فيما يبدو لا بد من دفع ضريبة الخُطْطَة بالناس، مقابل المردود الإيجابي لها، والذي بدون شك يفضّل الانكفاء على الذات بمراحل، والإنسان تالياً يستفيد من تجاربه السيئة، ربما بشكل أفضل من التجارب التي يبدو له أنه أنجزها بنجاح.

إننا بالفعل نواجه في سبيل التعامل مع من حولنا صعوبات، تتباين طبقاً لما بيننا من اختلاف، ولا غرابة في ذلك فكل علاقة من هذه العلاقات تتسم بطبيعة خاصة مستقلة عن الأخرى، وإن كان هناك روابط مشتركة بينها جميعاً، كأن تكون العلاقة بالآخر جديدة، وبدون أن يكون لدينا أية معلومات عن من يجب علينا التواصل به، وما إذا كان يغلب على شخصية الطرف الآخر السمات الإيجابية، أم السلبية، نُتقرر أن نحبه، أو نكرهه، أو نتعامل معه بحياد.

إن الإنسان يستطيع أحياناً قراءة سلوك الإنسان الذي يتعامل معه، وفي أحيان أخرى يعجز عن قراءة سلوكه، وبالتالي يمتد عجزه إلى التعامل معه، ويندرج هذا العجز، أو عدم القدرة تحت مهارة، من أهم المهارات التي نستخدمها أثناء تواصلنا مع الآخرين، وتتمثل في ملاحظة سلوكياتهم، وتصرفاتهم، وردود أفعالهم، لكن المفاجأة أن البعض لا يستطيع قراءة أو فهم ما لاحظته فهماً صحيحاً، وبالتالي يُفْضي به الأمر إلى إصدار أحكام ضد من يتواصل به، قد لا تكون في محلها، وقد تتسم بالإجحاف بحق ذلك الطرف لأنها تُمَثَّل ترجمة غير صحيحة لسلوكه قولاً كان أم فعلاً، مباشراً كان، أم غير مباشر.

لا شك أن كثيرون منا يبذلون بالفعل جهوداً جيدة، وفي أحيان أخرى ربما تكون متميزة، ومُضنية، وذلك في سبيل فهم أفضل لأنفسهم، ومن حولهم، سواء كان ذلك من خلال ردود الأفعال المحصَّلة من خلال التجارب ذات الصلة، أو بالتعلم من القنوات المتعددة المتاحة لنا من فضل الله وكرمه، وهذا بعد ذاته أمر مُبشِّر، لكن من الحق أن نتصارع بأننا بحاجة إلى جهود أكبر، وإلى أن يمتد الفهم إلى الممارسة الفعلية، ولا يقتصر على الكلام، فشتان بين الأمرين.

ولقد لاحظت مؤخراً عناية نفر غير قليل من أفراد مجتمعاتنا بتعلُّم فنون التعامل مع الآخرين، وكثرت المحاضرات، والدورات، والندوات، والمؤتمرات التي تُعقد بشتى الوسائل، وفي مختلف الأماكن، لتحقيق هذه الغاية العظمى، والغرض الأسمى، ولا غرابة في ذلك فديننا الكريم عالمي النزعة، وقد أرشدتنا هداياته، وتوجيهاته النورانية إلى أن نتعرَّف على الناس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وبكل تأكيد حري بأصحاب هكذا رسالة أن يبرعوا في تعلم فنون التعامل مع الآخرين، بهدف الإحسان إليهم، وهي موجودة في أسس، وفروع ديننا الإسلامي العظيم، وشريعتنا السمحة، وتعاملات سلفنا الصالح، وخلفنا المبارك، وفي عاداتنا، وتقاليدينا، الأصيلة، وقد تمكَّن بعض المسلمين وحاملي الرسالة المحمدية الخالدة من فتح مناطق شاسعة في آسيا، وأفريقيا، وأوروبا، وأمريكا، وغيرها بسبب حُسن معاملتهم لأهل تلك الديار، علماً بأن الجزء الأعظم منهم كان

همهم موجهاً للتجار، أو طلب العلم، أو العمل، أو الاستشفاء، أو السياحة، أو ما شابه ذلك، أما في قصة تعد من أروع قصص حُسن التعامل، والإيثار، وحسن الخلق، فقد تم خروج جيش المسلمين من إحدى المناطق بعد أن تهيأ له فتحها، وتم رد أمر أهلها من الكفار إلى ولاة الأمر فيهم، بعد أن تحقق للمسلمين نصراً، لم يلتزموا فيه بجزء من شرف فعل الإحتراب، لينجم عن حسن التعامل هذا دخول أولئك في دين الله أفواجاً عن رضا، وقناعة، وحسن اختيار.

لكننا غفلنا، في الغالب، كما هو حالنا في كثير من الأمور عن الاهتمام بهذا الأمر، وإن كنا قد أمرنا بالتفكر في أنفسنا، قال تعالى: ﴿وفي أنفسهم أفلا يتفكرون؟!﴾، لم ننكب على ما لدينا من مصادر عظيمة بالبحث والدراسة، لنُخرج للعالم فضائل هذا الدين في كل مجال، لكن ذلك أمر آخر يطول، ويجمل الحديث حوله في موضع آخر لأنه ذا صلة.

إن إحسان الظن بالآخرها هنا مطلب هام، وضروري، ضرورة ملحة، ومهما كانت نتائجه الآتية ضعيفة أو حتى سيئة من وجهة نظر البعض، إلا أن نتائجه فاعلة على المدى الطويل، إذ هو يتيح للمرء التعامل دوماً مع أي سلوك، على اعتباره معلومة مجردة، كما يُتيح فرصة أكثر لقراءة طرف العلاقة الآخر، ومن خلال السؤال المباشر للطرف الآخر، أو بالبحث عن دلائل تدعم ما توصل إليه الإنسان من رأي فيما صدر عن الآخر من سلوك، يُمكن تعزيز ما توصل إليه المرء، وما استنتجه من سلوك الآخر.

إن من الأهمية بمكان أن ينظر الإنسان إلى أي تجربة سيئة على أنها درس يستفيد منه، لإثراء علاقاته اللاحقة بالآخر، أما القطيعة، أو التصلب في الرأي، أو إلغاء الآخر فلا فائدة من ورائها، ومع الوقت، ستتحسن أحكامه على الآخرين، وستزداد ثقته بهم، وبنفسه، بحيث يوفق في المرات القادمة إلى توظيف العاطفة، توظيفاً صحيحاً، وبقدر مناسب، فقط في الحكم على جودة علاقاته، أو رداءتها.

إن من المهم أن لا يمتد تقصيرنا إلى عدم فهم الحد الأدنى المطلوب، لإقامة جسور حب، وتعامل شفيف بين قلوبنا، إذ المعروف أن التكاليف في ديننا الحنيف مرتبطة بطبيعة المكلف، فلا يُطلب من الإنسان معرفة أهداف الزواج وتبعاته، إن هو لم يُقرر الزواج بعد، لكن بعدما يُقرر ذلك يصبح فهم كثير من الأمور بالنسبة له في حكم الواجب، ومنها حقوق الزوجة، وطرائق التعامل معها، لتكوين أسرة مسلمة مشاركة في إعمار الأرض، وهكذا بقية الشؤون المرتبطة بحياة الإنسان، لا تكليف من دون حاجة، ولا تكليف في ظل عدم الاستطاعة.

ومن التجربة المتواضعة أدرك أن هذا هو حال الكثيرين منا، نجهل الكثير مما يجب أن نُحيط به علماً، ونُكرس اهتمامنا غالباً فيما ليس فيه لنا، أو لغيرنا نفع، أو فائدة، والله المستعان، مما يدعو إلى أن نُسارع إلى تعلّم هذه المهارات بالطرق الكثيرة التي أصبحت متاحة لنا، ولا ننتظر حتى نتعلم من تجاربنا، فذلك مدعاة إلى أن نخوض تجارب مؤلمة لنا ولمن حولنا، سواء كنا أزواج مع زوجاتهم، أو آباء وأمّهات مع أولادهم، أو رؤساء مع مرءوسيههم أو العكس، أو غير ذلك.

ولنا العظة والعبرة فيما نتعلمه صباح مساء مما يُطرح في مجالسنا، ووسائل الإعلام، والمنتديات المتخصصة والعامة حول ما ينطوي عليه مجتمعنا من عنف أسري، أو عقوق، أو قطيعة رحم، أو ظلم مادي، أو ظلم معنوي، أو إجحاف، أو تعسّف، أو تعدّي على الحقوق، أو اتهام بالباطل، أو تصنيف بغير وجه حق، أو إفساد، أو غير ذلك من وسائل الهدم وطرائق الإضرار.

والتحفظ في العلاقة أمر طيب، وعندى أنه مطلب حسن، وسياسة مُستحب أن ينتهجها الإنسان، في كل مراحل العلاقات، وليس عند بدئها فقط، فيكون التعامل مع الآخرين بشكل محسوب ومنتزّن، ويكون هناك خطوط حمراء لا يجب لأصحاب العلاقات تجاوزها، حتى تدوم العلاقات وتزدهر ويبقى الود سيد المقام.

والتحفظ والتوجس والخوف، كلها أمور ستظل محل نظر في نماء العلاقات بين الناس، والتجارب كفيّلة بهدم كثير من دواعيها أحياناً، وزيادة بعضها في أحيان أخرى، إثارةً للسلامة، وكل الصعوبات المتخيلة لا يجب أن تمنع الإنسان بمشيئة الله تعالى من أن يكون فاعلاً متفاعلاً في مجتمعه.

كلنا نعلم أن قلوب البشر بين أصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها سبحانه وتعالى كيف يشاء، وقد أثبتت التجارب أن التغيير حالياً هو العامل الثابت في كل شئ، وأن هناك محاذير كثيرة وقد يُسئ البعض استخدام ما لديه من معلومات فيضر بمن وثق به أضراراً قد تكون بليغة أحياناً.



ولذا من المناسب أن نتمثل هذا الأثر الصادر عن الحبيب صلى الله عليه وسلم: "أحب حبيبك هوناً ما، فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وابغض بغيضك هوناً ما، فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما".

إن إحسان الظن والثقة بالآخر أمر محمود، وينبغي أن يكون هو أساس التعامل مع الجميع، إلى أن يحصل ما يوجب إساءة الظن بالطرف الآخر، وعندئذ يكون لكل حادث حديث، لأن الخير هو الأكثر تأصلاً في الأنفس، والشر استثناءً وشذوذاً، والشذوذ لا حكم له في بناء العلاقات، ومن الأفضل للنفس البشرية أن يكون حسن الظن لها طبعاً، وهو يستقيم مع الطباع المستمدة من الفطرة السوية التي فطرنا الله تعالى عليها. أما إحسان الخُطّة فلا يأتي إلا بخير، لأنه بدونها لا يُمكن في الغالب أن يأمر الإنسان بمعروف ولا ينهى عن منكر، ولا يدعو إلى الله جل وعلا، ولا يُسهم في فعل خير، يعم نفعه بني الإنسان.

ختاماً أقول: إن ما نرغب أن يسود بيننا هو التعامل بحب، وود، واحترام، وأريحية، وتقدير، وإكبار، وشفافية، ومصداقية، وأمانة، وإخلاص، وتفان، وتواضع، وحلم، وأناة، وصبر.

إن ما نود أن يسود بيننا هو الصفاء، والنقاء، والتسامح، والعفو، والتسامي على سفاسف الأمور، واستشراف معاليها... إلخ القيم العظيمة التي أمرنا ديننا الإسلامي الحنيف بالتعامل مع بعضنا البعض وفقاً لها، وهكذا مطلب يتفق مع ثقل المسؤولية التي حملنا الله تعالى إياها ضمن رحلتنا العابرة على هذه الأرض.



18



دع الأزهار تتفتح



يحظى كثيرٌ من الناس بكثيرٍ من النعم التي حباهم الله تعالى إياها، لكنهم لم يتعلموا طرق الحفاظ على استمرارها والاستمتاع بها، فمهما نالوا من خيرات تجدهم يشعرون بأن هناك ما ينقصهم، وما يملكه الآخرون لا يملكونه هم، لا يشعرون بالحب تجاه أنفسهم، ولا من خلال علاقاتهم بالله جل وعلا ثم الناس من حولهم، يشعرون أن صحتهم تتدهور يوماً إثر يوم، وأعمالهم تتردى عملاً بعد آخر، وعلاقاتهم تسوء وتشوبها الظلال الكئيبة، يعيشون حالة إملاق، وإفلاس، في المشاعر، والأحاسيس، والقيّم، بالرغم من أن المجتمع قد اتفق أحياناً على إدراجهم ضمن قائمة الناس المهمّين، والتميّزين، وأصحاب الحظوة، وربما يُعدُّهم من النابهين، والمشهورين، وممن يُشار إليهم بالبنان، وتعتقد على الولاء لهم الخناصر، وتتلهّف على تلقف أخبارهم، الأذهان، والأذان، والأصابع، والآلسن.

ولبرهة يملكك العجب، ثم لما تُعمّل التفكير فيما رأيت من أحوالهم يتبدى لك أن ما رأيت جزءاً من حكمة الله تعالى الذي خلق وفقها الكون، وأن الأشخاص يختلف بعضهم عن بعض باختلاف أجناسهم، وألوانهم، ودياناتهم، ومعتقداتهم، ومواطنهم، وشخصياتهم، وطرائق تربيّتهم، وتعليمهم، وتثقيفهم... إلخ، وأن التحدي الحقيقي الذي يواجه الإنسان في هذه الحياة ليس فقط الحصول على ما يُريد، ولكن الاستمرار في حب ما يُريد، والاستفادة منه، والاستمتاع به، وشُكر النعم به، والشعور بالرضا، عما تحقق، والسعادة به، والشعور بالحافز، المُشجّع، والملائم، لتحقيق المزيد.

والنجاح مطلب من المطالب الرئيسية، والملحة للإنسان، في

هذه الحياة، ولا ينبغي أن يُترك أمر تحقيقه للمصادفة، أو الحظ، بل يجب أن يعمل الإنسان أقصى ما في وسعه من جهود، ويبذل جُلَّ ما لديه من إمكانيات، لتحقيقه، فكلما حقق منه المزيد، تعلَّم كيف يكون سعيداً، ومحباً، وواثقاً، ومطمئناً، وتوقفت الحياة في نظره عن كونها صراعاً مريراً، ومستمتعاً موحَّلاً، وما كان يُعدُّ عنده في مرحلة من المراحل صعب المنال، أصبح سهلاً، ويسيراً، وأصبح الإنسان أكثر قدرة على حل المشاكل التي لا تخلو منها أي حياة، وأكثر تأهيلاً لمواجهة تحدياتها، وصعوباتها، وأكثر شعوراً بصلاحه، وعظمته، وبأن لحياته معانٍ سامية، وأهداف ومقاصد نبيلة، وأنه ليس وحده في هذه الحياة، بل هو محبوب، ومُساند من الآخرين حوله، وسيبدأ الضوء الحقيقي لنفس الإنسان في الإشعاع، وإنارة الطريق، لتنتهي رحلته خلال الظلام.

إن النجاح يأتي من داخل الإنسان، عندما يُقرَّر أن يكون محباً لنفسه، شاعراً بالثقة فيها، وبالسعادة، والقوة، والامتنان، والطمأنينة، والرضا بالماضي، والحاضر، والمستقبل، وهو لا يعتمد على أي شكل من الأشكال الخارجية، كالمال، أو الواجهة، أو الزواج، أو الأولاد، أو الوظيفة، أو المكتسبات المادية الأخرى، الاعتيادية، والفارهة، فهي قد تُساعد المرء فقط على أن يكون سعيداً، لكنها لا تجلب له السعادة بمفردها إن لم يكن المرء من داخله سعيداً.

وكما يقال فالطريقة المناسبة للتخلص من الظلام هي في إشعال النور، والشعور بالسعادة، لا يتأتى في ظل الافتقار إلى المتعة الداخلية المتأتية من الإيمان الراسخ العميق، وانتهاج التقوى أسلوب حياة.

يقول الشاعر:

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد.

(ملاحظة: هذه مقالتي الأولى، وقد نشرتها يوم الجمعة ٢٠ / ٢ / ١٤٢٣هـ

الموافق ٣ / ٥ / ٢٠٠٢م).





19



دع النور يسطع بداخلك



يبحث كثير من الناس عن المصادر الحقيقية للسعادة فيتوهمون أنها في المال، أو الوظيفة، أو الزواج، أو المكانة الاجتماعية، أو التعليم، أو احترام الآخرين، وتقديرهم لهم، أو ما شابه ذلك من مصادر مادية، ويجّدون في الطلب، ودفع الاثمان، التي تكون أحياناً باهظة، دون جدوى.

وعندما لا يشعر أحدهم بالسعادة، يتوهم أنها لا تكون إلا من خلال حصوله على الدعم الخارجي، الذي يمكن أن يتلقاه من زوجة متميزة، أو من زوج متميز، من خلال صيرورة زوجته الحالية أكثر اهتماماً به، ولطفاً ورقة معه، أو العكس من خلال صيرورته هكذا لنصفه الآخر الحلو، أو بتأثير وظيفة محترمة، أو مال وفير، أو ثروة طائلة، أو سلطة مؤثرة، أو جاه مهيم، أو بالحصول على قصر مُنيف، أو شهادة عالية، أو مكتسبات مادية ثمينة، أو غير ذلك مما يشبهه.

يعتبر نفسه غير سعيد، إلا إذا امتلك سيارة فاخرة، أو أنجز عقداً، أو صفقة، باهضة القيمة، أو سافر سفرة داخلية، أو خارجية مُرفَّهة، أو مثل هذا، مما تُعج به الحياة، من مكاسب مادية، وأخرى معنوية، لا حصر لها ولا عدّ.

يتوهم أنه لن يكون سعيداً ما لم يتبواً مركزاً وظيفياً مرموقاً، أو مكانة اجتماعية عالية، لن يكون سعيداً إلا إذا رزقه الله بالعدد الشرعي من الزوجات، وأولاد كثير، ومكاسب مادية كثيرة.

ويستنتج أن سبب تعاسته، عدم حصوله على الأشياء التي يُحب، وعدم تملكه لما يُريد، والواقع أن الحصول على هذه الأشياء هو

بالضرورة من الأمور الهامة، والفعّالة لتحقيق النجاح، والحلم المرتجى (السعادة).

لكن المتأمل في الأمر يلحظ أن المشكلة تكمن في أنه لن تمر فترة طويلة على الإنسان، إلا وقد بدّل مطالبه القديمة، بمطالب جديدة، واستبدل أولياته السابقة، بأخرى أشد إلحاحاً، وأكثر جِدّة، وتماثلاً، وتماهياً مع متطلبات العصر الحاضر، ورغائبه التي لا تنتهي.

ومرة أخرى يقع في براثن الوهم، المتمثل في أن الحصول على المزيد من المكاسب، والنجاحات المادية، والدعم الخارجي، سيُسّعره بالسعادة المنشودة، ويزيل عنه الآلام التي حلت به.

والحقيقة التي أدركها العقلاء تتمثل في أن السعادة تنبع من داخل الإنسان لا من خارجه، إنها تنبع من أعماق قلبه وكوامن نفسه، وسوانح فكره، ونفثات روحه، ولذا فإن من يُقرر أنه غير سعيد، فإن السعادة ستختفي من عالمه الداخلي، والخارجي معاً، ومن يُؤمن بعدم قدرته على ممارسة الحب، والتلبُّس به أثناء تعامله مع من حوله، فلن يكون قادراً على منح الحب وأخذه، ومن يتيقن أنه لن يكون قادراً على الاستمتاع بالحياة بفاعليه، ويؤثّر في مجرياتها بجِد، فلن يُحقّق ذلك، مهما كان نوع الدعم الخارجي الذي يتلقاه، والمساندة التي يحظى بها ممن يحيط به، أو يبعد عنه.

إن من يشعر بأنه سعيداً، فسيكون بالفعل سعيداً، فالمصدر الحقيقي للسعادة يكمن في داخل كلاً منا، يشع من داخله، وتشرق به روحه، وتمتزج به نفسه، ويتمثّل في إيمانه بعظمته، في غير تكبُّر

بالطبع، وقوته على مجابهة المصاعب والتحديات التي تتحفه بها الحياة من غير توظيف لها فيما ينجم عنه الجور، أو الظلم، وقدرته على الإنجاز، وفعل الخير وممارسة الجميل، بإبداع في كل مناحي الحياة، وميادين السبق في مضاميرها، المهيأة للركض.

إن السعادة تبرز عندما يكون المرء قادراً على حب نفسه، شاعراً بالثقة فيها، والاعتزاز بها، والانتصار لها، عندما يشعر بالرضا، والقبول، والامتنان لما وهبه الله تعالى من إمكانيات، وقدرات، معنوية، ومادية، عندما يكون قادراً على تغيير طرائق تفكيره، وتبديلها، من السلب، إلى الإيجاب، ومن التشاؤم، إلى التفاؤل، ومن الشعور باليأس من الحياة، والأحياء، والقنوط من رحمة الله، إلى التلبُّس بالحُلل القشبية للأمل، والحلم، واللبوس السابغة للتفاؤل.

إن السعادة الحقيقية تكمن في حب المرء لنفسه، والآخريين، وتفانيه في اغتنام أوقاته، لفعل، وقول ما يعود عليه بالفائدة، والمتعة، والانصراف عن تذكر الأحداث الرديئة التي تعرّض لها، في سالف حياته، إذ أن استمرار اجتراره لها كفيل بتعكير صفوه، واعتلال مزاجه، وسلب طاقاته الإيجابية، التي يحتاج الحفاظ عليها، لصنع واقع أجمل، وحاضر أبهى، ومستقبل أكثر ازدهاراً، وإشراقاً.

إن الدوافع الخارجية التي قد يحظى بها المرء من داعميه، ومساعديه، وراجين الخير له، تسهم في جعل المرء سعيداً، إن كان بالفعل يشعر بذلك في داخله، وهي تجلب إليه موجات من الحب الحقيقي، والمتعة الحقيقية، والقوة الضاربة التي لا تهزها الأحداث،

والطمأنينة الراسخة، التي لا تهوّن منها المصائب، والابتلاءات، عندما يشعر هو بذلك، من الداخل.

إن الرغبات الصادرة من أعماق الذات، تُذكي تسامي الروح إلى أن تكون أكثر اتصالاً بالله جل وعلا، وشفافية، وتسامحاً، وقدرة على الأخذ والعطاء، وإيثاراً للآخرين عند التعامل معهم، وهي تُحرّض العقل دائماً على أن يعرف أكثر، ويُثري الحياة بأفكار أكثر جدوى وقيمة، وهي تدفع بالقلب إلى التطلع لنيل مزيد من الحب غير المشروط، الحب الحقيقي، الحب النابع من القلب، والعمل المُخلص، الجاد الصادق، ودفء المشاعر، وتجعل الحواس البشرية أكثر قابلية للاستمتاع البرئ، بما خلقه الله عز وجل، وبالإسهام فيما يرضي السرور والسعادة على خلقه.

فاشعل الضوء بداخلك.. دعه يتوهج ويسطع.

الآن قرر إن لم تفعل من قبل، أن تكون مؤمناً بالله جل وعلا حق الإيمان، مطبّقاً لشرعه، في كل حركاتك، وسكناتك، ومنشطك، ومكرهك، محباً لذاتك، محباً في علاقاتك مع الآخرين، ناجحاً في عملك، واثقاً من نفسك، وإمكانياتك، ومواهبك، وقدراتك، سعيداً في حياتك، احلم بدون حدود، وآمن بصدق، وعمق، ويقين، وعامل الناس كما تحب أن يُعاملوك، وكن جميلاً، ترى الوجود جميلاً.

20



دعوة لاعتقال اللحظات الحقيقية  
الهاربة





تتلبسنا كثير من الأحلام والطموحات التي نريد تحقيقها خلال حياتنا، لإرضاء ربنا جل وعلا، ثم لإسعاد أنفسنا، ومن حولنا، من والدين، وأزواج، وأولاد، وغيرهم، وتعتلج في دواخلنا الكثير من المشاعر، والأحاسيس التي نود إعلانها على أحبائنا، وذوي قرابتنا، واصدقائنا، وزملائنا، وجيراننا، ومعارفنا، للتعبير لهم عما نُكن من حب، وود.

نتأمل كسب عامل الزمن إلى صفوفنا، لعله أن يتاح لنا تحقيق أحلامنا.. وتتقاذفنا مشاغل الحياة، الجاد منها والتافه، وتلبس بمشاعر المماثلة، والتسوية، والتأجيل، ووهم الحصول على الأفضل.

نقف بين يدي الله جل وعلا مصممين على الخشوع، والخضوع، وإتقان تواصلنا به جل وعز، ثم بعد فترة ليست بالطويلة نسرح خلف إلهامات شياطيننا، وأحلام أنفسنا التي لا تقف عند حد، نصمم على الإخلاص في تنفيذ أعمالنا، والتفاني في إنجازها، لتكون بشكل متميز، ومُتقن، ومع أول صعوبة تواجهنا تتساقط هممنا، ويتزعزع عزمنا، وكأن وعداً لم يكن، وكأن أهدافاً سامية لم توضع.

نعقد العزم على ممارسة الرياضة، ونُحدد وقتاً لذلك، ونلج الميدان، ونبدأ رحلة التدريب بالفعل، ثم لا نُكمل ما انتوينا، وما خططنا لعمله، مقنعين أنفسنا بأن لدينا من الأعمال ما هو أهم.

تغيض الابتسامة قبل انبلاج الشفاء عنها في وجوه من نُقابل، وتنفض الجلسة، قبل أن نهّم بتنفيذها، وعقدها مع من نُحب، وترتد الكلمة الطيبة النابعة من القلب، والمُعبرة عن الحب إلى دواخلنا، قبل أن تلوكها أسننا، وقبل أن نعلنها على من نتعامل معه، أملاً في انتقاء الأجمل، والأكمل.

نهم بقطف وردة، أو زهرة، أو بشراء باقة ورد، أو طوق ياسمين، أو زجاجة عطر، أو كتاب، أو كتيب، أو شريط، أو قطعة قماش، أو اسوارة، أو خاتم، أو عقد، أو لعبة، لإهدائها لأم، أو لأب، أو لزوجة، أو لبنت، أو لابن، أو لحفيد، أو لأخت، أو لأخ، أو لصديق، أو لقريب، أو لمعرفة، أو لحبيب، ثم نتراجع في اللحظة الأخيرة، بحجة أننا لم نجد بعد ما يليق بأحبائنا، وبنا.

نؤجل الزيارة التي قررنا أن ننفذها لتفقد أحوال أحبائنا، أحياناً، بينما نحن نهم بقرع أجراس أبواب أولئك الأحباب، بحجة أن الوقت غير مناسب لاستقبالنا، نتراجع عن وعد قد قطعناه على أنفسنا لوالدينا، أو لأزواجنا، أو لأولادنا، أو لأي من معارفنا بتمضية وقت معهم في البر، أو على شاطئ البحر، أو في حديقة غناء، أو بحديقة ألعاب مدينة ترفيهية، أو ما شابه، بحجة أننا متعبين، أو أننا نخطئ لأن تكون الزيارة أفضل مما يمكننا فعله، لو أنجزناها في الحال.

نستأثر بالحديث على أحبائنا ولا نُصغي لكلماتهم ولا لحرصهم على التحدث في حضورنا، نُلقِي بِسَمَاعَةِ الْهَاتِفِ مِنْ أَيْدِينَا، بعد أن هممنا بالتواصل مع حبيب، أو صاحب، أو ذا رحم، أو سابق معرفة، أو عزيز، نتصفح الجريدة، أو المقالة، أو الكتاب فيعجبنا شئ مما يحتويه أي منها، ثم نُلقِي بِمَا فِي أَيْدِينَا مُرَدِّدِينَ أَنْ اللَّحْظَةَ لَيْسَتْ مُنَاسِبَةً لِتَحْقِيقِ الْفَهْمِ الْمَأْمُولِ.

نهم بإكرام ضيوفنا، ثم تُسَوِّلُ لَنَا أَنْفُسَنَا أَنْ الْإِسْرَافِ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ.. وَنُدْخِلُ أَيْدِينَا إِلَى جُيُوبِنَا بِغِيَةِ إِخْرَاجِ مَا قَسَمَ الرَّحْمَنُ

للتصدق به على فقير أو مُعوّز أعلن بلسان الحال والمقال فاقته، ثم ينبعث من دواخلنا صوت شيطاني: لا يضحك عليك السائل فهو من أولئك اللذين تكشف وسائل الإعلام صباح مساء عن أنهم نصّابين، ومحتّالين.

نُقرّر أن نُعرّض أجسادنا لأشعة الشمس في الصباحات الحاملة، والطازجة، وأن نُرتّب دواخلنا بالاستماع إلى حفيف الأشجار، وغناء الأطيّار، ومشاهدة تفتح الورد، والأزهار، ومراقبة تحليق الفراشات، والطيور الملونة، ومطاردات بعض الحيوانات، ثم نُلغي الفكرة قبل أن نهّم بتنفيذها، معتقدين أن ذلك ترفاً لا نستطيع ممارسته.

نتردد في زيارة حبيب يرقد على السرير الأبيض، واعدن أنفسنا بالاحتفاء به في المنزل، ثم لا نفعّل، نمتنع عن البقاء دقائق في المسجد لقراءة القرآن الكريم، أو لتدبر معانيه، وفقه جواهره، وخرائده، ودرره، أو لاستماع محاضرة يمكن أن يفتح الله بها على قلوبنا، فنحصل على خيري الدنيا والآخرة، ثم لا نفعّل بحجة أن لا جديد فيما نسمع، وأن الوقت متاح أمامنا للقراءة بتدبُّر، وتأمّل، وفهم.

دائماً ننسى قول الشاعر:

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

دائماً ننسى أن اللحظة المضمونة هي اللحظة الحالية، ننسى أننا لو قضينا حياتنا ننتظر المستقبل فإنه قد لا يأتي، ونسى أن أسلوبنا هذا قد يدفع بنا إلى الندم على كثير من اختياراتنا، ومواقفنا، وقراراتنا المؤجلة، ولاة حين مندم.

ننسى أنه قد يأتي الغد، ونحن في عداد الغائبين عن الحياة، ولا يلهمنا إدراكنا اليقيني لموتنا تغيير طرائق اتصاننا بالله الكريم، ولا تغيير تفاعلنا مع أنفسنا، والحياة، وبعضنا البعض.

نقرر أن نعامل أولئك الذين يشكّلون بؤرة اهتماماتنا بعناية فائقة، وبحساسية مأمولة، في كل لحظة، من كل يوم، ثم نتهادى في طريق حياتنا، غافلين عن حقيقة راسخة: أن كل لحظة قد تكون الأخيرة، لنا، أو لهم، ومتغافلين عن أن كل لحظة نمنحها الآن قد تمنع ندم العمر كله، وغافلين عن أن الأمر لا يتطلب أكثر من مجهود أكبر قليلاً عما اعتدنا عليه لننصت بعناية إلى محدثنا، أو لنعانق بحرارة من يقترب منا لعناقنا، أو للتفوه بالكلمة الطيبة لمن نتحدث إليهم، أو لنعلن تحية الأمل، والحب، والسلام، على من نعرف، ومن لا نعرف، من اتفقنا معه، ومن اختلفنا معه، أو لنصغي لأصوات العقل المنبعثة من دواخلنا، ولا نلتفت إلى المثبّطات التي تنثال كالحزن في الدواخل، وكأن اللحظة المستقبلية وعد محقق القدوم والإتيان.

فهيا بنا نوثق صلتنا بالله جل وعلا، ونستزيد من طاعته والتقرب إليه، قبل أن يُحال بالموت بيننا، وبين ذلك، نُرطبّ ألسننا بذكر الله تعالى، نُسبِّح، نُهلِّل، نحمد الله على ما به علينا أنعم، وأفضل، وامتنن، نخشع لله تعالى، ونخضع له، نسجد، نركع، ندعو، نستغفر، نتوب، نعمل بجد، وإخلاص، نستحضر النية الطيبة عند كل قول، أو فعل حسن نأتيه، نخالق الناس بخلق حسن.

هيا بنا نقول لأحيائنا ما يسوغ لنا قوله، قبل فوات الأوان،

نُردّد على مسامعهم كلمات الحب، والود، والشوق، والرضا، هيا  
 نفعل من أجلهم ما يجب علينا فعله الآن، وليس بعد لحظة، ولا بعد  
 لحظات أو دقائق أو ساعات، هيا نُعين عاجزاً، ونقضي حاجة مُحتاج،  
 ونُغيث ملهوفاً، هيا نستمتع بأنعم الله تعالى علينا، وبكوننا متفردين  
 في الخلق، قبل الرحيل، نستمتع بعبير الورد، وشذاها، وتُدكّرنا روعة  
 هديل الحمام بأن كل من في الكون يسبّح بحمد الله، ويشكره، نتأمل  
 عظيم صنع الله لأنفسنا، والكون، والأحياء، من حولنا.

هيا بنا نعمل بكل جهودنا الممكنة، لتحقيق المراد من خلقنا، هيا  
 نُساهم في إعمار كوكبنا الجميل هذا، قبل أن ننتقل إلى العالم الآخر،  
 هيا بنا نتعلم التعامل مع اللحظة الآنية، بشكل إيجابي، يسمح بإتقان  
 القول، والعمل خلالها، هيا نبذر بذور الحب، ليعطّر شذاها الأسر  
 عوالمنا، فإن أقسى دموع قد تُذرف على القبور هي تلك التي تُذرف  
 حزناً على كلمات لم تُقال، وأفعال لم تُفعل، وندماً على عدم التمكن من  
 اعتقال اللحظات الحقيقية الهاربة، المحملة بالحب، والخير، والهدى،  
 والأمل، والتفاؤل، والسلام.

فهل نفعل!!؟

ذلك هو التحدي الذي يجابهنا، ونطمح أن نجوز، وذلك هو  
 الأمل الذي نروم أن يتحقق!!

نسأل الله تعالى من واسع فضله.



21



دعوة لممارسة تفكير إيجابي خلاق





عندما تتلبّد الغيوم في سماء الإنسان، وتمتلئ حياته بالمشكلات، والإحباطات، والأحلام الضائعة، نراه في الغالب يبذل جهوداً لحل هذه المشاكل، ولتجاوز هذه الإحباطات، ولتحقيق تلك الأحلام الضائعة، لكن، وهو في غمرة البحث غالباً ما يرمي أسباب فشله على الآخرين، سواء والديه، أو زوجه، أو إخوته وأخواته، أو رؤسائه، وزملائه في العمل، أو أصدقائه، أو بعض المؤسسات، والهيئات التي تُعنى بشؤونه، دائماً هو يلقي باللائمة على الآخرين، وينسى نفسه.

إنه نادراً ما يلوم نفسه، ويعاتبها، ويُعدّها سبباً لما يعيشه من أخطاء، وفشل، وإحباطات، إنه نادراً ما يغوص في أعماقه، لبحث الأسباب التي أوصلته إلى هذه الأحوال غير المرغوبة، ولا لمعرفة مواطن الخلل في حياته، ولا للبحث عن الحلول التي يُمكن من خلالها تجاوز هذه المشكلات، وتلك المصاعب.

إنه لو فعل، لوجد أن لنفسه دور كبير، فيما حصل، لطريقة تفكيره، ولأسلوب حياته، ولنظرتة للحياة، والأحياء، وما إذا كان له رسالة، ودور في هذه الحياة، أم أنه يعيش فيها أخط من السائمة، لا يدري من أين؟، ولا إلى أين؟، لطريقة اختياره للناس الذين يتعامل معهم، كأصحاب، وأصدقاء، وأحباب، وللأماكن التي يمضي فيها أوقات غالية من عمره، وللوسائل المعرفية التي يستقي منها أخباره، ومعلوماته، وثقافته... إلخ، إنه لو فعل ذلك، لاتضح له بجلاء أنه بحاجة إلى التعرض لبروق التغيير.

إن التغيير سنة من سنن الله تعالى في هذه الحياة، ومن المعروف

بالضرورة أن بإمكان الإنسان التخلُّص من عاداته السيئة، وممارساته الخاطئة، مهما بلغ سوؤها، وحتى القيم نفسها، بإمكانه اكتسابها، حتى يُصبح أكثر إنسانيةً، وشفافيةً، ونفعاً، لنفسه، ومن حوله، ولمجتمعه، قال الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

لقد توصلَ الفكر الإنساني مؤخراً إلى أنه لكي تتغير حياة الإنسان لا بد أن يُغيّر طريقة تفكيره، وأن يمارس تفكيراً إيجابياً خلاقاً، وأن يبتعد عن الأفكار الشريرة، والمتشائمة، والمحبطة.

إن ممارسة التفكير الإيجابي تُعدّ عملية مثيرة يحتاجها المتعبون أمثالنا، وجوهر هذا النوع من التفكير، هو أن الإنسان الذي يُفكر بهذه الطريقة يرى صعوبات الحياة، وتعقيداتِها، ويعيش مصاعبها، وهمومها، ومصائبها، لكنه لا يدعها تحبطه، ولا تنال من روحه المعنوية، وشغفه بالعيش، إنه يُعاملها فقط على أنها تحديات، ومصاعب، تحتاج إلى بعض العمل لحلّها، إنه يعقد العزم على بذل كل جهد يستطيعه، لمواجهةِها، متسلحاً بقوة الإيمان الراسخة في قلبه، بالله جَلَّ وعلا، ومتوكلاً عليه تبارك وتعالى، وواثقاً بنفسه، وبقدراتها، ومهاراتها، وما حباها الله تعالى من نِعَم، وخيرات، لا حُد لها، ولا تُعد، ولا تُحصَى، إنه لا يستسلم لليأس أبداً، ولا يعيش مع إخفاقاته، وإنما يستذكرها، ليستقي منها العِظات، والعِبَر، والدروس، حتى لا يُكرّر ما وقع فيه من أخطاء.

إن ممارسة التفكير الإيجابي تُساعد الإنسان على امتلاك قُدرات خلاقية، تجعله يتسامى فوق الأشياء، والظروف، وها هنا بعض الخطوات التي يُمكن أن نخطوها نحو تفكير إيجابي خلاق.. هذه

## دعوة لتغيير إيجابي خلاق:

.. وطنٌ نفسك، واعلم أن الله لا يُغيّر ما يقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم.

.. غير طريقة تفكيرك، تتغير حياتك.

.. اعلم أن الله خلق لنا الحياة، لنعيش سعادة، بآمالنا، وأعمالنا.

.. اعلم أن المقياس الحقيقي لكونك ناجحاً، هو ما إذا كان ما أنت عليه الآن، مطابقاً لما كنت تريد أن تكونه.

.. اعلم أنه يُمكن إخبارك بكيفية ما ستكون عليه بعد سنة، إذا قلت فيم تفكر، وكيف تفكر الآن؟

.. تفاعل بالخير، تجده.

.. اعلم أنك سوف تفوز، لكن بشرط أن تسعى، وتكافح، ولا تستسلم ولا تيأس أبداً.

.. اعلم أن في استطاعتك أن تُحقّق أهدافك في الحياة، إذا كنت تؤمن بالله حقاً، وصدقاً، وبقدرته على نصرتك، ثم تؤمن بقدراتك، وإذا عملت، وإذا كانت لديك رغبة، وقناعة عميقة بأهدافك، وإذا كنت تتمتع بتفكير بئاء، خلاق.

.. ليكن عندك شيئاً تريده، واعرف كيف تصفه، بدقة، وبالتفصيل، ثم استعن بالله تعالى، واعطه كل ما لديك، من عمل لا يعرف الكلل، أو الملل.

.. صلّ بخشوع، وادع الله جل وعلا بيقين، واشكره على الأشياء الثمينة، التي وهبك إياها.

.. كن متفائلاً تجاه أي شئ، وقل لمن تحب أشياء موحية بالأمل، والسرور، والبشر، عن صحتك، وأسرتك، وعملك، ومستقبلك، ووطنك، ومجمل متعلقات حياتك.

.. غذّ عقلك بقراءة الكتب، والمجلات، والجرائد، وتصفح مواقع الانترنت الهادفة، واستمع وشاهد أشياء ترفع المعنويات، وابتعد عن قراءة، أو سماع، أو مشاهدة الأخبار غير السارة، والمحبطة، قدر الإمكان.

.. صاحب الإيجابيين، الأخيار، وقرّ من مصاحبة السليبين، والأشرار، فرارك من الوحوش الكاسرة.

.. تجنب المجادلات، والصراعات، والأوضاع السلبية، واسمح للتسامح، والسلام والوئام، أن تلون أنوارهما لحظاتك، ودقائقك، وساعاتك، وأيامك، ومجمل الأوقات، في حياتك.

.. ابحث عما هو جيد فيك، وانظر إلى نفسك، بوصفك شخصاً ذا شأن، كما أنت حقاً.

.. اطرح جانباً كل أفكار رثاء الذات، وركّز على المكاسب، بدلاً من الخسائر، وعلى الفرص السانحة، بدلاً من عدّ الفرص الضائعة، وضع قائمة بمصادر ثروتك الحقيقية، كالشخصية، والعقل المتفتح، وجودة التفكير، والصحة، والأهداف الجادة، والموهبة، والعلم، والمعرفة، والقدرة على التعلم المستمر، والعمل، والأسرة، والأصدقاء، وغيرها.

.. انظر إلى كل صعوبة تجابهك، بوصفها تحدياً، يُمكنك التعايش معه، والتغلب عليه، وتحويله إلى منحة، وليس منحة.

.. ادع الله بقلب خاشع، مؤمن وموقن بالإجابة.. صلّ مستشعراً عظيمة من تتواصل معه وتتصل به.. فكّر خارج الصندوق كما يُقال، أي بشكل مختلف، وغير تقليدي.. آمن بثقة عميقة، بمن تؤمن به، وهو الله تعالى.. تصرف بحكمة، وثقة.. احلم بما يطيب لك، من خيرى الدنيا، والآخرة.. اعمل بجد، واجتهاد، وتفانٍ، وإخلاص.. أعط بلا حدود، ومن غير مَن، أو انتظار لمقابل.. اصفح واعفُ بكرم.. أحب بكل ذرة في كيانك.. اضحك بامتلاء.. استشعر دوماً أنك رفيع القدر، عالي المكانة، وسعيد كل السعادة.

.. اقطع على نفسك عهداً، بأنك ستصبح قوياً، إلى حد لا يُمكن معه لأي شئ أن يُعكّر صفو هدوئك الداخلي.

.. اقطع على نفسك عهداً، بالتحدث عن الصحة الجيدة، والسعادة، والطمأنينة، والرضا، وراحة البال، والهدوء، والجمال، والرفاه، مع كل شخص تلاقيه.

.. اقطع على نفسك عهداً، بجعل أصدقائك يشعرون بأن في كل منهم شيئاً مهماً، وناجحاً، ومحضراً.

.. اقطع على نفسك عهداً بالنظر إلى الجانب المُشرق، في كل ما ترى، وتسمع، ومعه تتعاطى.

.. اقطع على نفسك عهداً، بأنك ستفكر في الأفضل فقط.

.. اقطع على نفسك عهداً، بأنك ستكون متحمساً، لنجاح الآخرين،  
كما تكون متحمساً لنجاح ذاتك.

.. اقطع على نفسك عهداً، بأنك ستنسى أخطاء الماضي، وأن تغذ  
الخطي، نحو إنجاز أهداف عظيمة، في الحاضر، والمستقبل،  
القريب، والبعيد.

.. اقطع على نفسك عهداً، بأنك ستحاول، محاولة واعية، وأن تبدو  
ودوداً في جميع الأوقات.

.. اقطع على نفسك عهداً، بأنك ستقضي وقتاً أكثر لتطوير نفسك،  
بحيث لا يبقى لديك متسع من الوقت لانتقاد أي شخص آخر،  
أو التفكير في إيذائه، أو هدم إنجازاته، أو تعكير صفو حياته.

.. اقطع على نفسك عهداً، بأن تصير عصبياً على الهموم، حليماً عند  
الغضب، صامداً عند الخوف، وسعيداً بحيث لا تسمح بحضور ما  
يعكّر صفوك.

.. ودائماً استصحب النية الطيبة عند الهم بأي قول، أو عمل،  
وتوكل على الله جلّ وعلا، واستمد العون، والتوفيق منه.

.. وفي كل الأحوال عش حياتك، بإخلاص، ومودة، وتفان، وإتقان،  
ورقي، وحنان، وحب.

22



دعوة للنجاح





يُطَّلُ عاماً جديداً فنستبشر بإطلالته، ونشرع في التخطيط لعيش لحظاته، وثنائه، ودقائقه، وساعاته، وأيامه، وقد أتيح لكل منا خلال الفترة المنصرمة (ربما) عمل الكثير مما يُقَرَّبُ إلى الله جلت قدرته، ومما يساهم في إعمار الأرض، ويُساعد على جعلها مكاناً تستحق به الحياة أن تُعاش، وفاتنا عمل الكثير.

بعض الأعمال أنجزناها كما خططنا، وأخرى فشلنا في تنفيذها، كما نُحِبُّ، أفرحنا ما حققنا، من إنجازات، ونجاحات، وحرزنا، لما لم يُتَّح لنا إنجازُه، وما فشلنا في جعله ممكناً، ولأننا نؤمن بالله جلت قدرته، حق الإيمان، ونثق بقدرته، ثقة مطلقة، لا يشوبها شك، أو ريبة، ونؤمن بأننا بشر، نخطئ، ونصيب، وأن من لم يعمل فقط، هو من لا يُخطئ، لم نفقد الأمل، ورحنا نحاسب أنفسنا، نتأمل الدروس، والعبر، ونُحلِّل الأسباب، ونستخلص النتائج، نُعيد رسم أولوياتنا، ونُحدِّد أهدافنا، التي نروم تحقيقها، خلال ما تبقى من العام الذي كان إلى وقت قريب جديداً، إن كتب الله لنا فيه حياة، في ظل فهم عميق، بأن النجاح لتحقيق أهدافنا، حلم، لا نكف عن تمثله، نبراساً للحياة.

هذه دعوة للنجاح، أزفها بإخلاص، وصدق للجميع، نساءً، ورجالاً.. صغاراً، وكباراً، وأدعو الله جل، وعلا، أن يُمكننا جميعاً من تحقيق كل النجاحات التي نصبوا إلى تحقيقها في حياتنا الشخصية والعامة، حتى يُحقِّق الله لنا جميعاً بذلك، عزاً، تمحي به المذلة، التي تفرق في أتونها أمتنا الأبية، عجل الله بنصرها.

في البداية أتساءل:

.. هل يمكن القول أن النجاح إكسير الحياة؟ ما المقصود بهذه الكلمة السحرية؟

.. من هو الإنسان الناجح؟

.. ما هو السبيل إلى تحقيق هذا الأمل المنشود؟

وبمحاولة متواضعة للإجابة على هذه الأسئلة يمكن القول أن ذلك ممكن، طبقاً لما هو مطبوع في الذهن، عن أهمية النجاح، لكل حي، كما يتبادر إلى الذهن، عدد من التعريفات، بحجم الآمال، والتطلعات، وأسمح لنفسي بالإغراق في التخيل، فأعتقد بأن عدد تعريفات النجاح، يوازي عدداً عدد الأفراد الذين يعيشون على كوكبنا الجميل هذا، إذ لكل إنسان فهم خاص لهذا الأمل المنشود.

وفي رأيي المتواضع، يُعد ناجحاً، من تمكن خلال يومه، وليلته، من أداء جميع الصلوات، والسنن المكتوبة، بخشوع، وخضوع، وإخلاص نية، لله جل وعلا، وبالمثل من بقي في عمله، كل الساعات المحددة للعمل، وثابر على أداء المهام الموكلة إليه، بهمة، ونشاط، وبالمثل أيضاً من أمضى سحابة يومه بين الناس، ولم يظلم هذا، ولم يسب ذاك، ولم يفتب، أو يتهم، أو يُنم عند هذا، أو ذاك.

وقل مثل ذلك، لمن عاد إلى منزله فرحاً بالعودة إلى زوجته، وأطفاله، والتقاهاهم، واجتمع إليهم، واستمع إلى آمالهم وتطلعاتهم، وأفراحهم، وأحزانهم، وأنصت لشكاواهم، وتجاوب قدر الاستطاعة مع

ذلك، وساهم في معاونتهم، على اجتياز الصعاب، وبلوغ الآمال، برغم ما يشعر به من تعب، وما حل به من إرهاق، ونصب، من جراء عمله، خلال يومه الطويل.

وقل مثل ذلك أيضاً لربة البيت التي استغلت كل دقيقة من وقتها، للتفاني في خدمة زوجها، وأطفالها، وبيتها، وللمرأة العاملة التي لم يُثنها التعب من جراء عملها المشروع خارج المنزل، عن تقديم خدماتها لزوجها، وأطفالها، بعد العودة إليهم، وللطلاب، والطالبات، الذين لا يهدرون أوقاتهم، بل يستغلونها، في الاطلاع، والمذاكرة، وتحصيل العلم، والمعرفة، لتحقيق نتائج أفضل، وللمزارع في حقله، وللصانع في مصنعه، وللتاجر في متجره، وللجندي الباسل في ثكنته، إلى غير ذلك من بني البشر، الذين فهموا أسباب خلقهم، وتفاعلوا مع الحياة، وجاهدوا لعمارتها، امتثالاً لأمر الخالق، جل وعلا.

إن النجاح مطلبٌ أساسي، مهم، وضروري، في كل أوجه الحياة، فعلى سبيل المثال يكون الإنسان حريصاً على بناء علاقة متميزة بربه، ليضمن معها الفوز برضاه جل وعلا، ثم بالجنة إن شاء الله تعالى، وهو اجتماعي بطبعه كما يقال، لذا فهو حريص أيضاً كل الحرص على بناء علاقات جيدة، إن لم تكن متميزة، ومتمينة، مع من حوله، من الناس مثل والديه، وإخوانه، وزوجه، وأولاده وجيرانه، وأصدقائه، وزملائه في العمل، ومعارفه، ومن يُقدَّر له الاختلاط بهم، والتعرف عليهم، لأي سبب من الأسباب، وكل ذلك ليكون محبوباً، ومدعوماً منهم، كذلك، في توجهاته الخيرة، في وقت السعة، والراحة، أو في وقت العُسْر، حين تعترض سبيله عادية من عوادي الزمن، أو نازلة من نوازل الدهر، وهو حريص أيضاً على أن يكون ناجحاً في

عمله الوظيفي، أو المهني، مُحباً له، ومُستمتعاً بأدائه، وحاصلاً على التقدير، والشكر، عند إنجازهِ، سواء من رب العمل، أو من رؤسائه، والمسؤولين عنه، أو حتى من مرؤوسيه، ومن قلده الله تعالى أمر قيادتهم.

والإنسان محبٌ كذلك لأن يتمتع بصحة جسدية ونفسية جيدة، حتى يتسنى له مواصلة الحياة بمتعة، وراحة، وبفاعلية مؤثرة، وهو محبٌ أيضاً لأن يكون سعيداً، وناجحاً في جميع جوانب حياته، بكل ما تنطوي عليه السعادة، من معانٍ عذاب، وأن يكون ذا مال وفير، يكفيه لتحقيق تطلعاته، المشروعة، بعيداً عن ذل الفقر، وغلبة الدين، وقهر الرجال، وأن يكون ذا جاه يُمكنه من خدمة الآخرين، والإحسان إليهم، والبر بهم، ومساعدتهم، وبالجملة هو حريص على تحقيق النجاح، في كل جوانب حياته، الخاصة، والعامة، الدينية، والدنيوية، المادية والمعنوية، الروحية، والفكرية، والعقلية، والجسدية.

والظفر بالنجاح لا يُمكن أن يتم مصادفة، أو اعتباطاً، بل لابد للمرء من أن يدفع الضريبة المُجزية الجزلة لنيله، من خلال التخطيط الدقيق، والعمل الجاد، الدءوب، المخلص، والمراجعة المحيطة بالتفاصيل، ودقة التصويب، والاختيار من بين البدائل المتعددة، وعصف الذهن، وصياغة الأفكار، ولكي يتحقق هذا المطلب الهام، بشكل يُغطي جميع جوانب الحياة، فإنه لابد للمرء من أن يعمل على أن يعيش حياته بطريقة توازن بين جميع الاحتياجات، حتى لا يكون الميل لتلبية حاجة من الحاجات، سبيلاً إلى حدوث خلل في أخرى.

وهنا بعض الأفكار التي قد توصل إلى هذا الأمل المنشود:

إن التعامل مع الآخرين وفق أساليب المودة، والتعاطف، والحب،

والتفاهم، والاحترام، أمر كفيلاً بمساعدة الإنسان على بناء علاقات متميزة مع الآخرين، مهما كانت شراسة أحدهم.

وإذا اقتنع المرء بأنه لا مُستحيل مع التوكل على الله، جلت قدرته، ولا يأس مع الحياة، ثم تحلى بإرادة قوية، وصبرٍ وعمَلٍ، وتحَمَّل المشاق، والمتاعب، فإنه يكون قد قدَّم شيئاً ثميناً، لتحقيق ذلك الشيء المُبتغى، ألا وهو النجاح.

ولأن التغيير سنة من سنن الله جل وعلا، في أرضه، وواقع لا محالة، لذا يجب على الإنسان أن يقبل بالتغيير، عندما يحدث، ثم يحاول ما وسعه الجهد، أن يكون مواكباً لموجاته، التي باتت تؤثر على جميع جوانب الحياة، المادية، أو المعنوية، بشكل متسارع، لم يُعد معه بمقدور المرء ملاحقته، وإن كان غير مستحيل عليه التعايش معه، حتى يضمن لنفسه السير قدماً في طريق النجاح، ومن أبرز المجالات المادية القابلة للتغيير بشكل مضطرد، ومتسارع ما تفرزه المصانع في شتى أنحاء العالم من جديد، في تقنية المعلومات، وبرمجة الحاسبات الآلية، وما تبثه على مستوى اللحظة وسائل الإعلام المرئية، والمقروءة، والمسموعة، والمكتوبة، من معلومات باتت تُشكل عصب الحياة المعاصرة، وبؤرة الاهتمام، بالنسبة لغالبية الناس.

وعندما يكون المرء على علم بقدراته، ومحيط بإمكانياته، وواقع نفسه، وواقعي في توقعاته، فإنه يكون قد سيرَّ رحلته إلى النجاح، بشكل أكثر سلاسة، وأماناً. والتفاؤل، والحماس، يُعدَّان من العوامل التي تُثري النجاح، وتؤثر فيه، إذا روعي فيهما الحذر، والاعتدال.

والإنسان الراغب في النجاح لابد أن يهتم بالاستعداد لمستقبله التعليمي، والمهني / الوظيفي، ولا يكون ذلك، إلا لمن يعمل على أن يكون لديه مهارات جيدة، سواء منها ما يتعلق بالتعامل مع الآخرين، أو بالقدرة على التعامل مع المعطيات التقنية المتطورة، التي تغزو أسواقنا كل يوم، في مجال الحاسبات الآلية، أو الاتصالات، أو غير ذلك أو بتعلم اللغات الحيّة، التي تُشكل نوافذ للإطلاقة على كل جديد ومتطور، في هذا العالم الذي أصبح كما يقال قرية واحدة، ومعروف أن السبيل الجيد لتطوير هذه المهارات، يكون بمواصلة التعليم، والتعلُّم، والانخراط في دورات تدريبية، جادة، حسب القدرة وطبقاً للاحتياج. هناك قاعدة ذهبية بسيطة في مفهومها، لكنها عميقة في مدلولاتها، ويمكن تطبيقها على أرض الواقع، تتمثل في: أن يحب المرء للآخرين، ما يحب لنفسه، وعندئذ يستطيع الحصول منهم على كل ما يريد لأنه ساعدهم لنيل ما يريدون.

وإذا ما تعرّف الإنسان على ما يريده الآخرون منه، سهّل عليه الانتفاع من تلك القاعدة الذهبية، المشار لها آنفاً، وسهّل عليه أيضاً التخطيط لتحسين علاقته بهم، فعلى سبيل المثال تهدف الزوجة إلى أن تكون في كنف زوج، يُشعرها بالأمان، ويتفهم حقوقها، ويمكّنها من الاضطلاع بواجباتها، ويتشارك معها بأمانة، وصدق في أداء رسالتها، التي خلقهما الله تعالى لأدائها، والأولاد يودون من والديهم احتواءهم بمشاعر الحب، والعطف، واللطف، والرحمة، والحنان، ومساعدتهم في بناء ذواتهم، وتحقيق أحلامهم، ليكونوا أناس صالحين، لأنفسهم، ولأسرهم، ولأوطانهم، ورب العمل يريد من موظفيه أن يكونوا أكثر

ولاء لأعمالهم، وأعلى إنتاجية، وإخلاصاً، وأكثر جودة في العطاء، حتى يتسنى للمؤسسة، أو الشركة، أو الدائرة الحكومية، أو الخاصة، أو الخيرية، تحقيق أهدافها المادية، أو المعنوية، أو هما معاً، والعامل، أو الموظف، يُريد من صاحب العمل أن يوفر له عملاً ممتعاً وبيئة صحية تمكّنه من أداء العمل، بأمان، وحيوية، ونشاط، وأن يكافئه، إذا ما أحسن في إنجاز الأعمال، وأن يُشركه في صنع القرار، وإبداء الرأي، وتحمل المسؤوليات، والنتائج، ثم يأتي بعد ذلك، بزوغ الأمل في الحصول على الأجر المرتفع، والأمان الوظيفي، وإتاحة الفرصة للترقي، إلى غير ذلك من الحقوق والمزايا.

ولا يستطيع الإنسان أن ينجح، ما لم يكن لديه خطة مكتوبة للحياة، يُضمّنُها أهدافه، وبرامجه الدنيوية، والأخروية، وما لم يكن على علم بوجهته في الحياة، ومبتغاه منها، فلن يصل لأي منهما، ومن يعمل على تحديد أهدافه، ووضع خططه، وتصميم برامجه، ثم يقوم بتنفيذ أعماله، وفقاً لما خطّط، مع مراعاة تصحيح الانحرافات المكتشفة، أثناء التنفيذ، ليسهل عليه الانطلاق على ضوء ذلك، لتحقيق أهدافه في عالم الحقيقة، وعلى أرض الواقع، حتى يفوز برضاء الله جلت قدرته، ثم بنيل الجنة، وفي الحياة يتمتع بصحة جيدة، وبعلاقات وطيدة طيبة مع الآخرين، وأن يكون سعيداً، وناجحاً، ومقبولاً، في مدرسته، أو مصنعه، أو متجره، أو مكتبه، أو حقله، أو موقعه مهما وأنى كان، وأن يكون متفائلاً بمستقبل مشرق، ومؤملاً في غد باسم، واعد.

ولا يُمكن أن يفوز بالجنة - إلا أن يتداركه الله بفيض رحمته وجميل غفرانه - من لم يعمل الصالحات، والطاعات، ومن لم يتجنب

اقتراف المعاصي والسيئات والموبقات، ولا يُمكن أن يرتبط بزوجة صالحة، تتحلّى بالأخلاق العالية، والصفات الجميلة، من لم يستعد لدفع المهر الذي تستحق، مادياً أو معنوياً، فمن يطلب الحسنة لم يُعَلِّها المهر، كما يقول الشاعر، ولا يستطيع الحصول بطريقة مشروعة على شهادة عالية، من لم يبذل جهداً كافياً، لاختيار التخصص المطلوب، والكلية المرغوبة، ومن ثم يبذل قصارى جهده، في الاستذكار، والمطالعة، والمواظبة على حضور المحاضرات، والاستعداد لأداء الامتحانات... إلخ.

كما لا يُمكن أن يحصل من عرق جبينه على سيارة فارهة فخمة، من لم يضع لذلك خطة، يُحدّد من خلالها نوع السيارة المستهدفة، وسنة صنعها، والشركة البائعة، وأسلوب الشراء، وطريقة سداد القيمة، وتاريخ البدء لتنفيذ المهمة، والتاريخ المتوقع، لأن تكون حقيقة للعيان بحوزته، ثم يُنفذ ما خطّط، وقل مثل ذلك لمن يريد الحصول على ثقافة عميقة، أو وظيفة محترمة، مرموقة، أو منزل واسع، أو قصر منيف، أو مال وفير، أو أصدقاء أوفياء، مخلصين، أو غير ذلك من الآمال، والتطلعات، التي تجعل للحياة أهمية، ومعنى، فلا بد من التخطيط، والعمل، بإخلاص، وتفان، وصبر، وثبات.

إنها دعوة مخلصّة نابعة من أعماق القلب المُفعم بالحب، للجميع، لأن يوفق الله الجميع للفوز بالنجاح، في هذه الدار الدنيا، وفي الأخرى الأبقى.

والله من وراء القصد.



23



رشة عطر



نعرف الكثير من الحكَم، والأمثال، والأقوال، والوقائع، التي تؤكد على أن السعادة، لا يُمكن أن تُشتري بالمال، ولا بالجاه، ولا بالمنصب، ولا بالشهرة، لكن من المؤكد عند كل ذي لب، أن الاعتداد بالذات، والرضا عن النفس، فيما يفعله الإنسان، والشعور بالاستقلالية، والتقارب مع الآخرين، والثقة بالنفس، كلها أمور تُسهم في الإحساس بالسعادة، وتقريبها عموماً من الكيان.

إن المرأة العاقلة الصالحة ملك ذو جناحان، تطير بزوجها على أحدهما في فيافي السعادة وخمائل الود، إذ الزواج السعيد مصدر من المصادر الرئيسية لسعادة الإنسان، وهو شركة مُقدَّسة يتقاسم إدارتها شخصان فقط، وهو سكن، وإلف، ومودة لهما.

في فضاءاته المسحورة تطير الأسماك، فائقة الجمال، ووافرة التُّوع، وتحت مائه فائق النقاء، والشفافية، تسبح العصافير، والطيور، والفرشات، الملونة، براعم أشجاره، تُفاجئ أغصان الشتاء، والسلاحف، تتفزز في أنحائه، كالأرانب، والأفق، أفقه، مدى للركض، والمرح اللاهي، النشوان، وفي سمائه، ينتصب قوس قزح، إشراقه دائمة البشر، والتفاؤل، وإطلالة حنون، على العالم الولهان، في مروجه تُكتشف الكواكب، والنجوم عن قُرب، ورماد النيران المنطفئة بسببه يعود جمرًا، وقطرات العطر الشذية تهجر زجاجاتها الكريستالية، عائدة برضا وألق إلى بتلاتها، الشفيفة المرهفة، والزهور الذابلة، في الآنية الذهبية، والفضية، والكريستالية، تعود إلى حقولها، براعم صغيرة، نابضة، بالدفع، والحب، والحياة، ورمل الزمن الأزرق في الساعة الرملية يسقط، من الأسفل إلى الأعلى، بدلاً من العكس، خلال تدفقه، للاحتفاء بأحداث هذه العلاقة، المقدَّسة.

إن الابتسام، مفتاح من مفاتيح قلوب أهله، والتحلي به يُعدّ صمام أمان، للعلاقة بينهم، والمشاركات الوجدانية، الصادقة، وإبداء الاهتمام المُخلص، والتعاطف، والمؤازرة، يحتاجها كلاً من طرفه الآخر، لا سيما في هذا الزمان الذي يتسم بكثرة الهموم، والمصاعب، والتحديات، والأتعاب، والمنغصات.

والزوجان مزيج من التشابه، والاختلاف، وكلاً منهما ينطوي على أشياء محبوبة، وأخرى غير مرغوبة، وكل طرف يبحث عند الآخر، عما يتمم من خلاله، أوجه النقص لديه، ويعينه على الوصول إلى الأمل المنشود، السعادة.

ومن الأمور التي يجب على كل طرف فهمها عند الطرف الآخر، سماته، ومفاتيح شخصيته، وكيفية التعامل معه، مهم جداً، الإقرار بالفروقات الفردية، التي خلق الله كلاً من الطرفين عليها، فلكل طابعه الخاص، وطبيعته، ميوله ورغباته، ومن علائم القبول بها، عدم محاولة العمل على تغيير الآخر، والتعامل معه على أساس أنه مختلف، وأن اختلافه عامل إثراء للعلاقة، لا انتقاص من قدرها، وكمالها، وأن هذا الاختلاف عامل بناء، وارتقاء بها، لا عامل هدم وتقويض لها.

إن فهم الآخر، هو دائماً الوديعه الأولى في بنك العواطف، والأحاسيس، والمشاعر، والحب، وهو الطريق السالك، إلى احتلال أحداق القلب، ولا يُمكن أن يعرف أحدا أنواع الودائع المفضلة لدى نصفه الحلو حتى يفهمه، تمام الفهم، ولذا لا بد مثلاً أن يعرف هل هو ممن يعتمد في تعاملاته مع الآخرين على حاسته البصرية، فيهتم

كثيراً بمظاهر الأشياء وتجلياتها، وبرؤية الأدلة والبراهين قبل أن يتعامل مع أي شئ بجدية وموضوعية، لا بد أن يعرف هل يفكر عن طريق رسم الصور؟ هل تستهويه الألوان والأشكال؟

وهذا بكل تأكيد يتطلب أن يُراقب أسلوب حديثه وتصرفاته (ربما) لفترة طويلة، حتى يكتشف ما إذا كان يتحدث بسرعة ويكثر من الالتفات خلال الحديث، أم هو يتحدث بتؤدة وببطء؟ هل هو يحب الأناقة، ويحيط نفسه بالأشياء الجميلة؟ أم هو لا يهتم بمظهره، ولا بأناقة ما حوله. هل يهتم بأدنى عيوب في الأشياء؟ أم أنه لا يبالي بما هي عليه من حال؟! هل يهتم بالمظاهر؟ هل يحب الترتيب والنظام، أم تحوطه الفوضى ومنغمس بها؟!

لا بد أن يعرف هل الشريك من الذين يعتمدون على الحاسة السمعية؟ ومثل هذا تكون استجابته العاطفية للصوت، يستمتع بالكلمة المنطوقة، العذبة، ويهتم بالصوت المنعم الجميل، يُحب الحديث مع الآخرين، ولا يُكثر من الإيماءات والإشارات.

أم هو من الذين يعتمدون على الحاسة الحركية؟ ووفقاً لمزاج الشخص المتسم بهذه الصفة يجب أن تكون الأشياء صلبة، وذات تكوين متناسق، ولها القدرة على إثارة المشاعر الجيدة، والأحاسيس الراقية، وهو أيضاً يمتاز بصوت وإيماءات منخفضة، وتلقائية.

إن من المهم، جداً جداً، لديمومة العلاقة بين الطرفين اكتشاف الحاسة المفضلة لدى الطرف الآخر، ومعاملته على أساسها، فإذا كانت النتيجة أنه من النوع المعتمد على حاسته البصرية، فمن المهم أن

يتم تكثيف الاهتمام بالأشياء ذات الأشكال والألوان، لأن هذا ما يثيره حتى لو كانت حاسة الآخر تختلف، وإذا كان من النوع المعتمد على حاسة السمع فمن المناسب أن يخصه الآخر بالكلام الشعري، الجميل، والمنمق، يُكثر الحديث إليه، ويُصت إلى أحاديثه، بأذنه الثالثة (قلبه)، أما إذا كان من النوع المعتمد على الحاسة الحركية، فمن المهم أن يعلم الطرف الآخر أن شريكه من الذين يتكلمون ببطء شديد، ويهتمون بتفاصيل الأشياء، حتى وإن كانت في نظر الآخرين غير ضرورية، وربما تافهة، يستمتعون بلمس الأشياء، ويحبون الملابس ذات النقوش الهادئة، ويعتمدون دائماً وأبداً على طيبة القلب.

ومن المهم أيضاً أن يستخدم الإنسان مزيجاً من هذه الحواس مع الأخذ بالاعتبار تميز إحداها على الأخرى، لا بد أن يعرف كلاً منا طريقة تفكير الآخر في الأمور المختلفة، ويعامله على أساسها، يعرف دوائر اهتمامه، وميوله، ورغباته، ومفضلاته، أي الأشياء التي يُحبها، والأخرى التي يكرهها، ويعرف دوائر نفوذه، أي الأشياء التي يقدر على تنفيذها، يعرف هواياته، أطباعه، طموحاته، أحلامه، تجلياته، الأشياء التي تُفرحه، وتُبهِجه، وتلك التي تُنغص عليه حياته، وتسقطه في دوائر الكآبة والحزن، لا بد أن يتعرف على أهدافه، رسالته في الحياة التي يعيش لتحقيقها.

إن أخذ كل طرف لرأي شقه الآخر فيما يعرض له من مسائل، وشؤون، وشجون، وما يتخذه من قرارات شخصية وعملية، وعائلية، أمر جد صائب، ويعود على طرفي العلاقة والعلاقة نفسها بخير، لا يُحدِّد بحد، والصفح، والعضو، والتسامح صفات، لا بد أن يتحلى بها كلا

الطرفين، لا سيما الرجل، وكذا المحبة، والطاعة، إلا أنها من الصفات  
اللازم توافرها في المرأة بشكل أكد.

كنّها بالاسم الذي هي تُحَبُّ، وبشكل مستمر، وعضوي دلّ لها، أثناء  
الحديث معها، واحذر أن يكون ذلك فقط عند رغبتك في أن تُحقق لك  
طلباً من طلباتك، اختر الكلمات الشاعرية، والعبارات الرومانسية، التي  
تُدخل الأنس لقلبيها، وتهدهد دواخلها، وترطبّ أحشاء مشاعرها، ليس  
كثيراً أبداً أبداً أن تنتقي أجمل العبارات لمناداة حبيبة قلبك، ورفيقة  
دربك وشريكة حياتك من مثل: يا بهجة عمري.. يا ربيع قلبي.. يا  
بؤبؤ عيني.. قلبك عشي الأبدى.. وعيناك قدرتي.. قربك دفء قلبي..  
وبحضورك أنسى العالم كله.. أنت عمري.. أنت أمل حياتي.. أحبك فوق  
ما يمكن أن تتصورين.. أحبك قد العالم.. كبير السما بأحبك.. أحبك  
بعدد زخات المطر.. أحبك بعدد أوراق الشجر، أحبك بعدد همسات  
البشر.. أعيش فيك.. أنت أملي.. أنت كل وأهم ما أملك.. أنت سعادتي  
وهنائي.. أنت أجمل هدية لي.. بدأت حياتي بوجودك معي.. أنت اللي  
قلبي يتمناه.. يا بختي أنك بحياتي.. أنا ولدت من جديد لما صرتِ  
زوجتي.. ياليت العمر يتوقف على حالة هنا جنبك.. أنت ملكة قلبي..  
أنت أميرة الغيد.. أنت تاج رأسي.. أنت سر سعادتي.. أنت سر هنائي..  
أنت الأمل الذي أعيش من أجله.. أنت الحلم.. أنت أفضل ما حُزرت  
من الدنيا.. أحس بالاطمئنان وأنت معي... إلخ هذه الكلمات الطيبة  
التي تُحقق المقصود، ولا تُجافي الواقع.

لا تُكثر معها استخدام لغة الأمر، اكتب لها كلمات الشعر أو  
النثر الرقيقة، الحاملة، التي تُعبّر بها عما تُكنّه لها من حب، ضع

كلامك في رسالة، وتركها مخبأه في مكان تتوقع إتيانها إليه، بشكل مفاجئ، احضر لها أحياناً بعض الطلبات التي كنت لا تستطيع تلبيتها.

إذا أخلَّ أحد الزوجين بأي من واجباته، أو بعضها، أو أخطأ في حق صاحبه، فيجب على الآخر لفت نظره إلى ذلك، بشكل هادئ، ومن دون تجريح، وعندئذ على المخطئ أن لا يجد في نفسه تردداً، ولا تحرجاً من الاعتذار، بأريحية، وطيبة نفس، ومن ثم على الطرف الأول المسارعة إلى التسامح، والعفو، والصفح، وقبول الاعتذار.

وليحاول كل طرف عدم إظهار عيوب شريكه، بشكل مباشر، ليحاول تشجيع شريكه على العناية بالأشياء التي يهواها، ويحبها، ويشاركة في ممارستها، ليعمل على تشجيعه على التزود بالعلم، وحضور حلق الذكر، والاستفادة من البرامج المتميزة، التي تطرحها وسائل الإعلام المختلفة، والأنشطة الفكرية، والثقافية التي تُقيمها مؤسسات المجتمع المختلفة.

إن حُسن اختيار رفيقة العمر، وشريك الحياة، من تباشير الوفاق، والمودة بين الزوجين، والتكافؤ بين الزوجين مطلب هام لاستمرار الحياة بينهما، وعنصر حيوي لتوفير الرضا المطلوب بينهما، وتحقيق الحياة الهانئة السعيدة لهما، بعشهما الزوجي، ولا يتبلور ذلك إلا من خلال تقارب الوعي بشؤون الحياة، وفي ظل عدم وجود فجوة كبيرة في المستوى التعليمي، أو الثقافي، أو الفكري، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، وانتفاء ما يُباعَد المسافات في الرؤية، والفهم، والقدرات، والملكات، والهوايات، واستخلاص النتائج، وتفسير الأمور، واتخاذ القرارات، وحل المشكلات.



إن المرأة العاشقة تُحِبُّ الرجل الذي يشغل كوامن نفسها، ويملك إعجابها، ويثير حِسَّها، فتزِين لها، كما تحب أن تتزين هي لك، وبالغ في مدح زينتها، إن هي أحسنت في ذلك، وتميزت به، إمتدح الأشياء التي ترى أنها نجحت في عملها، وأبلغها أنها وفقت في موافقة رغباتك، كجودة العناية بنفسها، ودقة ترتيب المنزل، وجودة الطبخ، والعناية بالأولاد، وحسن استقبال الضيوف، والتميز في تحقيق الإنجازات الأخرى، حتى وإن كانت خاصة بها، أبلغها رضا ضيوفك عن نظافة منزلها، وحسن ترتيبها، وتنسيقها، وجودة طبخاتها، ساعدها في أعمال البيت، كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً، ووجه الأولاد، بنين، وبنات، بذلك، قدّمها على أولادك عند طلب النصيحة، أو ركوب السيارة، أو الأكل، أو الذهاب إلى السوق، أو التنزه، أو ما شابه ذلك، بمعنى اجعل طلباتها أولاً، أكرمها، ولَبِّ طلباتها المادية في المناسبات بشكل أكبر كثيراً عنه في الأوقات العادية، اسألها باستمرار عن أحوال أهلها، وأرحامها وأقاربها، ومن آن إلى آخر ذكّرْها بأهمية التواصل معهم، ورافقها إلى زيارتهم، واحمل إليهم بعض الهدايا، ولو كانت رمزية، أو اجرِ أنت الاتصال بهم وكلّمهم قبلها، وكن رقيقاً جداً معهم، رقيقاً بهم حالماً عليهم، متقبلاً لزلّاتهم.

وإذا زارك أهلها، وأقاربها فاطهر البّشر بحضورهم، وأكرمهم حسبما تستطيع، امدحها أمام أهلها، واثن على أعمالها، وحسن تعاملها معك، إذا غضب أحد من أهلها عليها، رد عليهم بكلمات طيبة ملطّفة للجو ومهدئة لها، وإذا مرضت فابد قلقاً حقيقياً لمرضها، واسهر على رعايتها، وراحتها، وأرها أنك تبذل كل جهد ممكن لطلب علاجها، اطلب

من الأطباء بحرارة على مسمع منها مساعدتها، اقرأ عليها وارققها، علمها كيف ترقى نفسها، إن كانت لا تعرف، قدّم لها هدية بمناسبة الشفاء، تولّ عنها بعض الأعمال في فترة نقاهتها، أو كلّف من يقوم بها بدلاً عنها.

أبذلي ما بوسعك لجعل بيتك مثيراً وجذاباً، غيري وجبات الطعام، ومن آن إلى آخر فاجئي زوجك بأصناف جديدة من المأكولات، والمشروبات، ناقشه في أعماله، وحاولي مساعدته لتجاوز أتعابه، تحملي التقلبات المادية التي تطرأ عليكم، بشجاعة، ومرح، ولا تنتقديه، ولا تقارنيه بالآخرين الأكثر نجاحاً، اختاري ملابسك، مع مراعاة ذوقه، تعلمي هواياته المناسبة لك، حتى تمارسيها معه، شاركه في اهتماماته الفكرية، والثقافية، أسمعيه شعراً، أو نثراً، إن كنت تجيدين الإلقاء، وبه ميل إلى ذلك، لا تمتدحي رجلاً آخر أمامه، اسأليه عن إجابة بعض المسائل، حتى وإن كنت تعرفين إجابتها، اسألي فقط لتشعريه بأهميته، لا تُقشي أسراره، لا تحرجيه بجهله، اهتمي بنظافة أولادكما، وبنظافة بيتكما، وترتيبه بشكل أكبر، خاصة عند حضوره، إهتمي بنظافة جسدك، وهندامك بشكل أكبر، خاصة في ظل بقائه في البيت، وفري الهدوء اللازم، والجو المريح له عند بقائه في المنزل، كما حرصك على راحة ضيفه، وجهي أولادك على مسمع منه إلى التزام الهدوء طلباً لراحته، ابدي فرحاً حقيقياً بعودته سالماً، وعودي أولادك على ذلك، ابدا فرحاً صادقاً ببقائه معكم في البيت، واشعروه بأنكم أكثر فرحاً، وأماناً، وسعادة، وامتلاءً، عندما يكون معكم.

إذا حضر وأنت تتحدثين على الهاتف مع قريبتك، أو صديقتك،

أو زميلتك، فاستأذني من محدثتك بشكل يعرف معه أن ذلك من أجله، اقللي جوالك في حضوره، أجلي الحديث معه عن أتعابك المتأتية من العمل بالمنزل، وتربية الأولاد، وأي أتعاب أخرى كالتى تحدث في المكتب على سبيل المثال لما بعد تمكنه من أخذ قسط وافر من الراحة، لا تفاجئيه بالأحداث المؤلمة، بل كوني حصيفة، ومراعية لمشاعره، وأحاسيسه، امتدحي هندامه، وأشياءه، أمامه، امتدحي مهاراته وأفعاله الطيبة، أمامه، وبحضور أولاده، اطلبي من أولاده الاقتداء به، إن كان أهلاً لذلك، حُثِّيهِ على الذهاب إلى زملائه وأصدقائه، من آن إلى آخر، للأنس بهم، والترفيه عن ذاته، أثناء تناولكم الطعام اختاري أطيبه، وأطعميه، بطرق خاصة تشيع المرح بينكم، وتملأ الجلسة بالبهجة، وعلمِّي أولادك أن يفعلوا مثلك، في حضوره لا تبدأوا الأكل، إلا بعده، وإذا ذهبتِ إلى السوق فاشتري له هدية، وسترين أنها ستُفرِّحه، كطفل، إذا كان من عادته النوم مبكراً فلا تؤخري دخولك إلى الغرفة إلى ما بعد دخوله، وإذا نام فلا تتركي المصباح في حالة التشغيل، لا تتركي للأطفال الصغار فرصة اللعب على فراشه، أو العبث بنظاراته، أو محفظته، أو أوراقه، أو جواله، أو حاسوبه، أو أجهزته الأخرى، أو ما شابه ذلك، من أشياءه ومتعلقاته الشخصية، لا تتدمري من طلبه مساعدتك في ارتداء ملبسه، أو خلعها، أو تكييس جسده (تدليكه)، بل بادري إلى ذلك بحب ومودة، إن رغب.

لا تسأليه مع من تحدث بالهاتف، فور إنهاء المكالمة، بل امنحيه فرصة إعلامك بذلك، أو لا تكثرثي للأمر، فقد لا يهتمك ما كان يتحدث عنه، لا تُشعريه بأنك تخشين صدره، لا تُشعريه بأنك تتجسسين عليه، لا

تُحدِّثه عن صديقاتك وتفاصيل ما يدور في مجالسكن من أحاديث، لعدم إيذائه بالتفاصيل، ولأن غير قليل من القاصص التي كان صدق المرأة وبساطتها عند التحدث عنها مع زوجها بمثابة الخيط الرفيع الذي أوقع به في حبال الرذيلة، أو حتى الزواج عليها.

تُحدِّثه المسكينة عن صديقتها المتزوجة، أو المطلقة التي ليس في الوجود مثلها جمالاً، ورقةً، وحناناً، وعطفاً، ولطفاً، وعرفاً، وكمالاً، ويستزيدها فتُضيف على الموصوفة، وتُسبغ ألوان من الأوصاف الأخاذة، التي يبحث عنها في وهمه، ثم يبدأ برحلة مطاردة الأخرى، ومحاولة صيدها، إلى أن يقع ما قد لا تحمّد هي أو يحمّد هو عقباه، سواء كان الأمر بزواجه، أو ارتكابه الفاحشة، أو حتى شعوره بالعذاب من جراء التخيلات المشتهاة، لا تصفي له ما ترين من عُري ومنكرات بين النساء في تجمعاتهن، في قصور الأفراح، ومحلات الألعاب المخصصة للنساء والأطفال وما شابه، لا تتركي له فرصة الحديث عن رغبته في الزواج إذا شعرت أن الأمر لا يعدو الرغبة في الفضفضة، أعينيه على الحفاظ على مواعيده، خاصة مواعيد الصلاة، وإذا سمعت عن مناسبات تقتضي حضوره أو مشاركته فاعلميه بها، لا تُخفي عنه شيئاً مما يدور في بيته، مثل زيارة زائرة دون ذكر للتفاصيل، أو ما صدر من تصرفات من أولاده، هنا ينبغي التفصيل، بعد اختيار الوقت المناسب لذلك.

لقد حثنا ديننا الحنيف، وأرشدتنا شمائلنا السامية، وأخلاقياتنا الراقية، على السعي الحثيث لتكوين مثل هذه الشراكة المقدسة العظيمة، كما بيّن لنا السُّبل التي تُسهم في المحافظة على هذه العلاقة

المقدسة نقيه من كل الشوائب، خالية ما أمكن من كل ما يُعكّر المزاج،  
ويكدرّ الصفو، ويُبَلِّل الخواطر، والأخرى المليئة بكل ما يُبْهَج النفوس،  
ويسر الخواطر، ويسعد القلوب، وهي كما نرى سهلة، وبسيطة. فما  
أجمل أن نُتَبَّع القول بالعمل، ونكون على أهبة الاستعداد دوماً أن نُبْخ  
في الأنحاء (رشة عطر).



24



سحر التحفيز: وصفة لإطلاق  
الطاقات الكامنة لدى الموظفين





لقد فطر الله تعالى الإنسان، أي إنسان، على التأثر بالترغيب، والترهيب، والثواب، والعقاب، والمكافأة، والجزاء، والمثبّطات، والحوافز، والمنهج الإسلامي عندما يرشدنا إلى أهمية هذه الأمور، فذلك لمحاولة تحريض المجتهدين إلى عطاءات أكبر، وإنجازات أعظم، ودفع المقصّرين إلى التمثل، والاقتداء بأفعالهم.

ومن فضائل ديننا الإسلامي العظيم أنه يربط بين حوافز العمل الذي يقوم به الإنسان، والحافز الأسمى الذي يسعى لتحقيقه كل إنسان مسلم، وهو رضا الله تعالى عنه، ومغفرته له، والإفضال عليه بإدخاله جنته، التي عرضها السماوات والأرض، أعدت للمتقين.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جِزَاءٌ الْحَسَنَىٰ، وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرَىٰ﴾.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

إن قاعدة الإسلام بالنسبة للحوافز أن تُعطى لمستحقيها الحقيقيين، الذين فعلوا أفعالاً حقيقية النفع، عظيمة الفائدة، لأنفسهم، وأوطانهم، وأمتهم، بتجرد من ضغوطات المجاملة، والهوى، ومن الرغبات في التزلف.

ووفقاً لهذا المنهج العظيم تختلف دوافع الناس في هذه الحياة، فأصحاب الهمم العالية، والمثل الرفيعة تواقون دوماً إلى تحقيق درجات الكمال، أما عامة الناس، وأصحاب الهمم العادية الخائرة فيتسم أداءهم بالاعتيادية، ولذا فهم يحتاجون إلى الحفز، والتشجيع.

والموظفون ليسوا بدعاً في ذلك، بل هم مثل غيرهم من بني البشر، لكلٍ منهم مفتاح، عن طريقه يمكن فتح البوابات الموصلة إلى عوالمه الرحبة، ولكلٍ منهم أسلوب، يمكن من خلال سلوكه استمطار جهودهم، واستثمار طاقاتهم برضا، وقناعة، وحب.

من الموظفين من يهتم بالإنجاز، وآخرين يهتمهم التفوق، ومنهم من هو حريص على إقامة علاقات طيبة مع من حوله، ومنهم من تتحقق ذاته من خلال تحقق أهدافه في الحياة، واحتياجاته خلال عيشه بها، ومنهم من تُصلحه زيادة المسؤوليات التي تقع على عاتقه، والصلاحيات الممنوحة له، لتنفيذ الأعمال المنوطة به، ومنهم من يعتبر الراتب حقاً في بيت مال المسلمين، وأنه غير مطالب بإنجاز شئ في مقابل ما يحصل عليه.

إنهم يحتاجون إلى إثراء حاجاتهم الروحية، والجسدية، والعقلية، والعاطفية، بشكل متوازن، يُلبي كل الاحتياجات، بحيث لا تطفئ حاجة على أخرى، وبحيث يُتاح لهم العيش، والحب، والتعلم، وترك أثرٍ طيب في الحياة، بعد وفاتهم.

إنهم يحتاجون إلى ما يُبقي عليهم أحياء، سواء كان ذلك من خلال تأمين الغذاء، أو الكساء، أو العلاج، أو التعليم، أو العمل... إلخ، يحتاجون إلى أن يُوفّر لهم الأمن، والأمان، والاستقرار الوظيفي، والتدرُّج المستمر، يحتاجون إلى الشعور بالإنتماء إلى المكان الذي يعملون به، وأن تكون لهم القوة، والسلطة اللازمة لممارسة العمل، وإظهار التفوق.

إنهم يحتاجون إلى ما تتحقق به ذواتهم، وتبرز من خلاله مواهبهم، ومهاراتهم، وقدراتهم الحقيقية، يحتاجون إلى النجاح، وإلى الرضا الوظيفي، وإلى الإشباع العاطفي والروحي.

إن من المهم جداً أن تتناسب المكافأة مع الشخص الذي أنجز العمل، ومع العمل المُجَز، وأن تأتي في الوقت المناسب بعد إتمامه للإنجاز مباشرة، وأن يتم التكريم على مرأى ومسمع من المدراء، والزملاء، وأن يتم إعلان سبب التكريم.

إن من المكافآت التي يُمكن أن تُقدم للموظفين خطابات الشكر، أو الإطراء العلني، السؤال عن مدى تقدم الموظف في عمله، ورضاه عنه، تربيته على الكتف، قول كلمات مثل: الله يعطيك العافية، نحن فخورون بك، أكثر الله من أمثالك، أبلت بلائاً حسناً، ما أديته يُعدّ عملاً متميزاً، جلسة نقاش عام، بطاقة مكتوب عليها أن عمله مميزاً، وضع اسمه في لوحة الشرف، أو لوحة الموظف المثالي، مكافأة نقدية، باقة ورد، درع منقوش عليه اسمه، وسبب تميزه، دعوة لتناول وجبة غداء، أو عشاء، مكاملة هاتفية لشكره، منحه إجازة يوم، إعطائه موقف خاص لسيارته.

ومنها أيضاً تمكينه من حضور ندوة، أو دورة، أو مؤتمر، في المجال الذي يُحبه، وإن كان بعيداً عن مجال عمله، حفلة لتكريم نجاحه، نسخة من كتاب، إشتراك في جريدة، إشتراك في الإنترنت، تذاكر لحضور فعاليات فكرية أو ثقافية، أو رياضية، إشتراك في نادي، الطلب من الزملاء إبلاغه امتنانهم لإنجازه، الخروج معه في رحلة،

تمكينه من الذهاب في رحلة مع أقرب المقربين منه، سواء كانوا من أفراد أسرته، أو زملائه، أو اصدقائه.

ومنها كذلك زيادة في المسؤوليات، والصلاحيات المعطاة له، منحه أسهم في الشركة التي يعمل بها، إعطائه جهاز حاسب آلي شخصي، جوال، آلة حاسبة، حقيبة، أو أي هدية عينية أخرى مشابهة، تحسين المكتب الخاص به، اعطائه موقع أفضل للمكتب، اعطائه لعب أطفال لأولاده، الكتابة عن تميزه في الصحيفة، أو النشرة الخاصة بالشركة، أو المؤسسة التي يعمل بها، الإستماع باهتمام إلى آرائه، ومقترحاته.

ومن المكافآت أيضاً رسالة شكر موجهة لأسرة الموظف على مساندتهم، وتحملهم غيابهم في سبيل العمل، أو تعبيراً عن الامتنان لجودة تربيته، التهئة في الأعياد، والتعزية في حالة وفيات الأقارب، والأصدقاء، والزملاء، والتهئة عند تحقق الإنجازات الخاصة بالموظف، وذويه، إمداده بالمعلومات الجديدة، والتطورات في مجال عمله، تقديم يد العون له في أوقات الشدة، كمنح السلف، والقروض، انتدابه للعمل خارج مدينته.

ومن المكافآت إعطائه فرص العمل خارج أوقات الدوام الرسمي، إذا كان عمله يتطلب ذلك، إعطائه تأمين طبي له، ولوالديه، وزوجته، وأولاده، المشاركة في تعليم، وتدريب أولاده، حضور حفلات الزواج الخاصة بالموظف، وذويه، إفشاء روح الدعابة، والمرح بين الموظفين، تحسين الظروف البيئية للمكاتب، كالنظافة، وتكامل الأدوات اللازمة للعمل، والإضاءة، والتهوية، وعدم وجود إزعاج، توزيع المجالات،

والجرائد القيّمة، التشجيع على العمل بإخلاص وتفان، التشجيع على التعلّم، وزيادة المهارات، التشجيع على التفكير الإيجابي المُبدع، وتبني الأفكار المتميزة، والعمل بها.

واضح جداً أهمية أن يُقدّم أصحاب الأعمال، والمدراء، والرؤساء، والمسؤولون، ومن في حكمهم التقدير، والإطراء، والمكافآت، لموظفيهم الذين يستحقون ذلك عن جدارة، وذلك حتى تنطلق الطاقات، من عقولها، ويشيع في عالمنا ما نحتاج، من إبداع، في كل المجالات، وعلى كل المستويات، والأصعدة.



25



طفلنا الغائب





شئٌ صحي، يُساعد على تقوية جهاز المناعة لدى الانسان، ويُقلِّل من الاحباطات، والضغطات التي يخضع لوقعها المتزايد، صباح، مساء. مُجدِّدٌ للشباب، ومقوٍ للطاقة، ومنشِطٌ للجهود المعتلة، سحري المفعول، ليس له آثار جانبية ضارة، شئٌ يتفق مع طبيعة النفس البشرية، ويتلاءم مع فطرتها، السوية.

له حلاوة الشهد، ومذاق طعم العسل، شئٌ رائع، يصلح تقديمه في كل مناسبة، ممتع، تمتد متعته إلى مانحه، وإلى متلقيه، قابل للتبادل، يعود على من يتبادلونه بالمنافع الجمَّة، والمصالح المشتركة، العظيمة.

هو قوة عظيمة خبأها الله تعالى في كل نفس، وكل قلب، التلبس به في كل الأمور سهل على من سهَّله الله عليه، في هذا الوجود، لصناعة فارق مختلف، وتأثير حقيقي، مؤثر في هذا العالم الأكثر امتلاءً، بالضغطات، والأتعاب، والمشاكل، والمشاحنات، وفي حياة الآخرين المليئة بالتعاسة، والحزن، والكآبة، والآلام القلبية، والنفسية، والجسدية، وهو غير مُكلِّف، ولا يحتاج تقديمه لبذل كثير جهود، ينطوي على قوة تدميرية هائلة، لجميع أنواع الخلافات، والتوترات. سمَّت بنورانيتها، كل نفس، وخالطت بشاشته، كل قلب، وارتوت بممارسته، شغاف كل فؤاد، صدح به، كل بلبل، وغنَّاه، كل شادي، وناحت به، كل وُرق.

سهلٌ عليه التجول، في كل مكان، ومناسب له التسكع، في كل قلب، يُصيب كل الكائنات، بدون استثناء، وبدونه لا تستمر الحياة، إلا معاناةً وتنغيصاً.

هو أداة لجذب كل الكائنات إلى بعضها البعض، يتحد بفعله الذكر، والأنثى في الحيوان، كما الطير، كما في الإنسان، كما في النبات، كما في الجماد.

هو وصفة لكل داء، وعلاج لكل سُقم، لكن برغم وفترته في الحياة، إلا أنه لا يُستخدم بشكل فاعل، في هذا العصر المادي، ولا يوظف لحل أزمت العالم، كما ينبغي.

هو أبو العاطفة الإنسانية، وأبو التاريخ البشري.. إنه الحب الحقيقي غير المشروط: طفلنا الغائب وإكسير الحياة.

فلا تتردد في نشر كهاربه، في أي مكان عشت فيه، أو ذهبت إليه، بلا قيد، وبلا شرط، امنحه لربك، الكريم، المتعال ولرسوله صلى الله عليه وسلم، منقذ البشرية، من كل ضلال، امنحه لوالديك، ولأولادك، ولزوجك، أو زوجتك، لأقاربك، ولجيرانك، ولإصدقائك، وزملائك، وخلائك، امنحه لكل من يتواجدون في حياتك، وللناس أجمعين.

امنحه خالصاً في البيت، وبالمكتب، وأنت تسير في الطريق، في المسجد، في المدرسة، في المطعم، أو المقهى، أو الملعب، في الحديقة، والمستشفى.. في كل مكان.

لا تدع من يتعامل معك يغادرك، إلا وهو يشعر بحبك، وضمخه عُرف لطف تعاملك الشفيف، لا تتركه يُغادرك إلا وهو يشعر بإنسانيتك الغامرة، ودفء قلبك الحنون.

كن قدوة في بث إشعاعات الحب، باتجاه قلوب، ودروب

الآخرين.. كن مثالاً في إعلانه بشكل غير مشروط، على كل الناس،  
كن إنساناً، وارسم بسمة الحنان، والحب، على كل الوجوه.

دع عيناك تعبّران عن حبك، وخلي ابتسامتك تفضح صدق  
حبك، تحيتك الدافئة، دع لها المجال للتعبير للآخرين عن كهارب  
حبك، ولمستك الحنون، اترك لها فرصة التسلل إلى كل فؤاد.

كي تصنع فارقاً في هذه الحياة.

كي تعيش سعيداً.

هانئ البال.



26



عناقيد الغضب



يُقال أنه كان هنالك ولدٌ عصبي المزاج يفقد صوابه بشكل مستمر، فأحضر له والده كيساً مملوءاً بالمسامير وقال له:

يا بني أريدك أن تدق مسماراً في سياج حديقتنا الخشبي، كلما اجتاحتك موجة غضب، وفقدت أعصابك.

وهكذا بدأ الولد بتنفيذ نصيحة والده، فدَّق في اليوم الأول (٣٧) مسماراً، ولكن إدخال المسمار في السياج لم يكن سهلاً، فبدأ يحاول تمالك نفسه، عند الغضب.

وبعد مرور عدة أيام كان يدق مسامير أقل، ثم بعد عدة أسابيع، تمكَّن من ضبط نفسه، وتوقَّف عن الغضب، وبالتالي عن دَقِّ المسامير.

جاء الولد إلى والده، وأخبره بإنجازه، ففرح الأب بهذا التحول، وقال له:

ولكن عليك الآن يا بني باستخراج مسمار لكل يوم يمر عليك، ولم تغضب به.

بدأ الولد من جديد بخلع المسامير في اليوم الذي لا يغضب فيه، حتى انتهى من المسامير المدقوقة في السياج.. ثم جاء إلى والده، وأخبره بإنجازه مرة أخرى، فأخذه والده إلى السياج، وقال له:

يا بني إنك حسناً فعلت، ولكن انظر الآن إلى تلك الثقوب في السياج. هذا السياج لن يكون كما كان أبداً.. وأضاف: عندما تقول أشياء في حالة الغضب، فإنها تترك أثراً في نفوس الآخرين، مثل هذه

الثقوب.. إنك تستطيع يا بني أن تطعن الإنسان وتُخرج السَّكين، ولكن لن يهْم كم مرة تقول: أنا آسف، لأن الجرح سيظل هناك.

يُغضِّبُكَ المرض، وتغضب بسبب الجوع، ويغضِّبُكَ الإهمال، يُغضِّبُكَ الابتزاز، والاحتيال، بشتى أنواعهما، الهزء والسخرية، والتنازير بالألقاب، والعنصرية، كلها تصرفات تستفز دواخلك، وتدفعك إلى التلبُّس بالغضب، ضد من يفعلها.

يُغضِّبُكَ عقوق الابن، أو البنت، لأمهما، أو أبيهما، نشوز الزوجة، صلف الزوج، تعدي الجار، ظلم الرئيس، تعالي الزميل، عدم تفاهم، ولا مبالاة الصاحب.

وهذا الجور الذي ترزح تحته كل الدول الإسلامية، ولم تهَب الأمة كلها لرفعه، يوهن قواك، ويُسعرك باليأس، والإحباط.. يُغضِّبُكَ الكيل بمكيالين، أحدهما مبخوس إذا كان الحق لعربي وآخر مطفف إذا كان ليهودي أو مسيحي.

يُغضِّبُكَ أشد الغضب هذا التزيُّد الشنيع، والتجنيُّ الصارخ، على الدين الإسلامي، الحنيف، دين المحبة، والإلفة، والسلام، والتسامح، عندما تصفه، وتصف أهله، بالإرهاب، والإرهابيين، فئات ساقطة لا تعباً بمُثل، ولا تتمسك بأخلاق.

وهذا القلب للمعايير، والمُثل، والقيِّم، يُزعجك جداً، ويرفع ضغطك عالياً، ويوصل دمك إلى درجة الغليان، الباطل ينقلب حقاً، والظلم أصبح عدلاً، والعبودية، تسمى حرية، وانتهاك حقوق الإنسان المسلم، يُعد تصفية للإرهاب، ولا يُعد انتهاكاً لحقوق الإنسان، وكأنه



ليس من بني البشر، وإنما قادم من كوكب آخر.

يُغضبك التّعدي على حقوق المرأة، باسم الحرية، وعلى الأوطان، باسم الحرية، والديموقراطية، وعلى الأديان، والثقافات، والمثُل والقيّم، باسم حرية التعبير عن الرأي، أو العولمة، أو الكوكبة، أو الأممية، كما يؤذيك الاعتداء على مقدرات، ومكتسبات الشعوب، باسم الخصخصة.

أولا يُغضبك أن تسمع أن إنساناً أدى صلاة العصر مع الجماعة، ثم وضع رقبته في المشنقة وانتحر؟!

أولا يُغضبك أن آخر دهس والده بسيارته، متعمداً، ولقي حتفه؟!

تسمع أن إنساناً اعتدى على والدته، أو اخته، وهو تحت تأثير المخدر، أو المسكر. أفلا يغضبك هذا؟

وتقرأ أن آخر مصّ دم زوجته حتى آخر قطرة، ثم لما شاخت، وأنهكتها الأمراض، والعلل رماها رمية الكلاب، وارتمى في حضان أخرى. أفلا يدفع بك هذا إلى أتون الغضب؟

وتُشاهد بعض الجماعات تُنقّب في القفار، وقبور النمل عن ما يسد رمقها، بينما أخرى معتلة، بسبب التُّخمة. أفلا تغضب؟!

أولا يُغضبك هذا النهب البشع الذي يمارسه بعض الحكام لخيرات شعوبهم، ليضعوه في أرصدة سرية في الخارج، بأسمائهم، وأسماء ذويهم، بينما يعج البلد بمشكلات لا أول لها، ولا آخر؟!

أولا يتفطر قلبك من مرأى أطفال يُدبّحون كالنعاج في البلاد المنكوبة، كفلسطين، والعراق، وسوريا، واليمن، وغيرها، على مرأى،

ومسمع من كل الأمم، دون مُغيث، أو مُجير؟

هل مرَّ عليك يوم دون أن تغضب؟

هل تقدر أن لا تغضب؟

إن الغضب نوعان، الغضب الممدوح، والغضب المذموم، وإلى وقت قريب كنت أعتبر الغضب عادة مذمومة، وحالة انفعالية سيئة، بشكل مطلق، وظاهرة من الظواهر المستقبحة، بشكل صُرف، ولم أظن أن لها فائدة، ثم تعلمت أنها حالة نفسية، وظاهرة انفعالية، يُحسُّ بها كل إنسان، منذ الأيام الأولى لولادته. يقول المتخصصون أن الدراسات أثبتت أنها تصحب الإنسان في جميع مراحل العمر التالية، حتى الموت.

من هذا المنطلق ينبغي أن نتفق بادئ الرأي على أنه من الخطأ أن نُعدَّ الغضب من الظواهر المستقبحة اطلاقاً، وإنما هو من الأمور التي لها مزايا، كما لها عيوب، وإيجابيات، وسلبيات، ومحاسن، ومساوئ.. هو أمر طبيعي في كل إنسان، وفي كل حيوان، وهو ضروري، ولازم في بعض الأحيان، وبغيض، ومرذول، في أكثر الأحيان.

ينبغي التعامل معه على أنه من العطايا التي وهبها المولى جل وعلا للإنسان، الإله الخالق، الذي ركبَّ فينا الغرائز، والميول، والرغبات، والأحاسيس، والمشاعر، لحكم بالغة، ومصالح سامية، لا يُدرك كلها، إلا هو سبحانه، جَلَّ، وعَزَّ، في علاه.

إن من أجلى فوائد الغضب المحافظة على الدين، أن يُسبب، وعلى النفس، أن تُنتهك حرمتها، ويُعتدى عليها، بغير وجه حق، وعلى

الأعراض، والمحارم أن تُنتهك، وتمتَهن، وتُهان، وعلى الوطن، أن لا يُصان، ويدنَّس من قبل الأعداء، ويُكاد له، وتُحاك ضده مؤامرات المستعمرين الفاصبين، والحاquدين، الموتورين.

وعصرنا الحاضر بكل أسف ملئ بمفاتيح الغضب، ومن الحكمة أن يُبادر الإنسان إلى تعلُّم السيطرة على نفسه، وأعصابه، وإلا وجد نفسه في نهايات، لا تُحمد لها عقبى، ويمكن تعلُّم ضبط النفس بشكل تدريجي، ومن خلال محاولات جادة، تُبذل في كل حين، أما استبدال الغضب بعمل مفيد، فذلك من أفضل العلاجات، لو أحسنا التعامل.

إن من المتعارف عليه أن درجات الناس تتفاوت في الثبات أمام المثيرات، فمنهم من تستخفه التوافه، فيُستحمق على عجل، ومنهم من تستفزه الشدائد، فيُبقي على وقعها الأليم، محتفظاً برباطة جأشه، ورزانة عقله، ورجاحة فكره، وحسن خلقه.

ولقد رأينا الغضب يشَتُّط بأصحابه إلى حد الجنون أحياناً، عندما يُحسوا بأنهم أهينوا، أو سُلِّبت حقوقهم.

إن الغضب جمره يُلقيها الشيطان في قلب ابن آدم، وأفضل الناس من يكون بطيء الغضب، سريع الفياء، كما قال النبي الحبيب، عليه أذكى، وأفضل الصلاة، والسلام.

الغضب هو غول العقل، كما ذكر ذلك العلامة ابن القيم يرحمه الله في أعلام الموقعين، وهو يفتاله كما تفتاله الخمرة.

والإنسان الغضوب يكون عادة محل تندر، وسخرية، واستهزاء

من قبل بعض الناس، حوله، وربما كان مكان إشارة دائماً، لما يُعلم من تطبُّعه بهذا الطبع.

والمولى جل وعلا يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَهُ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. وهناك مقولة شهيرة تقول: غير تفكيرك تتغير حياتك.

إن من ثوابت عصرنا الحاضر الغضب، وانكسار الحِلم، لكن الحياة ابتلاء، ومطلوب منا أن لا نستسلم، ولا نياس، ولا نتشاءم، ومطلوب أن لا نغضب.

وفي هدايات وفضائل ديننا الإسلامي الحنيف خير مُعين لنا على امتصاص نوبات الغضب، التي يمكن أن نتعرض لها، صباح مساء.. الوضوء وأداء الصلاة على سبيل المثال دواء ان ناجعان لإطفاء سورة الغضب، والتعوذ بالله تعالى من حبائل الشيطان الرجيم عليه لعائن الله، أمر فاعل في التخفيف من جدته، وكذا تغيير الحالة من الوقوف، إلى الجلوس، أو من الجلوس إلى الاضطجاع، والرقاد، وغير ذلك من الأمور التي تطفئ سورات الغضب.

قبل أن تغضب تذكر قول الحبيب صلى الله عليه وسلم:  
"ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب".

27



عندما ينفق الحصان، فانزل من  
على ظهره!



التركيز على وضع الأهداف، وتحديد الأولويات، من قبَل كل شخص، بمثابة تعبيد الطريق، رغبة في نيل النجاح، عند من يجعلونه جزءاً أصيلاً، وأساساً في مخططهم اليومي، مما يوصلهم إلى نتائج مُبهرّة، لتحقيق الصلاح، وتحسين العلاقة بالله، ثم بالناس، وزيادة الإنتاجية، والكفاءة، والفاعلية، والدخل، وغير ذلك من الأماني، والطموحات الدينية، والدنيوية.

وأنا وأنت أخي الحبيب، نحن أختي الفاضلة، بحاجة ماسة إلى إدراك الكيفية التي نقضي بها أوقاتنا حتى يتسنى لنا اكتشاف مجالات تميزنا وقوتنا، ومواطن ضعفنا وإخفاقنا.

لكنّا على الدوام ندّعي بأننا غارقون في العمل، وأن لا مجال عندنا للاضطلاع بالمزيد من المهام، والواجبات والمسؤوليات.. ونحن في الواقع مشغولون غالباً بالتوافه من الأمور عن الاهتمام بديننا، وأمتنا، وأوطاننا، وصحتنا، وأهلنا، وأعمالنا، وهواياتنا... إلخ.. تُردّد باستمرار أن ليس لدينا أوقات نبذلها للتواصل بأحبائنا، ولا لمدّ الجسور التي انقطعت بيننا وبين أصدقائنا، ولا لتعلّم مهارات جديدة ترتقي بفكرنا، وتساعد في النهوض ببلداننا.

جُل أمورنا خارج نطاق سيطرتنا، ونقبع تحت وطأة الضغوط النفسية الهائلة، التي تُحيط بنا من كل جانب، وتسوّرنّا كالأساور، تلتفّ حول المعاصم.

لا نمح أنفسنا مع شديد الأسف فرصة للتفكير في الكيفية التي نقضي بها أوقاتنا، ولا نتمهّل قليلاً لتحديد أهدافنا وغاياتنا، ولا لمعرفة

الأعمال التي توصلنا إلى هذه الأهداف والغايات.

إنه لا يسوغ أن نركب سيارة، أو طائرة، أو قطار، أو سفينة، أو حتى حصان، أو حمار!! دون أن نعرف وجهتنا، وإلا لما وصلنا، لكننا بالمقابل نجد أنفسنا مسافرين في هذه الحياة بدون أن نحدد اتجاه معين لأسفارنا.

وتمر السنون، سنة تلو سنة، وينقضي العمر، عاماً بعد عام، دون أن نحاول النزول من عربة الحياة، ولو لبرهة، لنرى كيف تعمل، وإلى أين تذهب؟

فقط نجلس في المقعد الخلفي للعربة منشغّلين بحياتنا ذات الرتم السريع، حياتنا التي تسير بسرعة كبيرة لا تسمح للعربة بالتوقف، ولا لنا بالالتفات إلى الخلف قليلاً، لتقييم مسارات حياتنا، المزدحمة بكل الأشياء التافهة، في الغالب، والممتلئة بكل الأحداث، والمفاجآت، والمخاطر، ولا للبحث عن طرق بديلة، ولا لوضع الأهداف الضرورية، لتغيير الاتجاه، إلى المسارات الصحيحة.

بينما يكمن الحل في أن يستثمر الإنسان منا وقته في تنفيذ الأعمال التي يتميز بأدائها، وفقاً لأولويات واضحة ومحددة، ويساعد على معاونة من حوله في ممارسة جوانب التميز عندهم.

إن قلة منّا من يلتزم بذلك، قلة هم الذين لو أُتيح لهم، لتمنوا لو كان لديهم وقتاً أكثر من الـ ٢٤ ساعة المتاحة، حتى ينجزوا الأعمال السامية، ويحققوا الأهداف النبيلة التي حددها لأنفسهم، والتزموا بأدائها.



ويحضرني في هذا المجال مقالة يستخدمها أحد المفكرين الغربيين للحث على التركيز على الأولويات، فيقول:

"إذا كان عليك ابتلاع أحد الضفادع فلا تُطلِ النظر إليه، وإذا كان عليك ابتلاع أكثر من واحد فابدأ بابتلاع أضخمها"، بعبارة أخرى: قم بمعالجة أهم أولوياتك أولاً، وعلى الفور، بدون انتظار، أو إبطاء. أما المفكر شارلز ديكنز فيقال أنه صدرت عنه الحكمة التالية: "لم أكن أبداً لأحقق النجاح، بدون عادات الدقة، والنظام، والاجتهاد، والتصميم على التركيز على عمل واحد، في كل مرة".

فلنكف عن تعذيب أنفسنا.. ولنتخلى عن ممارسة الأعمال التي لا نُجيد ممارستها، وعن تلك التي لا توصلنا إلى أهدافنا، فإن لم نفعل نكن أشبه بمن يمتطي صهوة جواد ميّت!!

لنحاول أن نجعل إيقاع الحياة متسقاً بحيث يسمح لنا بالانتقال إلى المقعد الأمامي في عربة حياتنا، لتوجيهها الوجهة الصحيحة.

ولنفكر جيداً في الأشياء التي إن ركّزنا على تنفيذها، تحقق لنا النجاح، ونحدّد تلك التي يُعدّ تنفيذها إضاعة للوقت، والعمر، والجهد، والإمكانات الأخرى، المادية والمعنوية، لنفكر فيما نُركّز عليه فيوافينا بنتائج سيئة، وسلبية، وما نُركّز عليه، فيوافينا بنتائج طيبة، إيجابية، وعندما ينفق الحصان، لا يتردد أحدنا في أن ينزل من على ظهره.



28



قبل فوات الأوان



يُردّد بعض الناس كثيراً العبارة التالية: كم من الفرص الثمينة أتحت لي، لكنني لم استغلها؟!!

وكثيراً ما يتحسر البعض منا على فرص كثيرة ضاعت في زحمة الלהات في دوامة الحياة، والتكالب على حاجياتها، ومعافستها، والأحياء فيها.

قد تكون الفرصة لتحقيق مصلحة دينية، كالاستزادة من صيام التطوع، أو أداء المزيد من سُنن، ونوافل الصلاة، أو الحج أو العمرة، أو الصدقة، أو فعل الخير، بكافة أشكاله وألوانه، أو طلب العلم، النافع المفيد، أو المشاركة في إغاثة المهوفين، أو الاشتغال بالدعوة إلى الله جل وعلا، أو الانضمام إلى الجماعات الخيرية التي تُعنى بمصالح الأرامل والأيامى، واليتامى، والفقراء، والمعوزين، أو غير ذلك من مجالات البر، والإحسان للإنسان، التي لا حصر لها.

وقد تكون الفرصة لتحقيق كسب مادي، أو مصلحة دنيوية، كالزواج، أو الحصول على وظيفة، أو الترقى لمنصب وظيفي أكبر، أو الحصول على علاوة، أو نيل درجة علمية، أو الحصول على شهادة مهنية، أو شراء عقار، أو أصل آخر ثابت، أو منقول، أو غير ذلك، من حظوظ الدنيا، واهتمامات الناس، مما هو متعارف عليه، أو غير متعارف، ما هو مألوف، أو غير مألوف.

لا يدري أحد إلا الله تعالى، متى تقرع الفرصة الباب، وقد يبحث عنها الإنسان في المكان الخاطئ، دون أن يدري، فلا يجدها أبداً، وقد تأتي دون أن يكون له يد في إتيانها، وقد يتشاءم البعض،

ويستبعد احتمالات وجودها، ويصل بهم الأمر أحياناً إلى حد اليأس، بينما يتفاءل آخرون ليروا في ثنايا كل صعوبة فرصة، وفي أعطاف كل مِحنة مِحنة.

قد يعتبرها البعض أكبر من قُدْرته وحجمه، فيتضاءل عن اقتناصها، وقد يرتقي آخرون بذواتهم، ليصبحوا أهلاً لملئها، واغتنامها، لكن المؤكد أنه إذا لم يبادر الإنسان لصناعتها، فقد ينتظر حياته بأكملها، وينصت، ويرجو، ويأمل، ويتحسس، دون أن يسمع لها طرْقاً على الباب مرة أخرى أبداً.

إن الفرصة المواتية يرتبط بها مسائل هامة، وأمور ينبغي العناية بها، وتعلمها، منها ممارسة فن التخيل، ورؤية البريق، في كل ما هو جديد، والأمل، والتفاؤل، لدى التعامل مع الحوادث والأحداث، وحب الحياة، والأحياء، وبعْد النظر والتخطيط، والإخلاص في العمل، وبذل الجُهد، وتحمل الصعاب، والصمود في وجه العوائق، وتغيير وجهات النظر للأمور، وزوايا النظر لكل عمل شاق، ومُتعب، بحيث يُعتبر فرصة مثيرة للاهتمام، وممتعة للدواخل، وميداناً للتنافس، والتحدي، وإثبات الذات، وتأكيد فاعلية الوجود.

والفرصة أيضاً مرتبطة بفن الجرأة المحسوبة، والسرعة في اتخاذ القرارات، وفن توقُّع وجودها، وعدم خلو العالم منها، وأنها قد توجد، حيث لا يتوقعها أحد، وهي مرتبطة بهمَّ البحث عنها، وصناعتها، وتجهيز النفس للتعرف عليها، وعدم انتظار الظروف المثالية لتحقيقها، والتهيؤ لاستقبالها، والاستعداد، والسعي لاغتنامها، واقتناصها، إن هي

أقبلت، وتطوير، وترقية قوة الشخصية، وتنمية الثقة بالنفس، وتشكيل صورة للذات، يستطيع الإنسان أن يعيش بها، وتنمية احترام الذات، والآخرين، واستشارة المؤهلين، من ذوي الخبرة والاختصاص، في ميدان الفرصة، وفوق ذلك، وأهم من كل ما تقدّم الإيمان العميق بقضاء الله، وقدره، والتحقق من أن الرزق عطاءً من الله تعالى، وليس بيد أحد من الناس، كائناً من كان، منحه للإنسان، أو حجبته عنه، وأن الجهد المبذول، لا يزيد عن كونه بذلاً للأسباب، وإتماماً لعملية التوكل الصحيحة، وأن القمة تتسع للكثيرين، وعليها مساحات كافية لاستيعابهم.

إن الفرص الحقيقية تواتي المستعدين، لاغتنامها، فليحاول كلاً منا ذلك، قبل فوات الأوان.





29



قلوب لا تكف عن التمني والحلم



الأحلام تُعدُّ نقطة البداية، لأي نجاح يسعى الإنسان الطموح لتحقيقه، وهي من نقاط التحول في حياة الإنسان، ومن أبرز العوامل الأساسية، لأي إنجاز قد يتحقق.

وكل ما نتمتع به اليوم، من تقنيات، وخدمات، وتسهيلات، وأجهزة، ومعدات، وغيرها، اكتشفها البشر، كل منها وغيرها كان في يوم من الأيام عبارة عن رؤى، وتصورات، وأحلام، وتخييلات لأشخاص آخرين، نذروا أنفسهم للسير في طريق النجاح، ومحاولة تقديم شئ مفيد لأنفسهم، ومجتمعهم، وللبشرية، بشكل عام.

ومن أجمل الأمور المتصلة بالحلم، والتخيل، والتصور، إمكانية أن يكون أي منها بدون حدود، ولا قيود، و متاح للمرء أن يحلم بما شاء، ويتخيل ما يشاء، دونما سلطان بشري يمكنه الحد من هذه الأحلام، والتخييلات، والتصورات.

إن التصورات، والتخييلات، والأحلام، ذات أهمية قصوى للإنسان، حيث تساعده على النمو، والتقدم، والتوازن، والاستقرار، وهو يحتاج إليها، لتحريره من أية معوقات، أو قيود، أو صعوبات.

ونظراً لأن كل شئ يحدث في العقل أولاً، لذا عندما يرى الإنسان نفسه ناجحاً، وقوياً، وقادراً على تحقيق أهدافه، وطموحاته، وأحلامه، وأمانيه، وعندما يؤمن بذلك في قرارة نفسه، ويستشعر ذلك في أعماق قلبه، ويشعر به داخل أحاسيسه، ومشاعره، فإن ذلك سيخلق عنده قوة ذاتية، لا تُغلب باذن الله تعالى، وسيساعده عقله الباطن على الاستفادة من قدراته، التي لا حدود لها، ولا قيود عليها، في طريقه إلى تحقيق ما يريد.

ومن المؤسف أن كثيراً من الأفكار النيِّرة قد تموت، قبل أن ترى النور، وقبل أن يُكتب لها ملامسة الواقع، لعدة أسباب منها وأهمها: ردود أفعال الناس المحيطين بالإنسان الحالم، الطموح، الراغب في تحقيق شئٍ مختلف، سواء كانوا الوالدين، أو الأَوْلاد، أو الإخوة، أو الأزواج، أو الأرحام، أو الأقرباء، أو الأصدقاء، أو زملاء العمل، أو الرؤساء والمرؤوسين، أو غيرهم.

من هؤلاء عادة من يقف كحجر عثرة في طريق من حوله، يثبُّط من عزيمته، ويفتُّ في عضده، ويصوِّر له النتائج الوخيمة، التي قد تعود عليه، إن هو انساق، وراء بروق هذا الطموح الحالم، يتوانى في تقديم النصيحة المسددة، والرأي الرشيد، ويبيِّن صاحبه بالفشل الذريع، ويكون من نتيجة ذلك أن تفشل الأفكار، وتضيع الجهود، وتُهَنِّ العزائم، ويحلُّ اليأس، والقنوط، محل الاستبشار، والأمل، والتفاؤل، والعجز بدلاً من الإقدام، والتراخي بدلاً من الطموح، إن لم يكن المرء واثقاً من نفسه، وقدراته، عارفاً حق المعرفة بأهدافه، وغاياته.

أمر آخر قد يكون سبباً في موت الأفكار، والرؤى، والأحلام، والتصورات، قبل ولادتها، هو الإنسان نفسه، طريقة تفكيره، ونظرته للحياة والأحياء والأمور من حوله، فإذا استقر الشك داخل نفسه بأن تحقيق الرؤى، والأحلام، والتصورات، والأمانى أمر مستحيل، فإن هذا التفكير كفيل بإخماد أقوى الأفكار، وأعظمها، أما إذا استطاع زرع الإيمان بأحلامه، وتصوراته، وأمانيه، ورؤاه، في أعماق قلبه، فعندئذ يكون قد خطى أهم الخطوات الضرورية، للوصول إلى منصات النجاح، وشرفات التفوق، ومنابر التتويج.

ينبغي أن يحلم الإنسان، بلا حدود، ويكتب أحلامه، بدون توقف، يرتبها حسب أهميتها، وألويتها، ثم لا يدخر وسعاً، ولا يألو جهداً، بعد ذلك في تحقيقها، يقرأ ما وسعته القراءة، في المجالات ذات الصلة، ويدرس بتأنٍ، وعمق، سير الأفاضل، والناجحين، والمبرزين، في المجال الذي اختاره، ميداناً لتفوقه، يراقب أداءهم، وتصرفاتهم، والاستراتيجيات، والسياسات، والوسائل، والاجراءات، التي اتبعوها لتحقيق نجاحاتهم، ووصلوا من خلالها إلى أحلامهم، والأمنيات التي تلبّست بها قلوبهم.. يشعر بمشاعرهم بعدما يحققون ما يصبون إليه، ويتخيل ما ستكون عليه أحوالهم، بعد أن يحققوا ما يصبون إلى تحقيقه.

كما ينبغي أن يبتعد عن المثبطين، والمحبطين، وعن لصوص الأحلام، وسُرّاق الرؤى، والتطلعات، يبتعد عن المتشائمين، ويتقرب إلى المتفائلين، لا يدع مجالاً لأحد أن يشيط همته، ولا التهوين من عزيمته، ولا يدع فرصة لمن يمكنه إثناؤه عن إطلاق العنان لنفسه، للثقة بالله جل، وعلا، ثم بنفسه، وقدراته، وللحلم بكل خير يجلب نفعاً، لدينه، ولنفسه، وأهله، وذويه، ومجتمعه، والبشرية، جمعاء.

يُخطط بإتقان، يكون مرناً، أثناء الأداء، يعمل، بدون كلل، ولا ملل، لتحقيق أهدافه، وطموحاته، وتوظيف قدراته، يصبر مهما كان وقع البلاء عليه عظيماً، وخطره جسيماً، لا ييأس، مهما كانت الصعاب، يتسامح مع من أساء إليه، يعفو عن من ظلمه، يُعطي من حرمه، لا يكف عن الحلم، والرجاء، والأمل، والحب، بمعانيها الإنسانية الأشمل.



30



كن رحيماً وبتلقائية افعل ما هو  
جميل





في عصر أحد أيام عشر شهر ذي الحجة في سنة خلت، وبينما كنت أمضي إجازتي في دفء حضور والدي الكريمين (رحم الله ميتهم وأبقى حيهم على الطاعة)، وأهلي الأحبة، أمتع الله بحياتهم، اتصل أحد الأقارب بقريب لي طالباً منه الذهاب معه إلى محل بيع الحيوانات الأليفة كالأبقار، والإبل والأغنام، والماعز (نسمي المكان باللهجة المحلية "المجلبة" أي ما تجلب له الأشياء والأحياء)، وذلك لشراء عدد من الثيران (كبار ذكور الأبقار) لذبحها تقرباً لله جل وعلا، بنية التصدق بها عن والده المتوفى قريباً، يرحمه الله، وموتانا، وموتى المسلمين أجمعين.

كان الوقت يقترب من الغروب، والسماء مُلبّدة بالغيوم، والأجواء ممتلئة بالضباب، الذي يُعيق الحركة في أرجاء المدينة الصغيرة، وكانت تُمطر، وكان صاحبنا الستيني صائماً، والمجلبة ليست قريبة، لكنه وبأريحية معهودة لم يتردد في تنفيذ طلب صديقه القريب، واختيار الذبائح، ودفع القيمة، والاتفاق على موعد الذبح، ليحضر هذا في الصباح الباكر من اليوم التالي، وقد بدأت عملية الذبح، وشعور بالبهجة والرضا تنطق به كلماته، وتعبيرات وجهه، وإيماءات جسده.

شغل عقلي وفكري هذا الموقف الشفيف النبيل، فتذكرت مقولة لأحدهم يقول فيها: "إنك لا تستطيع أن تبسم دون أن تشعر بالابتهاج ولو قليلاً، وبالمثل فأنت لا يمكنك أن تقوم بعمل فيه رحمة دون أن تشعر وكأن متاعبك قد خفّت، وذلك لأنك أثمرت في العالم فجعلته أفضل، ولو إلى حد بسيط"، ثم رحلت أعمَل الفكر بأمل أن أتذكر موقفاً مشابهاً، أو مواقف مشابهة، وفقت، أو غيري بمعنى ما لتسطيرها، في كتاب الخير، والرحمة الخالدين، فتذكرت بعض المواقف أسردها ها

هنا لامتاع روعي، وأرواحكم، ولكي نؤكد ما تعلمناه من هدي ديننا الإسلامي العظيم، الذي ما من خيرٍ، إلا وجهه إلى فعله، وما من شرٍ إلا حذرٌ منه، ودعا لاجتنابه، ونهى عن الاقتراب منه، فضلاً عن فعله، أو قوله، وهي دعوة لأن تتذكروا مواقفكم.

هذا إنسان بسيط، ذو إمكانيات مادية متواضعة، لا يتردد في أن يدس مبلغاً، ولو بسيط من المال في يد طفل، أو طفلة، أو شاب، أو رجل، أو امرأة مدوا أيديهم طلباً لنصرته، وعونه، أو وجدهم متلبسين بحالة الطلب من الناس.

وهذا مُزارع لا يتوانى في زراعة بعض النباتات المثمرة، ونباتات الزينة، على طول الطريق المحاذي لمنزله، بينما كان هواء السيارات العابرة يجعل ملابسه تتطاير من شدة سرعة المارة، وقد لا يلفت نظرهم فعله الذي يهدف في واقع الأمر إلى نفع المارة، والحفاظ على البيئة، والمساهمة في صياغة الجمال، العائد نفعه لعامة الناس.

وذاك رجل أعمال فاضل تعودّ التهنة بأي مناسبة تتوافق مع تاريخ تقديم شيكاته إلى موظف البنك لصرف قيمتها، مثلاً ينهي تجيير الشيكات بعبارات من مثل: "كل عام وأنتم طيبون"، أو "عشر مباركات"، أو "عاد عيدكم"، أو "عيد سعيد"، أو غيرها من الكلمات، والعبارات الرقيقة، الحنونة المشابهة لذلك. (بالتأكيد لو حرّر شيكاً للمعني لكان أفضل!).

أما مجموعة من الشباب الطيبين، فقد قرعوا بيت أرملة ثكلى، فارقها عشيرها، وبرّحت بها آلام الوحدة، وعذابات الوحشة، والأتعاب

المستمدة من تربية الأولاد، وتعليمهم، وتوفير احتياجاتهم، طالبين منها أن تدلهم على المكان المناسب لوضع ما أحضروه لها، ولأولادها، من ملابس، وأغذية، وأشياء تُعينهم على تحمل لأواء الفقد، وصعوبة الحياة.

وهذا إنسان فاضل لا يتوانى عن أن يقطع جزءاً من وقته، لمحو بعض الشخبطات، والخربشات، التي أحدثها بعض الصبية، وصغار الأحلام، في بعض الجدران، بالأماكن الخاصة، والعامّة المحيطة، وآخر لا يألو جهداً، كل أسبوع، في تنظيف الساحات المحيطة ببيته، وإزالة ما يمكن أنه وقع بها من أوراق، أو علب، أو كراتين، أو أوساخ، أو قمائم (أكرمكم الله) نقلها الهواء من الساحات المجاورة، إلى ساحة داره، أو رمى بها بعض المارة، من غير أصحاب الدارة.

أحدهم اعتاد أن يُسلم على المارة، ويلوّح لهم بالتحية الاسلامية، عرفهم أم لم يعرفهم، وآخر لا يتردد مطلقاً في الابتسام في وجه من يلتقيه، ولا في حفز موظف متعب وتشجيعه، وإبداء كم هو ممتن لمساعدته، بالرغم من أنه يقدمها له بحكم النظام، والاختصاص.

وهذا أحدهم يسير بسيارته في يوم ماطر، وعلى قارعة الطريق يلحظ سير أحد الأطفال، يعرض عليه أن يركب كي يوصله إلى وجهته، لتبدو علامات الخوف على وجه الطفل في بادئ الأمر، ثم بعدما أكد له أنه لا يروم له إلا الخير اعتذر شاكراً بأن منزله غير بعيد.

وبشكل عفوي، يتخلى أحدهم عن وردة كان يحملها في يده لشخص غريب جمعته الظروف به، ورأى أنه تعلق وجهه بمظاهر الحزن، وعلائم القلق والاكتئاب، لتنبج من الغريب الأسارير وتنشق

شفتاه عن ابتسامة لوّنت الدنيا بألوان قوس قزح وضوّعت الأرجاء بروائح الياسمين والمسك والعنبر.

وهذا مريض، يهّب من سريره رغم مرضه البيّن لمساعدة جاره، بمجرد إحساسه بحاجة ذلك إلى العون، والمساعدة، وآخر يسأل عن حال جاره المريض حال إفاقتة من البنج، وثالث يرد على من يسأل عنه، بالسؤال عن حال السائل، وأحوال من يُحِبُّ.

وزائر لمريض، يُضفي بروحه المرحة، البشوشة، الميالة إلى التلبس بالأمل، والتفاؤل، ومظاهر الفرح، والسرور، والسلوان، على المريض، الذي اشتدت عليه وطأة الألم، وبرحّت به المعاناة، وتغشّت نوبة حزن، أو شكت أن تسقطه في بؤرة من بؤر اليأس المقيت، ذكّره بالله تعالى، وحبّب إليه التلبّس بالصبر، والاحتساب، وهوّن عليه المصاب، ذكّره بأن الدنيا دار ابتلاء، وأن أي بلوى يُصاب بها المرء، فهي إلى زوال، مهما اشتدت، أو طالت، وذكّره بباقي نعم الله التي وهبها إياه، وزرع في نفسه أهمية التلبّس بلبوس الأمل، والتفاؤل، بحياة معافاة، خالية من الألم، والمرض، وحرصّه على الخروج من محنة الذات، والتفكر في بلايا الآخرين ومصائبهم، للاستفادة من الدروس والعبر، ولكي تهون مصيبتهم.

وهذا رجل، وزوجته، يتناولان الطعام، مع ابنتهما ذات الثمان سنوات، في أحد المطاعم. أسقطت الابنة كوب لبن، فتم تنظيف اللبن المسكوب، وجمع شظايا الكأس المكسورة، دون توبيخ، ولا تأنيب، مما جعل الابنة تُعبّر عن امتنانها، وشكرها لوالديها، واعتبارهما أعلى والدين في العالم.

وأخر لاحظ موقفاً مشابهاً، لكن في هذه المرة قام الوالدين بتوبيخ ابنهما، فما كان منه إلا أن أسقط كوبه، وكأنه بذلك يوحى للوالدين، وابنهما أنه لا يزال يُسْقَطُ الأكواب، بالرغم من بلوغه من العمر عتياً، ليفهم الوالدين الرسالة، إن أوتيا حظاً من حَس، أو فهم.

وهذه سيدة خرجت ليلة العيد إلى السوق، فاشترت لها، ولأولادها، ولزوجها، الكثير مما يُبهِج النفس، وَيُسَعِدُ خاطر، ثم لم تكتمل نشوتها، إلا بعد أن قامت بدفع مبلغ بسيط من المال ثمن لعبة، لاحظت بنظرها الثاقب، وقلبها الشفيف، أنها قد هَفَّتْ إلى شرائها نفس أحد الأطفال الفقراء، الذين لمحتهم حولها.

وهذه سيدة فاضلة أخرى، تُعِدُّ طبقاً من الطعام، وتهديه إلى جارتها، أما أسرة تعرف حقوق الجيران، وتطبِّقها، فقد أسهم أفرادها في ترميم جراحات أفراد أسرة مجاورة، أصابها الحزن، بسبب فقد أحدهم، بقوا في البيت، لمؤازرة أهل الميت، ومؤانستهم، وتبديد أحزانهم، ووحشتهم، أطعموهم، وسقوهم، وخدموهم، في وقت وجدوا لهم عن ذلك شغلاً، تقاسموا معهم الحزن، وتشاركوا في الهم، واهتموا بهم في فترة من الزمن، بها قلوبهم بسبب الحزن كسيرة.

مواقف من هذا القبيل، تصدر من الإنسان بشكل عفوي وبدون ترتيب، ولا تخطيط، بل تحدث أحياناً بشكل يمكن أن يقال عنه أنه فوضوي، وربما يعتبره البعض فضولي، ومزعج، لكنها تجد قبولاً، عند الآخرين، وتؤثر فيهم، بشكل لا مثيل له، مما يحفز الإنسان على أن

لا يتردد في ممارسة مثل هذه الفوضى الإيجابية الخلاقية، ومثل عدم النظام هذا والازعاج المفضلين، المحبوبين.

فمن ذا الذي يعرف بماذا يمكن أن تلهمك مثل هذه الأقوال، والحكايات، والأفعال، إن قلتها للآخرين، أو فعلتها لصالحهم، بصدق، وتجرد؟!

كن رحيماً، واتبع احساسك المرهف، وحدسك الشفيف، وافعل، وقل كل ما هو جميل، بأريحية، وتلقائية، وإذا وجدت أمراً تعتقد أنه يحسن الإكثار من قوله، أو فعله، فلا تتردد كثيراً، ولا قليلاً، في قوله، أو فعله، بتلقائية، وبدون تفكير عميق.

دائماً حاول أن تفعل، وتقول، ما هو صواب، فالمهم هو الفعل، والقول، والعبرة بالنتائج وتحقق الأماني والأحلام، فهي ما أنت مأمور به، أما الثمار والنتائج، فأمرها موكول إلى الله تعالى، وهو المسئول عنها، وتحقيقها لا يكون في مقدورك، وتحققها قد لا يكون في زمانك. اترك الابتسامات تُشع الأوجه، والأيدي تتصافح بنقاء، والقلوب تتعانق بصدق، فيعمرها الحب، والأنفس يؤنسها العناق الدافئ الحنون، والعطر الجميل، يضوُّع الأنفاس، وينتثر في الأماكن.

لا تتردد في إشاعة معاني الخير، والجمال، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً. لا تتردد، فقوافل الخير تبدأ ببطء، بقول، أو فعل، أو تصرف قد يكون صغيراً أحياناً، فليكن هذا التصرف منك.. أنت.. وفقك الله وأعانك.

31



كن صبوراً





إذا تعقدت الأمور، واستحكمت الأزمات، وتالت الضوائق، والنكبات، والمحن، وطال الليل، وهذا يحصل أحياناً، لكثير من الناس، فإن الصبر، وحده، هو الذي يُشع للمسلم النور العاصم من التخبط، والهداية الواقية من القنوط.

إن الصبر من معالم العظمة، وشارات الكمال، عند الإنسان، وهو من الفضائل الخلقية، ومن دلائل هيمنة النفس على ما حولها.. وهو من عناصر الرجولة الناضجة، والبطولة الخارقة، وهو النفحة الروحية، التي يعتصم بها المؤمن، فتخفف من بأسائه، وتدخل إلى قلبه السكينة والاطمئنان، فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل.

الصبر.. يحتاجه المسلم في دينه، وديناه، بلسماً لجراحاته التي تؤلمه، ويتلقى من خلاله وبه المكاره، بالرضا، والقبول، ويراها من عند الله وحده. إن سُنَّة حُب العظمة، والاعتداد بالنفس هي التي أوحى لقائد أمريكي كبير أن يقول: "لا تسأل الله أن يخفف حملك، ولكن اسأله أن يقوي ظهرك".

نعم فإن خفة الحمل، وقلة المسؤوليات، وضآلة المهام هي صفات قد يظفر الصغار منها بقسط وافر، وكبير، لكن مرارة الكفاح، من أجل المبادئ السامية، والأهداف النبيلة، الرفيعة والحياة الكريمة، كل ذلك من فضائل أخلاق المكافحين في هذه الحياة، والمجاهدين لأهواء أنفسهم، ونزغات الشيطان، وتوهميه، المعمرين للحياة، والبنائين لها.

إن الرجل الجالس في بيته لا يُصيبه غبار الطريق، إن كانت النوافذ محكمة الإغلاق، ومن يستقن بالظلال لا يحرقه لفح الهجير،

أما الذي ساهم في معركة الحياة، وخاض غمارها، فسيناله غبارها، ولفح هجيرها، ولا بد، وستؤلمه جراحاتها، وقد يدركه من النَّصَب، والوصَب، والكلال، والكد، القدر الكبير، لكن حتماً سيُقال مَر من ثم، حيث آثاره واضحة المعالم، وخُطاه يستطيع اقتفاؤها، من تعقب المسار.

والتأمل، يرى أن عناية الله تسوق إلينا الشدائد لحكمة عالية، ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾، والجاهل هو الذي يضجر، ويحزن، ويكتئب، بأثر المصاب، أما العاقل فيلتمس وجوه الخير فيما يتليه الله به، من الشدائد، ويُردد بتقبُّلٍ، وأريحية، وربما بفرح، قول الشاعر:

إن كان عندك يا زمان بقية مما يُهان به الرجال فهاتها.

فكن صبوراً، والله المستعان.

32



كن متطوعاً



ديننا الإسلامي الحنيف عُنِيَ بالعمل الخيري في أَجَلِّ صورته، وأجلى مجالاته، ومناشطه، ولولم يؤثر عنه إلا فكرة الوقف، لكفّت، وأغنت، والأمة الإسلامية في مجموعها تحتاج إلى الاحتفاء، والتماهي مع هذا الاهتمام بما ينشر بذور الخير في النفوس، والأنحاء، لبيان دورها الريادي في هذه الحياة، ولمجارة الأمم الأخرى، والاضطلاع بدورها الطبيعي في عمارة الأرض، وتنمية الإنسان.

ومجتمعنا الإسلامي هو مجتمع التكافل، والتكامل، والتآزر، والتعاون، والتحابب، منذ تشكّل الإسلام، وحتى عصرنا الحاضر، عني ببناء المشاعر الإنسانية الشفيفة، التي تحُثُّ على حب الخير للآخر، ما يُحَبُّ للنفس، وعبر الحث على أداء الزكاة، واعطاء الصدقة لمستحقيها، والتطوع لنفع الغير في شتى أوجه النفع، والخير، إلى غير ذلك من الأعمال التي تسهم في إغناء الإنسان، وصيانة كرامته.

والجمعيات الخيرية باب من أبواب الخير، منّ الله تعالى به على الأمة الإسلامية، لتحقيق معاني التكافل الاجتماعي الذي ننشده جميعاً، وفي بلاد الخير، بلاد الحرمين، بلادنا الحبيبة.. المملكة العربية السعودية، وبرغم الفضل المتأتي من الانضمام إلى العمل التطوعي، والوعد الرباني الحق لمن ينخرط في هذا المجال الحيوي والهام، وبرغم شساعة مساحتها، وزيادة عدد سكانها نسبياً، لا يزيد عدد الجمعيات الخيرية فيها على (٢٥٠) جمعية، ينضم إليها ما لا يزيد على خمسين ألف عضو وعضوة فقط، بينما ينتمي إلى إحدى الجمعيات الأمريكية حوالي نصف مليون شخص، مما يدلُّ دلالة أكيدة على أن هذا العدد لا يتواءم مع حاجة المجتمع، بشتى شرائحه، وألوان طيفه السياسي،

والاجتماعي، والثقافي، إلى مثل هذه المناشط، والخدمات، المُلحّة، التي تُمارَس وتُقدّم عبر هذا القطاع الحيوي، والهام، الذي يعده البعض القطاع الثالث، والرديف للقطاعين الحكومي والخاص، والذي يرفد جهودهما، ويساندهما، في مَدِّ المجتمع بالخدمات التنموية، والتربوية، والتوعوية، والصحية، وغيرها، ويؤيد ما يقدمان من جهود وخدمات تستهدف رفاه الإنسان، وراحته، ونمائه، تشغلنا التوافه عن المشاركة في هذا العمل الفاضل، وتذهلنا عنه حظوظ أنفسنا المتواضعة، من متاع الدنيا الزائف، والزائل، معاً.

وأنا لا أقدم جديداً عندما أقول أن للجمعيات الخيرية دور بارز في ترسيخ الأمن الاجتماعي، والاستقرار الأسري، فالأسرة هي نواة المجتمع الأساس، وعندما لا تستطيع الأسرة القيام بالصرف على أفرادها، ورعايتهم، وحمايتهم، فإنها تحتاج إلى عون خارجي، بعد عون الله تعالى، وإلا قد يلجأ أفرادها إلى طرق ملتوية، وربما لوسائل غير شريفة، وغير مشروعة أحياناً، لسد احتياجاتهم، مما يقود إلى تشكيل خلل في بنية المجتمع، يقود بالنتائج إلى تفشي الجريمة بين أفراد المجتمع، وما يستتبعه ذلك من خسائر بشرية ونزيف مادي، للإصلاح، وإعادة التأهيل، إن أمكن.

إن في ظل غياب العمل التطوعي يتم ازدياد ارتكاب جرائم من مثل: السرقة، والتسول، والسطو بأشكاله المختلفة على الممتلكات الخاصة، أو العامة، والمتاجرة في الدمم والأعراض، ويتفشى الغش، وتكثر طرق الاحتيال، وتزداد البطالة، وتتفشى بين أفراد المجتمع، خاصة الشباب منهم.

والمُتَطَوِّعُ، ذكراً كان، أم أنثى، إنسان لا يرجو في الغالب جزاءً دنيوياً، ولا شكوراً، إلا من الله العليّ القدير، يحنو على اليتيم، ويرعى ذا الاحتياج الخاص، ويُرْمَمُ بعمله الطيب جراحات الأرملة التي فقدت عشيرها، والمطلقة التي فُجعت في زوجها، وحياتها، إنه يُعِينُ فقيراً، معسراً، و يُعِيْثُ ملهوفاً، وذا حاجة، يوفِّقُ بالحلل بين زوجين، ليعيشا حياة زوجية سعيدة، ويكوّنا أسرة تكون لبنة صالحة، لمجتمع إسلامي صالح، و متماسك، وقوي، ونظيف، ومؤمن.

إنه يُسَاعِدُ مُبْتَلَى بكارثة طبيعية، أو ناجمة عن قمع وحشي، من طرف جائر، يبني بئراً معطلة، لتوفير الماء النظيف، لعدد من بني الإنسان، يُقَدِّمُ عصاً لأعمى، يستدل بها على الطريق أثناء سيره، يبني مدرسة، ينخرط فيها الجاهل فتزول عنه الجهالة، يُقَدِّمُ شاة، أو بقرة، لعائلة، ليستقي أفرادها من ضرعها الغذاء الذي كان من قبل شحيحاً، وربما في حكم النادر، المعدوم، يُعِينُ على تعلُّم مهارة، يُقَدِّمُ ملاذاً آمنًا لمسكينٍ، أو مهجّرٍ، متشرّدٍ فقد مأواه، يهدي كرسيّاً متحركاً يتمكن بواسطته معاق من التنقل إلى مقاصده، من مكان إلى آخر، ييسر وسهولة، يُقَدِّمُ ملبساً لشبه عار، وحقيرة مدرسية، أو أدوات مدرسية، لطالب فقير، يبني خيمة، للاجئ حُرِّم من وطنه، أو عاجز لم يقدر على توفير سكن لنفسه، نتيجة الشيخوخة، أو العجز، والعوز، أو تخلى أفراد أسرته عنه.

هو صديق للمريض، بدءاً ارتفاع الضغط، أو السكر، أو القلب، أو السرطان، أو الزهايمر، أو غيرها من أمراض جسدية ونفسية، يعاؤون المُدخِّن، والمبتلى بالتورط في تعاطي المخدرات، والمسكرات، ليتخلصوا

من هذا الابتلاء، ويُقدّم لهم العون المعنوي، والمادي أحياناً للتغلب عليه، يُساهم في إصلاح مُنحرف، يتدخل لإصلاح ذات بين زوجين آيلة للسقوط حياتهما الزوجية، ومعرض للتدمير عشهما الأثير.

يوفّر للعاطل عن العمل فرصة كريمة للعيش، يمنح فقيراً فرصة مواتية للخروج من دائرة الفقر الجهنمي، التي تُثنيه عن التعلّم، والعمل، والتميز بالصحة، والزواج، والمشاركة في بناء أسرة، وتعظيم إنتاج المجتمع، وعبادة الله، على بصيرة، أمناً، مستسلماً، للعظيم المتّان، وحده، لا شريك له، جل وعز في علاه.

إنه يُدخّل الفرحة على قلب مكسور، ويحنو على فؤاد مكلوم، يمنع أن تهفو نفس ضعيفة إلى اقتراف جريمة لسد جوعتها. هو بشكل عام أنفع الناس، للناس.

وفي ظل الهجمة الشرسة التي انطلقت قبل مدة ضد العمل الخيري الإسلامي من أعداء الأمة حتى باتوا يُعدّونه من قبيل تمويل الإرهاب، وفي ظل الحاجة الماسة للتعاون مع فعاليات المجتمع، واحتياجات أفرادها التي تزداد كل يوم إلحاحاً، من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، ورغبة في أن يكون لنا دور يتفق مع ما جاء في ديننا ووعد به ربنا جل في علاه، ربما يحق لنا أن نتساءل:

.. هل قدمنا ما هو مطلوب منا لتفعيل دور العمل الخيري في بلادنا؟

وإذا كانت الاجابة بالسلب، وهي كذلك ولا بُد، فما هي العوائق



التي تُثنيها عن الانخراط في سلك العمل التطوعي لخدمة ديننا وأمتنا  
ووطننا وأنفسنا؟

.. ما الذي يمكن أن نفعله إن نحن شاركنا في هذه الأعمال  
الجليلة؟

إنها دعوة لأن نكون أنفع الناس، للناس، ولأن نُفكر خارج الصندوق،  
كما يُقال، فنبتكر الطرق المختلفة، والحديثة، لتحقيق هذا النفع، نخرج من  
دائرة الاهتمام بذواتنا، إلى التحليق في فضاءات العمل الخيري النافع لمن  
حولنا، ولنا، إن كنا نريد أن نترك أثراً إيجابية طيبة قبل أن تتخطفنا أسنة  
المنون، ولنتذكر أن الانخراط في هذه المناشط التطوعية هو مئة من الله  
تعالى علينا، وفضل منه ينبغي أن نشكره عليه حق شكره، رجاء نيل فضله  
جل وعلا، رداً لكيد الكائدين ودفعاً لحسد الحاسدين.

ليكن منذ اليوم الانخراط في هذا المجال سلوكنا اليومي  
كمسلمين، وكرمز لمواطنتنا الحقة، وإنسانيتنا الشفيفة. إننا نحتاج  
إلى حث أنفسنا، شبيهاً، وشباباً، رجالاً، ونساءً إلى الانخراط في العمل  
التطوعي، نحتاج إلى استقطاب المتقاعدين، والمتخصصين في شتى  
المجالات، للاستفادة من خبراتهم، وتجاربهم، التي تجعل حياة ذوي  
الحاجة يسيرة، وسهلة، وفرصة طيبة، للطاء، بحب، وإخلاص.

فهل نتفوق على من تسند اهتماماتهم بالعمل الخيري الاعفاءات  
الضريبة والرغبة في الشهرة والفوز برضا المجتمع؟!

هل يكون شعارنا وقرارنا منذ اليوم أن نكون متطوعين؟

أرجو ذلك.



33



كن مرحاً



المرحّ يخلِّق مُناخاً نفسياً، مشحوناً بالسرور، والغبطة، والارتياح، ومثل هذا النموذج الصحي، يُطَلِّق القدرات العقلية من عُقْلِها، لتتعلَّم بسهولة، ويسر.

والانشرح يهَيء الطاقات العقلية للامتلاء، والتمدد، بخلاف مُناخ الكآبة، والحزن، أو التشاؤم، الذي يُعلِّم دروساً متشنجة عن الحياة.

والإنسان المرَّح، ودوداً، وذكياً، وهو الإنسان المنفتِّح على العالم، والحياة، فهو يرغب بأداء دور أفضل، كما يرغب بأن يُسعد الآخرين من حوله، ووسيلته في كل ذلك هي الإقلاع عن الكآبة في سلوكه النفسي، والتخلي عن فلسفة البُعد الواحد في سلوكه العقلي.

إن المرَّح لا يعني الابتسام، أو الضحك فقط، فهذه آليات، قد يلجأ إليها الجميع، مرحين، أو غيرهم، إنما المرَّح فلسفة ذاتية تنطلق من إيمان الفرد بأنه يمتلك صحة عقلية جيدة، ونظرة متفائلة للحياة، ويرسم خطة مستقبلية بنفسه، ولنفسه، ولعمله، ولمجريات حياته.

ليس المبتسمون للحياة أسعد حالاً لأنفسهم فقط، بل هم كذلك أقدر على العمل، وأكثر احتمالاً للمسؤولية، وأصلح لمواجهة الشدائد، ومعالجة الصعاب، والإتيان بفضائل الأمور التي تنفعهم، وتنفع الناس.

ولو خيّر الإنسان ذو الفطرة السليمة بين مال كثير، أو منصب خطير، أو غير ذلك مما هو مادي، وبين نفس راضية باسمه، لاختار الثانية.

فما المال مع العبوس؟!

وما المنصب مع انقباض النفس؟!

وما كل ما في الحياة، إذا كان صاحبه، ضيق الصدر، حرّج الفؤاد،  
يسير بين الناس، كأنه عائد من جنازة حبيب؟!

وما جمال الزوجة إذا عبست وقلبت بيتها جحيماً؟!

لخير منها ألف مرة زوجة لم تبلغ مبلغها في الجمال، وجعلت  
بيتها جنة، وارفة الظلال، من خلال ابتسامها، ومرحها، وحسن تبعلها.  
ولا قيمة للبسمة الظاهرة، إلا إذا كانت منبعثة مما يعتري طبيعة  
الإنسان من تغيير وتبدل، إيجابيين، فالزهر باسم، والغابات باسمة،  
والبحار، والأنهار، والسماء، والنجوم، والطيور، كلها باسمة.

وكان الإنسان بطبعه باسمًا، لولا ما يعرض له من طبع، وشر،  
وأنايية، تجعله عابسًا، متأفّفًا، وحزينًا، فكان بذلك نشازًا، في نعمات  
الطبيعة المنسجّمة، ومن أجل هذا لا يرى الجمال من عبست نفسه،  
ولا يرى الحق من تدنّس قلبه، فكل إنسان يرى الدنيا من خلال  
عمله، وفكره، وبواعثه، فإذا كان العمل طيبًا، والفكر نظيفًا، والبواعث  
طاهرة، كان منظاره الذي يرى به الدنيا نقيًا، فرأى الدنيا جميلة كما  
خلّقت، وإلا تغبّش منظاره، واسودّ زجاج النوافذ التي يُطل منها على  
العالم، فرأى كل شئ أسود معتمًا.

صفوة القول هي.. أن المرح زاد العقل، وغذاء الروح وإكسير  
الحياة، فهو يُضاعّف من متانة صحة الفرد، الجسدية، والنفسية،  
ويجعل عقله متفتحًا نحو آفاق أرحب.

فلنستبشر بغدٍ أفضل، وبأوضاعٍ أحسن، وبحالاتٍ أكثر تحسنًا،

وإشراقاً، وذلك ليس من قبيل التفاؤل الساذج، أو الخيالي، وإنما تماهياً مع ما خبرنا من لطف الله تعالى ورحمته بنا، واستقراءً لأحداث التاريخ الإنساني، الذي تكشف صفحاته عن أنه بعد النكسات، أو الركود يحدثُ التقدم، والنهوض، والنجاحات، والتطور، وتزول تبعات الابتلاءات، وهذا بالطبع سيدفعنا لمباشرة العمل، والإبداع، وتحدي المستحيل، بإخلاص وتفان، بعد إذن الله تعالى، ووفقاً لمشيئته جل وعز.

أحبتني.. ابتموا وافرحوا.. لتسعدوا.





34



كيف تخلع معانٍ إيجابية على  
الحياة التي تعيشها؟!



مهما كانت الظروف المحيطة بالإنسان قاسية، فلا يجب أن تسلبه متعة الحياة، ورؤية الجانب المُشرق منها، وفيها، فالحياة ليست دار ارتياح صرف، ولا قرار كامل، بل هي دار امتحان، ومشقة، وابتلاء، وعناء، في أحد أوجهها.

وحتى وإن كان الإنسان يواجه مصاعب جمّة، ومشكلات عسيرة وعثرات شتى، أو عمّت حياته الفوضى، أو ضلَّ الطريق إلى أهدافه، فمن المهم بالنسبة إليه أن يبقى متلبساً بالأمل، وأن يكون لديه وجهة، وخطة، وبوصلة، لمعرفة الاتجاهات التي ينوي الانطلاق صوبها، وأن يحتفظ بأحاسيس دائمة بالأمل في قلبه، وعقله، وهذا ما يُسهم في التغلُّب على المصاعب التي تواجهه، مهما كان حجمها، ومهما كانت درجة تعسُّرها.

وبالمثل فإنه لا يُمكن لكل زينة الحياة الدنيا أن تمنح معنى للحياة، ما لم يكن ذلك مصحوباً برغبة عارمة في العيش، تنبع من داخل الإنسان نفسه، وجسارة صارمة على تحمُّل المشاق والمصاعب، وإصرار حازم على التأثير في مجريات الأمور، والأحداث، لا يمكن أن تكون كذلك، ما لم يكن لديه أمل هائل في الاتجاه صوب أهداف عظيمة، وواضحة، ومحددة.

قد تنبثق الصعوبات، والتحديات، التي تواجه الإنسان في سبيله، لتحقيق طموح مشروع، كتعلُّم علمٍ نافع، أو تنمية موهبةٍ فذة، أو ترقية مهارةٍ هامة، أو الحصول على عمل شريف، أو قد تنبثق من الظروف التي تُحيط بعمله، كتحيُّز بعض المسؤولين ضده، وغمطهم حقوقه، أو

بسبب تراكم، وتكاثر الأعمال المطلوب منه تنفيذها، أو بسبب العمل في وسط تشيع بين أفراده العنصرية، والكراهية، والتنافس غير الشريف، أو غير ذلك من المعوّقات، التي تُسهم في الضغط على الإنسان، وتحرمه، ومجتمعه من الاستفادة من طاقاته الكامنة.

قد تتمثل الصعوبات التي يُجابهها الإنسان في الحفاظ على حياته الأسرية، التي غابت المشاعر الروحية من قلوب شخوصها، أو شارفت على الموت، أو تتمثل في الرغبة العارمة للارتقاء بمستوى هذه العلاقة المقدسة، لتكون أكثر نضجاً، وإثماراً، وإرضاءً للشريكين.

وقد تتمثل الأتعاب في مكابدة الظروف، غير الاعتيادية، لتحصيل الرزق الحلال، للمساهمة في نماء أفراد الأسرة، ومقابلة متطلباتهم المادية، التي لا تنتهي، بل تزداد، وتنوع، يوماً إثر يوم.

قد تتمثل في المعاناة المنبثقة من تعامل الإنسان مع أولاده العاقين، صعبوا المراس، والمتمردون الذين لا يستمعون إلى التوجيهات، ولا يأتَمرون بالأوامر، ولا يفعلون ما يجب عليهم فعله، من دون أن يُدكرهم بذلك والديهم، وربما سقط أحدهم، أو بعضهم في براثن، وأسر العادات السيئة، والخطرة، كمصاحبة شرار الرفقاء، أو الانضمام إلى عصابة منحرفة، أو ممارسة عادات ضارة، كشرب الدخان، أو تعاطي المسكرات، والمخدرات، أو اقتتراف السرقة، أو الزنا، أو اللواط، أو السُّحاق، أو الإعجاب بالمثيل، أو التلبُّس بحالة التسكُّع في الأسواق، والشوارع، والميادين العامة، وإضاعة الأوقات، فيما لا طائل من ورائه، وإزعاج الناس، في الأماكن والميادين والتجمعات العامة، للتحرش

بالآخرين، أو لممارسة التفحيط بالمركبات، أو لتخريب الممتلكات الخاصة، أو العامة، أو للمشاركة في حالات الشغب الفردي، أو الجماعي، أو غير ذلك من الأفعال، التي تجعل الحياة جحيماً، لا يُطاق.

قد تكون مصادر أتعاب الإنسان متأتية من صدقه المعتق، ورغبته الحقيقية في تحمل المسؤولية، وأداء الأمانة كما ينبغي، لكن في ظل عدم تبصره بالطرق الصحيحة، اللازمة لعون نفسه، ومن حوله، وبالتالي تعثر مساعيه، وتبعثر جهوده، وذهابها أدراج الرياح، وعدم تحسُّن الأمور، بل إفسادها، بدلاً من حلّها، وإصلاحها، مما يزيد الطين بلة.

إن الحياة رحلة أشبه ما تكون برحلة طائرة، يبدأها طياروها، ومساعدتهم بوضع خطة محكمة للطيران، يتم من خلالها تحديد وجهتهم، وخطوط البداية، والنهاية، ومراحل التوقف، والاستراحة، والأشياء اللازم توافرها لتمضية المشوار بسلام، إلى غير ذلك مما قد يُحتاج له، من أجهزة، ومعدات، وخدمات، وكفاءات، لكن أثناء الرحلة الفعلية تتأثر الخطة التي وضعها هؤلاء بعوامل عدة، كالظروف المناخية، والأحوال الجوية المتقلّبة، من مطر، ورياح، وعواصف، وزوايح، أو كازدحام حركة المرور في المسار، أو كالأخطاء البشرية للعاملين على متنها، أو بسبب تدخّلات أشخاص غرباء ومخربّين يرومون تحقيق أهداف مختلفة، وشريرة، وتكون النتيجة، والمحصلة النهائية لاختلاف هذه الظروف، والعوامل عما خُطّط له، اختلاف المسار قليلاً، أو الانحراف عنه كثيراً.

لكن، وبإذن الله تعالى إذا لم يحدث مشاكل كبرى، ستصل الطائرة بسلام إلى محطتها النهائية المحددة، ذلك أن الطيارين، ومساعدتهم، والعاملين على متن الرحلة يتلقون باستمرار معلومات من الجهات المساعدة لجهودهم، فيتفاعلون معها، وترشدهم عن حالة الجو، وحركة المرور، أولاً بأول، إلى غير ذلك، وبناء على هذه المعلومات يتم تعديل المسار، والرجوع إلى الخطة الأساسية للرحلة.

وإذن، فالانحراف عن المسار أثناء سير الرحلة (رحلة الطائرة/ رحلة الحياة) لا بد أن يكون أمراً متوقَّع الحدوث، وبنسبة كبيرة أحياناً، لكن المهم أن يكون لدى قائد الطائرة (والإنسان عموماً مهما كان سنه، أو جنسه، أو لونه، أو درجة تعليمه، أو نوعية عمله، أو مكان تواجده) رؤى سديدة، وخطط محكمة، وقدرة على التماهي، والتماثل، والتعامل مع الظروف المتغيرة من حوله، حتى يمكنه الرجوع إلى المسار الصحيح.

إن من المهم أن يكون لدى كل منا وجهة، أن يكون لديه خطة للسير في مسار الحياة، ودروبها، من المهم أن يكون معه بوصلة، تكشف له الاتجاهات، أنى ذهب، وإذا لم يكن الأمر كذلك، فليستقطع وقتاً لتوفير هذه الأدوات الضرورية، هذا إن كان معني بالبحث عن معني جاد لحياته، كمسلم، لم يخلقه الله عبثاً، ولن يتركه هملأً، من المهم أن يفعل ذلك إن كان راغباً في أن يخلع على الحياة التي يعيشها معنى باهٍ عظيم، يليق بعظمته، المنبثقة من تكريم الله تعالى له، على سائر المخلوقات، وإلا فليعلم من يُقصر في هذا الجانب، أنه يعيش كالكثيرين حياة، لكنها مجرد حياة!!

35



كيف نُغري عصفير السعادة بأن  
تُحط على شرفاتنا؟!





كلنا ينشد السعادة لنفسه ويبتيها.. ومن دون شك يتفق عامة الناس، وصفوتهم، على أن السعادة تُعد أرقى خير، يُمكن أن يبلغه المرء بجهد.. ويحار الناس في ذكر أسبابها. فمنهم من يرى أن سبيل نيلها هو الايمان بالله جل وعلا، والتمسك بأهداب الدين الحقيقي، والتحلي بالقيم السامية، والأخلاق الرفيعة الحميدة.

وآخرون يرون أنها تتحقق بامتلاك القوة، والسلطة، والجاه، والمركز الاجتماعي الراقى، والوظيفة البارزة، والثروة الضخمة، والاطمئنان الاقتصادي.

ومن الناس من يراها تتحقق بالحب، والصداقة، بصلاح الزوج، أو الزوجة، وبالذرية الصالحة.

وآخرون يرون أن سبيل تحققها هو الحصول على القصور الفخمة، ذات الحدائق الغنّاء، والدور والأفناء الفسيحة، وما يُلحَق بذلك، من أثاث فاخر، وخدم، وحشم، ومساعدين، وأعوان، وسيارات فخمة، وسبل حياة مرفهة.

ومنهم من يرى أن اكتساب العلوم والتحصيل الثقافي الرفيع، كفيل بإدخال السعادة إلى قلب الإنسان.

والمتأمل لأحوال الناس يرى أنهم يختلفون في تعريف كنهها، ولذا يحق لنا أن نتساءل معهم ما هي السعادة؟

هناك من يرى بأن السعادة حالة نفسية، من مشاعر الراحة، والطمأنينة، والرضا عن النفس، والقناعة بما كتب الله سبحانه وتعالى.

وهناك من يرى أن سر وجوهر السعادة يكمن في الإيمان بالله تعالى، واستيعاب الهدف الأساسي من الحياة، بشكل كامل، ومعرفة لماذا يعيش الإنسان على هذه البسيطة.

وهناك من يُعبر عنها براحة القلب، وسروره، وزوال همومه، وغمومه، ويُعدّها مطلباً أساساً، لكل إنسان، وبها تحصل الحياة الطيبة، ويتم السرور والابتهاج، التامين.

لكن الكل يعتقد أن السعادة آتية، هاربة، منفلتة، كلما أردنا القبض عليها، مثل عصفور جميل يحط على شرفة بيتنا، لكن لا نكاد نقرب منه حتى يطير!!

أختي القارئة الكريمة.. أخي القارئ الكريم..

ماذا تُشكّل هذه الكلمة السحرية بالنسبة لكل منكما؟

وكيف يمكن من وجهة نظركما تحصيلها؟

وهل يعتقد كلاً منكما أن عصفور السعادة سيحط على كتفه، ويغني له، كما يتخيل؟

وما الذي يُغري هذا العصفور بالبقاء أطول مدة ممكنة، على أكتافنا، وشرفات بيوتنا، وجوانب حياتنا؟

إن موضوع السعادة، من المواضيع التي تُشيع في النفس علامات الارتياح، لأن النفس الإنسانية في عصر الماديات والاضطرابات النفسية، والاخلاقيّة صارت تبحث عن متنفسٍ، أو كوّةٍ، فيها شيء من الهدوء، وراحة البال، لتختبئ فيها محاولة نسيان كل المشاكل، والاضطرابات..

صارت النفس الإنسانية تبحث عن لحظة طمأنينة، وبهجة، تنفياً  
ظلالها، لتفتح الطريق أمام ومضة سعادة، تتسلل إلى خبايا الذات،  
فتنتعش الروح، وتستكين النفس.

إن ومضة السعادة هذه، ليست محدودة في شيء نراه، أو نلمسه،  
أو نعيشه.. ومع ذلك فهي كل هذا، لأن السعادة إن تعشقت النفس،  
فإنك سوف تراها في عيون معشوقها، وتلمسها في حركاته، وسكناته،  
وتسمعها في أحاديثه، وهمساته، وارتعاشاته، وتعيشها معه، في كل  
التفاصيل إن كان شريكاً لك في الحياة. وإن أنت عرفت كيف تكسب  
ودّ هذه السعادة، حولتها نفسك من ومضة في إلتفاتة، إلى حالة العيش  
معك، أبد الدهر، وعلى مرّ الأيام.

إن السعادة مشاع، مشترك، بين جميع البشر، لمن تطلبها وسعى  
إليها، وهي حالة نسبية، فكما هي في بلوغ الأمال، وتحقيق الرغبات،  
والغايات، كذلك هي أيضاً في العيش البسيط، الهنيء، والقناعة  
بالمقسوم.. إن السعادة في جميع وجوهها، وحالاتها، حالة إيمانية،  
ترتبط بالعلاقة مع الله سبحانه، وتعالى.

إن السعادة هاجس يا أيها السيدات، والسادة، يكتنف على الدوام  
أنفس الأحياء، ويشغلها، وهي هدف تشرّب الأعناق للفوز به، وتطمع  
الأفئدة الحية لتحقيقه، وكما قد نلاحظ، فإن سعادتنا تتشكّل من أشياء  
صغيرة، قد لا نلقي لها بالاً، لبساطتها، ومعرفتنا بها، لكننا لا نُطبّقها  
في حياتنا اليومية، المعاشة، فنفقد الحب والطمأنينة، وبالتالي السعادة،  
ونتردى دون هوادة في بؤر الأمراض النفسية، كالقلق، والاكتئاب.

هذه الأشياء مثل: الابتسام، الامتناع عن الغضب، حب النفس، والآخرين، الرفق، لين الجانب، المشاركة، الامتناع عن الحسد، العفو، الابتعاد عن الغيبة والنميمة، العمل الجاد، وضوح الرؤية، والأهداف، جزالة رسالة الحياة... إلخ.

وكما قد اتفقنا من قبل، فإننا لا نستطيع أن نجعل من نُحب سعداء، لكن يُمكن أن نُساعدهم على رؤية ما هو مفيدٌ لهم أن يروه، وأن نُشير إلى الأشياء التي نرى أنها تستحق أن يروها، ونأمل أن يروها. إن السعادة تكمن في الرضا الداخلي، بمعناه العام، عن العلاقة بالله جل وعلا، والرضا عن الذات، وعن العلاقة مع أفراد الأسرة، بمختلف تصنيفاتهم، والأقارب، والأحباب، والأصحاب، والأصدقاء، وزملاء العمل... إلخ.

إنني مقتنع بعمق بأن الالتزام الحقيقي بالدين هو المصدر الرئيس للسعادة. ومقتنع أيضاً بأنه لا بد أن يضع الإنسان لنفسه أهداف كبيرة، تتماهى مع الأهداف التي خلقه الله جل وعز لتحقيقها، ثم يضع الخطط بشتى أنواعها، ويعمل بكل جهده، ويوظف كل طاقاته، والطاقات التي يمكنه توظيفها، لتحقيق تلك الأهداف المرجاة، ومن ثم تحقيق السعادة المأمولة.

بالطبع لا بُدَّ من عمل توازن لتلبية كل متطلبات الحياة، بجوانبها المختلفة، الروحاني منها، والاجتماعي، والعقلي، والنفسي، والجسدي.

وأنا وأنت ندرك أن ذلك يحتاج إلى بذل جهود استثنائية، على مستوى اللحظة، والثانية، والدقيقة، والساعة، واليوم، والشهر والسنة،

وخلال مجمل المرحلة العمرية عموماً، وتحملُ تضحيات جسيمة، تستمد أهميتها من معاندتها لهوى النفس الأمارة بالسوء، وحظوظها، وشهواتها، وكيد نزغات شياطين الأنس والجن، ومغريات الحياة بشكل عام، وملذاتها.

من تجربتي المتواضعة لاحظت أن البعض يُعدُّ العمل والاطلاع المعرفي هما المصدران الرئيسيان لسعادتهم، وهناك من يحاول بصعوبة الشعور بلذة التديّن، لكنه لا يُفلح في ذلك، وهناك من يعتقد بأنه يحصل على جزء من سعادته، من خلال الانسياح في الطبيعة، والسفر، أو بالحرص على الرفقة الطيبة، أو غير ذلك مما يشبهه.

رضا الوالدين، وصلاح الزوجة، والأولاد، من الأمور التي تُساعد بشكل كبير على تحصيل السعادة المنشودة، وتجلبها. حب المال يُفترض أن لا يكون على الاطلاق محتلاً لقلب المرء، وإنما من المهم أن يكون لديه منه ما يكفي لتلبية الحاجات، التي لا يضطر لتلبيتها إلى مد اليد للاستدانة، فضلاً عن الشحاذة. وفي كل الأحوال ينبغي أن يمتد حرصه على أن يعيش في بيئة مزنة بالحب، خالية ما أمكن من الحقد، والحسد، ومشاعر الكراهية، والبغضاء، وحمل الضغينة، والغيبة، والنميمة، والعنصرية.

بلا شك أن الأنس بالأهل، والأحبة، والأصدقاء، مصدر ملهم من مصادر السعادة الحقيقية، ومن حسن حظ الإنسان، أي إنسان، أن يكون له في هذه الحياة رصيد حب عند من حوله، ليستمد منهم بعد الله تعالى، القوة، والصلابة، لمجابهة صروف الزمان، ومتغيرات الأحداث.

بالطبع يمكن أن يكون للمال، وكذا السفر، والاحتكاك بمشاهير الناس، وكبارهم، دور في أن يحصل الإنسان على كَمِّ هائل من السعادة، إن هو استطاع توظيف كل هذه الامكانيات، فيما يرضي الله تعالى، وفيما ينفعه شخصياً، ومن حوله، ومجتمعه، وإلاها نحن لا نستطيع إحصاء من هم في قمة التعاسة، بينما تدلنا أخبارهم، وقصصهم وواقع حياتهم أنهم كانوا من الأثرياء، والمشاهير، وأصحاب الجاه، والمكانة، التي تعد رفيعة على المستويين، العالمي أو، الوطني، أو الاقليمي.

إن تقوى الله تبارك وتعالى هي المصدر الحقيقي للسعادة الحقيقية، فالمرجو أن لا نغفل عن هذا طرفة عين. وكما أن للسعادة أمور تجلبها إلينا، هناك موانع تصرفها عنا، منها ما يلي على سبيل المثال لا الحصر: الكفر بالله جل وعلا، الولاء للكفار، وتعظيم شأنهم، اقتتراف المعاصي، والآثام، الإسراف، الحسد، الغيرة الزائدة، الحقد، والغُل، الغضب، الظلم، الخوف من غير الله عز وجل، التشاؤم، سوء الظن، الكبر، تعلُّق القلب بغير الله جل وعلا، تعاطي المخدرات، والمسكرات، وما في حكمهما.. نعوذ بالله من الخذلان.

وفي ظل الحياة المعاصرة المتسم رتمها بالتقلُّب، وسرعة الحركة، وعلى ضوء رغبتنا العارمة لتحقيق السعادة، والسلام المنشودين نلاحظ أننا نحتاج للتناغم والتماهي مع أفضل ما منح الله لنا في هذه الحياة من نعم، مثل: حب الذات، وحب الأسرة وحب الأصدقاء، وحب الدين والوطن.

إننا نحتاج إلى التأمل ملياً في عجائب مخلوقات الله تعالى،

في هذا الكون الواسع، وفيما نحتاج قوله، وفعله، لتضميد جراحات أنفسنا، من الأشياء التي تؤلمها.

ونلاحظ أننا نحتاج إلى خلق البهجة في حياتنا، ومواجهة تحديات هذه الحياة، بصلافة، والتغلب على مخاوفنا، وأن ندع جانباً الآلام، والجراح التي تمنعنا من أن نكون في أفضل حالاتنا، كما نحتاج إلى التخلص من القلق، والغضب، والحسد، ومن كل الأشياء التي تمنعنا من الاستمتاع بالسلام، والسكينة في حياتنا، واستكشاف مستويات أخرى من الشعور، وخلق فرص توازن بين جوانب حياتنا.

وهنا بعض الأفكار، والخطوات الإضافية التي يمكن أن تقودنا إلى هذا الأمل السلام المنشود.. السعادة جعلنا الله، وإياكم من السعداء، الأبرار، الأخيار:

- اهتم بممارسة العبادات، التي افترضها الله عليك، مع الحرص الشديد على استصحاب النية الطيبة، الهادفة إلى إرضاء الله جل وعلا، والإتيان بأركانها، وحدودها، وواجباتها، وسُننَّها، والبعد عن محظوراتها، ومكروهاتها.

- احرص كل الحرص على أن تُخالق الناس بخُلق حسن، سواء كان من تتعامل معه صغيراً، أم كبيراً، ذو منصب بسيط، أو خطير، مع من عرفت، ومن لم تعرف، مع مسلم، أو كافر... إلخ.

- تمهّل، وفكّر ملياً في الأشياء، التي يمكنك أن تفعلها، لكي تجعل حياتك أسهل.

- قم بقضاء وقت يومي في أحضان الطبيعة، سر في الهواء الطلق.. أنطلق، أو أجر في الأماكن التي تزدهر فيها الطبيعة، وتتألق، استمتع بمراقبة السماء، وما فيها من شمس، وقمر، ونجوم، وسُحب، ومطر، ورعد، وبرق، وقوس قزح، وغير ذلك، استمتع بجمال الشمس، وما تُمدُّ به إشعاعاتها في الصباحات الباكرة خاصة جسمك، من دفء، ومعادن وفيتامينات، استمتع بالأرض، وما تحويه، من تربة، وأشجار، وزهور، وورود، وحياة خضراء، وأطيّار، وفراشات، وحيوانات، ونباتات، وأنهار، ومحيطات، وبحار، وبراري، وجبال راسيات، وصحارى ممتدة الأطراف، خذ من وقتك دقائق كل يوم لمراقبة أشكال السُحب في السماء، وللطيور، وهي تطير، وتتناغى، انظر للندى على الأعشاب، وهي تنمو، وتترعرع، وللأزهار، وهي تتفتح، وتتلاقح، تنفّس بعمق، تناول غذاءك على العُشب، أو في ظل شجرة، أو على أريكة، أو على صخرة، ومن كل قلبك، ومن كل ذرات كيائك احمد الله المنعم.

- أضف إلى حياتك لمسة جمال، بنظافة ما حولك من أمكنة، والتخلُّص من الأشياء، التي فقدت أهميتها، وبتزيين البيت بالأشجار، أو سلال الورد، والزهور، أو الأشياء الفنية، والتحف، والرسومات أو بغير ذلك، المهم أن تقوم بجعل المكان الذي تمضي فيه وقتك مكاناً جميلاً، ومحرّضاً على الخلق، والإبداع، والابتكار، ويساعد على انطلاق الروح، وشفافية الوجدان، وراحة النفس.



- اختر الأشياء التي تُشكّل معنى في حياتك، وتُساهم في سعادتك، وسلامة روحك، وعقلك، وتذكّر أن فعل كل شئ غير ممكن، وإن أمكن أحياناً، فإن ذلك يحول بين الإنسان وبين الاستمتاع بالأشياء الأخرى، التي يريدونها بشكل أكبر.
- قلّ بقدر الإمكان من الصخب الخارجي حولك، واستمتع بالصمت، والإصغاء إلى صوتك الداخلي، وحديث نفسك، وتفكيرها، استغن لفترة (احرص أن تكون طويلة جداً) عن هذيان نشرات الأخبار، والبرامج الإذاعية، والتلفازية التافهة، واقفل آلة التسجيل خلال قيادة السيارة، ولا تستخدم بعض الآلات أحياناً، وباشر الأعمال، وفقاً للأساليب التقليدية المتسمة، بالبساطة، وعدم التعقيد.
- تعلّم أن تكون مبدعاً، وممارساً لقدراتك، ومهاراتك، سواء كانت الكتابة، أو القراءة، أو السباحة، أو الجري، أو أي نوع من أنواع الرياضة، أو الطبخ، أو التنسيق، أو الرسم، أو غير ذلك، فهذه المواهب تموت إن لم نرعها، ونعمل يوماً بعد يوم، على سقيها، وتنميتها، وتطويرها.
- تناول وجبة غذاء مع العائلة، في جو هادئ. سمّ الله، تمتع بأكل الطعام على مهل، لا تتعجّل في الأكل، فكّر في مصادر أكلك وشربك، لا تنشغل بممارسة أشياء أخرى، أثناء تناول، سواء مشاهدة البرامج، أو سماعها، أو التحدث إلى الآخرين، أو التواصل معهم، أو القراءة، أو الكتابة، استمتع بطعم، ومذاق كل لقمة، تلذذ بتبادل الأشياء، مع أفراد الأسرة، واستمتع بكلمات

الشكر، التي يقولونها لك، تعبيراً عن قبولهم لمبادرتك للأنس بهم، وتكريمهم، واحمد الله على نعمة القدرة، على الأكل، والشرب، وعلى توفر الأشياء، وعلى أن منحك أسرة، تلتئم حولك، وتعبرُ لك عن حُبِّها، وامتنانها.

36



لا تترك الأعشاب الضارة تنمو حول  
بروق حبك



العلاقات الطبيعية وغير المفتعلة احتياج أساس لقلوبنا، وعقولنا، ونفوسنا، ووجداناتنا.

وهي أيضاً أساس لنمائنا، وتطورنا، وارتقائنا، وبقائنا على وجه البسيطة فاعلين، ومؤثرين في الحياة، ومتفاعلين مع الأحياء.

وبالفطرة نكون مدفوعين إلى الاتحاد مع بعضنا البعض، وإلى تكوين مجموعات من الأحباب، والإخوة، والزملاء والأصدقاء، والأصحاب، والمعارف، حتى يكون لحياتنا ما تستحق من البهاء، والازدهار.

وعوامل الجذب، والإعجاب، والحب، والود دائماً موجودة، وستظل تُغلف كل شئ حولنا، دون إدراك منا أحياناً، أو بإدراك في أحيان أخرى، لكن المؤكد بدون قدرة لأحد إلا الله جل وعلا على إطفاء بروقها.

وهذا التفاعل الإنساني الذي تجده من إنسان قد لا تعرفه، ولم يصدّف أن قابلته وجهاً لوجه من قبل، وهذه العواطف الشفيفة التي قد ينفحك بها آخر تراه لأول مرة، وهذا الود الصادق الذي قد يُرسّله أحدهم صوب قلبك، وهذه المساندة العاطفية، والوجدانية التي تحظى بها أحياناً، من أصحاب القلوب الكبيرة، والأنفس الشفيفة، كل أولئك من الأمور الطبيعية، والمنطقية التي قد تحصل أحياناً، فقط لأننا بشر ذوي أحاسيس ومشاعر، لا آلات، أو أنظمة مُغلقة، لا تتفاعل إلا مع نفسها.

هذه البروق التي تُشعّ بها قلوب أحبائنا، وإخواننا، واصدقائنا،

وزملائنا، ومعارفنا تجاهنا تؤثر فينا بشكل مثالي، لا مثيل له، إن نحن أحسنًا التماهي مع آثارها المختلفة.

إننا نتأثر بملاحظاتهم عنا، وبتشجيعهم، أو توبيخهم لنا، وهي تحرّضنا على كل فعل جميل، وتحفّزنا على المحافظة على الصفات الطيبة، التي نتوقع أنها السبب في نظرهم إلينا بإكبار، وإعزاز، وإجلال، قد لا نستحقه أحياناً، وهي تُعرفنا بما قد لا نعرفه من نقاط قوتنا، وتدفعنا إلى المحافظة عليها، ولذا لا نستطيع رفضها، وإلا لطالنا اللوم، مرة من أحيائنا، لأنها تعبير شفيف من قلوب شفيفة، ومرة على شكل لوم داخلي، وتأنيب للضمير، لأننا فرطاً فيما قد نكون أهلاً له. قد تكمن الأسباب وراء ذلك الإعزاز، أو هذا الود في الاهتمامات المشتركة التي قد تنشأ بينهم، وبين قلوبنا.

وقد يكمن تفسير تلك المشاعر التي عبروا عنها تجاهنا، في اعتناقهم لنفس المبادئ، والمثل، والقيّم والآراء، وقد يكون ذلك لتبنيهم نفس الآراء، والتوجهات، وذات الأساليب والطرائق، وقد يكون ذلك لأن تعاملهم مع الأشياء بنفس منهجية التفكير التي نتعامل بها.

لكن من المفارقة الداعية إلى العَجَب أن يخشى أحدنا الآخر، أو يُعده متحيزاً، وربما يقف ضده، إن لم يصدر عنه ما يشي بأنه معه، على الطريقة الأمريكية الشهيرة: "من ليس معنا فهو بالضرورة ضدنا!!!".

إنه لطبيعي جداً، ومنطقي جداً أن يكون "الوئام" ديدنا، وأن يكون الاحترام، والحب، والوُد الجسر الموصل إلى قلوب بعضنا البعض.

ولا يُؤاخذ المرء فيما أعتقد إن هو أعلن بروق إعجابه، أو احترامه، أو إعزازه، أو تقديره، أو وده، أو حبه على آخر بنية صادقة، ومن قلب مخلص، فذلك أدعى أن تمتد جسور الحب بين شريانات قلوبنا، لتكون أكثر تحريضاً على أن ننجح في مهمتنا الإنسانية، المتمثلة في التعارف الأخوي، وبناء علاقات مشروعة، ومعاواة، وفي قول الكلم الطيب الحق المفيد الذي يبقى تأثيره على أرض الواقع ماثل للعيان.

فإلى "الكبار" الذين تأبى قلوبهم إلا إطلاق كهارب حبهم الأخوي على القلوب التي نذرت نياطها أن تكون موئلاً للوئام والحب، أقول:

لا تتركوا الأعشاب الضارة تنمو حول بروق حبكم.

ولنتذكر جميعاً أن الشمس لا يُخفيها الغُربال، والنجوم لا يقدر إلا المولى جل وعز على اتسامها بالأفول والانكدار.

ولنتذكر أيضاً أن هناك منطقة تقع بين التطرف، والانحياز، هي العدل، والانصاف، والحياد.

وهناك لون تقع درجته بين الأبيض والأسود.

ولا يأسف من يقول لمن يُحب، وبلا تأفف، أو تردد: أعلنت عليك

الحب.





37



لا تحبس العطر في زجاجة!



يقول ويليام شكسبير: "البحث عن الحب شئٌ جيّد، ولكن منحه هو أفضل الأشياء"، ويقول آخر: "إذا رفضت قبول أي شئٍ سوى الأفضل، فإن ذلك يعني أنك على الأرجح ستحصل عليه".

إن التواصل بين بني البشر مؤثّر، من حيث إحداث النمو، والتطور على مستوى الفرد، والمجتمع، والأمة، وهي عملية تتم من خلال نتاج عقولنا وطرائق تفكيرنا.

وإذا كان أهم ما يحتاجه جسم الإنسان هو الهواء، فإن أهم ما يحتاجه قلبه هو أن يفهمه الآخرون، وأن يشعر بتقديرهم واحترامهم، ويساعد الإنصات التعاطفي الصادق على إشباع تلك الحاجة.

وعندما ندرك أن الإنسان هو المخلوق الوحيد المكلف بإيجاد معنى للحياة، فإننا ندرك بالفعل جوهر الحب. ندرك أن فقدان الحب وغيابه هو مشكلة ذلك المخلوق، الذي يجب عليه أن يدرك معنى الحياة، ويقوم حواراً مع العالم من حوله، لكي يشعر بوجوده وكيانه.

إن الإنسان الاجتماعي كما أثبت العلماء يعيش بإذن الله تعالى أكثر سعادة وهناءً من الإنسان المنكفئ على ذاته المنعزل عن الناس، إذ الذي يقوم بكسب صداقات مع العالم الخارجي يُنشئ بالضرورة صداقات حميمة في عالمه الداخلي، داخل عقله وفكره، مما يجعله دائماً يقظ الفكر والوجدان، مُشتغل المشاعر والأحاسيس، ينظر إلى الحياة بأسلوب إيجابي مفعم بالأمل والتفاؤل.

إن معظم الناس يرغب في أن يغمر حياته بالحب، وهو مهياً للحصول عليه ومنحه، وحتى لا يشعر أحد منا بالإحباط نتيجة نقص

الحب في حياته، أو نقصه في العالم، عليه كأولوية رئيسية، وقصوى، وهدف أسمى في حياته، أن يجعل نفسه مصدراً للحب، بدلاً من انتظار تلقيه، وطلب الحصول عليه فقط، فكلما زاد مقدار الحب الذي تمنحه للآخرين، كلما زاد المقدار الذي تتلقاه منه، وعندها سوف تكتشف أحد أكبر أسرار الحياة وهو أن: الحب يجلب الحب، والكرهية لا تجلب ضدها.

إن علاقة الحب مثل الحديقة الممتلئة بالأشجار، والورود والأزهار، فمن يوليها الرعاية، والعناية اللازمين، ويحافظ عليها، ويوفر لها ضوء الشمس اللازم، والمياه التي يحتاجها ساكنيها، فإنها سوف تنمو، وتترعرع، وتنضج بذورها، وتصبح نباتاتها صحيّة، قوية، يانعة الثمار، وتصبح أيضاً غنّاء، يسعد المرء بالنظر إلى أشجارها، وأزهارها، وحشائشها، وأطيّارها، وفراشاتها، وجداول الماء، والشلالات المنهمرة فيها، أما من يهملها، فهو بذلك يسمح أن تغزوها الأعشاب الضارة، والنباتات المتسلّقة، ومن يخطو فوق نباتاتها، ويقطع أوراقها، ويحرّمها من الماء، والغذاء، والرعاية، فهو بفعله يسمح بإذن الله تعالى أن تذوي، ثم تموت.

إنك تستطيع أن لا ترى الزهرة الفوّاحة، ولكنك لا تستطيع أن لا تشم عبيرها.

وإذن، لا تحبس العطر في زجاجة، لا تحبس هذا المارد الجبّار (الحب)، بل اسمح له بالانطلاق صوب القلوب الشفيفة، من حولك.

38



لا تُكُنْ مِثْلَ هَذَا!!!



أمرٌ يتلبَّس به البعض، فلا يستطيع رؤيةً تفوقاً، ما دام ليس له، ومادامت تقصُر همّته عن تحقيقه، يؤلّه وجود من هو ألع منه وأبهى، يعاني جراء مشاهدة تطاول بنيانك، يُفزع طول هامتك، يُحزّنه أن تجد حباً، يُقلّقه أن تُحسّن البناء، وإن كان لعالم هو يقطنه، يتنفّس عبقه، يشم أريجّه، يستضيء بأنواره، يسوؤه ابتهاج الآخرين من حوله.

القدر يدفعه أحياناً في طريقك، كشريك في علاقة زوجية أنت أحد أطرافها، أو رئيس لعمل أنت أحد منفّذيه، أو قائد لفريق عمل أنت أحد أعضائه، فلا يقبل منك إلا أن تكون مُطبلاً حتى لصفاقته، مُحْتَفٍ حتى ببطولاته الوهمية، الزائفة، مشجّعاً لحضوره، مهما كان باهتاً، تختار أسلوباً للتعامل معه أن تكون محايداً لا معه، ولا ضده، فيصدّمك بمنطقٍ مستكبرٍ، وغاشمٍ بدأ مؤخراً يشيع بيننا: "من ليس معنا، فهو بالضرورة ضدنا".

مرض نفسي يُلجئ صاحبه إلى ممارسة سلوكٍ سلبي عدواني أناني، هادّم للذات والكفاءات، ومخرّب للعلاقات والجماعات.

يهتم بتتبع التوافه، يُدقق لثم الصغائر، يبحث عن مُبررٍ لهدمك، حتى ولو أسكنته أحداق قلبك. لا يجتهد لبناء ملكاته وقدراته، ولا يتخذ من أسلوب المنافسة الشريفة المشروعة طريقاً للتفوّق، بل يوظف صلاحياته التي وهبه الله إياها، ولم ينلها بقوته، وقادر سبحانه على انتزاعها منه، في أية لحظة، يوظف هذه الصلاحيات لممارسة صلفه، وعناده، وتجبره، وظلمه، وتسارعه، وتعسفه على من حوله.

يحاول إلغاء الآخر، وإن كان مسالماً، تواقاً للعيش الكريم، ومسهماً بجديّة، لا هوادة فيها، لبناء الصرح، وكأنه له، يحاول هدمه،

وإن كان في حقيقته، ليس معادياً، بل أحياناً قد يكون محباً، وبتطرف، بشتى الوسائل التي يملكها، يعمل على إعاقة جهد من يتوهم أنه لا يحتفي به، من لا يُقدّم له البخور، من لا يُشارك في احتفائية التطبيل له، من لا يصطف على طريقه إلى المطار، أو المسار، مُستقبلاً، أو مودّعا، من لا يلهي بعمله، ومجالدة شؤون معاشه عن اقتطاع جزءٍ غالٍ من الوقت لتدبيج خطابات الإقرار بالعرفان لسعادته، وإرسالها له عبر البريد العادي، أو الإلكتروني، أو غيرهما من وسائط النقل اللحظي، من لا يُقدّم له باقات الفلّ، والورد، والياسمين، والخزامى، والاقحوان، عند سلّم الطائر الميمون الذي يُقلّ حضوره المتوجّج بأخر صيحات التطوير والتنوير.

ينتقص عملك وإن كان يعرف في قرارة نفسه أنك تحاول أن تكون له متقناً، ولتفاصيله مجوِّداً، أن أسهبت في الكلام قال همزاً: خير الكلام ما قل ودلّ، وإن أنقصت قال غيره وحسداً من عند نفسه: هذا ليس بكافٍ، تُعطي بقصد فيسّمك بالبخل، وتحاول أن تُغدّق فيسّمك بأنك مسرفاً، لا يواجهك بخطئك، وإن كان يعدك مخطئاً، ولا يحاورك باحترام، ومنطق، وعقل، فتُهَبّ إلى خطئك مصححاً، لا يُتيح لك فرصة الدفاع عن نفسك، بل يوسّعك ضرباً، وطعناً، ويحدّث بقلبك أماً، متخفياً بما أتيح له التقنّع به من أستار، يتحدث إليك بأسلوب ناعمٍ، بسّامٍ، بينما يُمسك بيدِ عصا غليظة، وبأخرى يكمّ فاك بشريطه الشهير، منطقه: "لا أريكم إلا ما أرى".

مرض خبيث يُكرّس الصراع إذا تفضى حتى بين أقرب الأقربين، يملأ القلوب بقيح الحقد، وصدید الكراهية، والشر، والحسد، والحقد،



يَشغُلُ عَنِ الْإِبْدَاعِ وَالخَلْقِ، يُسَهِّمُ فِي أَنْ يَنْكفَى الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ  
وَذَاتِهِ، عَمَلٌ خَطِيرٌ يَجْتَثُّ النَوَايَا الطَّيِّبَةَ، وَيَسْعَى بِمَوْجِبِهِ صَاحِبُهُ لِإِزَالَةِ  
مَا أْتَمَّ اللَّهُ مِنْ نِعْمَةٍ عَلَى الْغَيْرِ، وَيُفَعِّلُ جَهْدَهُ لَزَوَالِهَا، لَوْ اسْتَطَاعَ.

مَرَضٌ لَا يَخْلُو صَاحِبَهُ مِنَ الْإِصَابَةِ بِأَدْوَاءٍ أُخْرَى، كَالْعُجْبِ  
بِالنَّفْسِ، وَالغُرُورِ، وَالتَّكَبُّرِ، وَالْحَقْدِ، وَالْحَسَدِ، وَالْأَنَانِيَّةِ، وَغَيْرِهَا مِنْ  
الْأَمْرَاضِ الَّتِي لَا يَسْتَسِيغُهَا حَتَّى حَامِلِهَا، وَحَرِي بِهِ طَلْبُ الْعِلَاجِ مِنْهَا.

إِنَّهُ مَرَضٌ خَطِيرٌ، لَا أَشْكَ إِلَّا أَنْكَ أُخْتِي الْكَرِيمَةَ قَدْ عَرَفْتَهُ، لَا  
أَشْكَ أُخِي الْكَرِيمَ إِلَّا أَنْكَ قَدْ عَرَفْتَهُ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ، فَإِنَّهُ:

ا

ل

د

ك

ت

ا

ت

و

ر

ي

ة

فلا تكن دكتاتوراً.

إنه وسيلة من أخطر وسائل تقويض البّناء ومّعولاً من أحد  
معاول الهدم. فلا تكن هادماً، وكن كما انتدبك ربك، مصلحاً بانياً.

39



لست وحدك!



تُعتبر العلاقات الاجتماعية مفتاحاً رئيسياً من مفاتيح نجاح الإنسان، وسعادته في هذه الحياة، وهي تُعد وسيلة مميزة لشعوره بالصحة الطيبة، والرخاء المالي الرغيد، والأمل والبشر، والتفاؤل المأمولين، لكن بالرغم من ذلك تُعد العزلة، أو الانعزال عن الناس سمة من السمات التي يختارها بعض الناس طواعية أو جبراً للتعامل مع من حولهم، وتُظلل الكثير من العلاقات الاجتماعية في هذا الوقت الذي تكاثرت مشاغله، وتباعد أهله، وانحلت كثيراً من عُرى التواصل والتوَاد بين كثيرين من المتعاشين على أديمه وتحت سمائه.

يستأنس البعض بالوَّحدة، ويغتبط بالخلوة، وقد يُعدها صفة جيدة لما تتيحه له من فرص للتركيز على تحقيق الأهداف التي تُشكّل أولوية عنده، ومن تقليل لجوانب الانشغال لاستثمار الوقت في المجالات التي يرى أنها الأكثر استجابة لحاجاته، وترتقي إلى الدرجات العلا في سُلّم أولوياته.

آخرون يُعدونها صفة ذميمة، تجلب الوحشة إلى النفس، وتكرّس التباعد، والفرقة والتنافر، وهي لا تتوافق مع الهدى المحمدي السوي الذي أرشد إلى حب الخير للآخرين، والسعي للتعرف عليهم، ونفعهم، ومشاركتهم أفراحهم، وأتراحهم والاهتمام بشؤونهم، وهمومهم، وعدم اعتزالهم إلا إذا خشي على دينه مما حوله من فتن.

وفي ظني أنه يُعد من أبرز الأسباب الدافعة بالإنسان ذكراً كان أم أنثى، صغيراً كان أم كبيراً، إلى اعتزال فئة من الناس والبُعد عن مجتمعاتهم وتجمعاتهم انعدام أو قلة الاهتمام الذي يمكن أن يحصلوا عليه ممن حولهم.

كثير من الآباء، والأمهات، لا يجلسون مع أولادهم، ولا يُناقشونهم، ولا يُحاورونهم، ولا يُشاركونهم أفراحهم، وأتراحهم، وأحزانهم، همومهم، وأشواق قلوبهم، أحلامهم، وأمانيتهم، وتطلعاتهم، بل كل همّهم توفير المأكل، والمشرب، والملبس، والمسكن، وغير ذلك من الاحتياجات المادية، لهم، أما احتياجاتهم المعنوية، من الحب، والحنان، والعطف، واللفظ، والاهتمام، فلا يعبأون بها، ولا يشعرون بالحاجة إلى تلبيةها، وسدّها، ولا يُعدّون ذلك من واجباتهم، فضلاً عن أن تكون من أولى أولوياتهم.

وكثير من الأبناء يعاملون أهليهم بقسوة، وجلافة، وفتور، وعقوق، عدم إطاعة للأوامر التي تُعدّ في صالحهم أولاً لو نفذوها، من استقامة على الحق، إلى احترام للذات، والآخر، إلى العناية بما يُصلح الذات، ويزكّيها، ويرقيها، من تربية وتعليم، وتأهيل، وتدريب، وعدم احترام لما يُقدّمه الأهل لهم، من نصح، وتوجيه، وإرشاد، أو يخصونهم به من نتاج تجربة، عدم التقبل للوم نابع من الحرص لا الشماتة، عدم اعتبار للجميل الذي يُسدونه لهم، ومن خلاله يؤثرونهم بمعطيّاته على أنفسهم وإن كان بهم خصاصة، تمرّد وهروب من البيت، مقارفة لمحرمات ومخالفات تُثقل على القلب، وتشغل عن الطاعة، والإقبال على الخير، وإنجاز الجميل، وتفت في العضد، وتدمر الجهود الجادة للبناء، وتجعل الحياة رحلة لا تُطاق.

وبالمثل يكون الحال بين كثير من الرجال وزوجاتهم، وبين بعض النساء وأزواجهن، صمتٌ مطبّق، ونفور حدّ الوحشة، واستغراق في حب الذات حدّ الأنانية، فلا تعبير عن الحب، ولا ممارسة للأفعال الدالة عليه، لا إصغاء لأشواق القلب، ونداءات الحب، ولا تبادل للاهتمامات،

ولا الحرص والخوف، ولا تشاور فيما يعني الطرفين من أمور الحياة، وما يستجد حول شؤونها وتقلباتها، ولا اهتمام بما يعني الأسرة، أو أحد الطرفين، أو كليهما، ولا تعبير عن المشاعر التي يُكِنُّها كلاهما للآخر، أو يتلبَّس بها تجاه الآخرين، أو تجاه العالم من حوله، ولا التفات إلى الجراحات التي قد يُصاب بها الجسد، أو الروح خلال رحلة الحياة التي لا تخلو من تعب ونصب ووصب.

كُلُّ يبكي على ليلاه، وكُلُّ يهتم بتحقيق متعته الشخصية وسعادته، كُلُّ يراعي ما يتوهم أنه السبيل إلى إسعاد نفسه دون من سواه، فيلجأ الأولاد إلى بدائل يتوهمون فيها إشباعاً لحاجاتهم المُلحَّة، قد تكون على شكل مصاحبة زميل أو صديق من نفس الجنس أو الجنس الآخر، أو تعارف عبر وسيلة من هذه الوسائل التقنية التي تقذف بها مصانع الغرب والشرق يوماً إثر يوم، أو الالتحاق بشِّلة عادية يتعاون أفرادها على ممارسة الأقوال والأفعال المشروعة، أو أخرى إجرامية ينخرط الإنسان من خلالها في البرائن الموحلة والعضنة، سواء من خلال ممارسة اللواط، أو الزنا، أو السرقة، أو تعاطي التدخين والمسكرات، والمخدرات، إلى غير ذلك.

وكُلُّ يسلطُّ الأضواء حول نفسه، ويجتهد لتغيب الهالة عن الآخر، مما يفضي بالشريك، أياً كان، زوجة أو زوج إلى أن يبحث عمن يُفرِّغ له الشُّحنات المكبوتة في صدره، والعواطف المتأججة في قلبه، فمنهم من يجِدُّ ذلك في الصديق، أو الصديقة، عند الجار، أو الجارة، عند الزميل، أو الزميلة، أو ما شابه، مما قد يكون مشروعاً، أو غير مشروع.

وهكذا، تسري نفس التوجهات على جزء من باقي العلاقات، أكانت زمالة، أم صداقة، أم حباً، فالزميل يهمله توفر غرضه بالمقام الأول، بصرف النظر عما إذا كان تحقيقه مكلفاً كثيراً على الآخر في بعض الأحيان، والصديق تواقُّ على الدوام إلى أن يستمع إلى كلمة "نعم" ينطقها صديقه، وإن كان قولها غير ممكن، ولا مقدورٍ عليه في بعض الأحيان، والحبیب يُؤمُّ القول منه والفعل عن مدلول المثل الشهير القائل: "أنا ثم من بعدي الطوفان".

والمحصلة النهائية لهذه التصرفات والتعاملات هي الدفع إلى العُزلة، وهذه تفضي ولا شك إلى انفصام في العلاقات بين الوالد وولده، والأخ وأخيه، أو أخته، والأخت وأختها، أو أخيها، والزوجة وزوجها، أو العكس، تفضي إلى التباعد في الأنفس، والتفكك في العلاقات، وتؤدي إلى أضرار تؤذي النفس والآخر، وترتّب تبعات غير اعتيادية، وغير مستحبة حتى على المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان ويستفئ بظلاله، والمحيط الذي يرفل في دوائره، ويدرج في مرابعه.

وتنتال الأماني في الدواخل كي نترك هذه الصفات الذميمة، أعني التجاهل، وعدم الاهتمام، وعدم المبالاة، فنهتّم بمن حولنا، من والدين، وأزواج، وأولاد، وأصدقاء، وأحباب، وزملاء، ومعارف، ونُشَبِّع عواطفهم، وميلهم إلى التشجيع، وحب الاهتمام، والمديح، والتعاطف، والإصغاء، والمشاركة الوجدانية، والتحاور وغير ذلك من المشاعر التي ميزنا الله تعالى بها عن كثيرٍ من خلقه.

وتنتال الأماني في الدواخل لتتماهى مع هذه المشاعر الخاصة



المُرَهفة، ونُجسّد هذه المعاني النبيلة بحضورنا المُهيب في حياة بعضنا البعض، حتى لا يحتاج أحدنا إلى البحث عن هذه المشاعر والأحاسيس خارج الدوائر المشروعة، ولا يتخبّط في السلوك إليها عبر الطرق المتلوية، والدروب المظلمة، والمسارِب الموحّلة، والممرات الموحّشة.

وتهجّس النفس بالحلم المتمثل في أن تتحمّل الأم دورها فتكون صاحبة لابنتها، مؤنّسة لوحشتها، متلمّسة لعذاباتها، مصغّية لأمانيتها، وهمومها، وتطلعاتها، ومشكلاتها، موجّهة لها، ناصحة بإخلاص وصدق.

وأن يتحمّل الأب دوره فيكون مربياً لابنه في الصّغر، وصاحباً له إذا شَب عن الطوق، وبلغ مرحلة اليفاعه، والشباب، والبلوغ، والرجولة، يعطيه فرص الاندماج في العالم، ويعينه على السير في الطريق بثبات، لا سيما في هذا الزمن الذي تكاثرت فيه الأخطار، وتزايد به الأعداء، وكثُرَت من خلاله المغريات التي تُغري النفس الأمّارة بالسوء، وقَلَّ فيه المؤتمن والناصرح، قَلَّ فيه المُشفقّ، الدّال على الخير، الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، الموجّه بالأحسن من الأمور، وأن يُدرك أهمية وتأثير الكلمات الرقيقة، والمهذبة، والمداعبات الحلوة، التي يستخدمها عند التحدث إلى ولده، وأن كلمة تشجيع بسيطة، أو لمحة حانية، تُبيّن أنه يُقدّر الصعوبات التي يواجهها ولده، وأنه يهتم بذلك، كفضيلة بأن تفعل مفعول السحر في نفس صغيره، وتحفّز الهّمم عنده، لارتقاء المعالي، واجتياز كل صعب، وأن كل ذلك قد يُحدّث أبلغ الأثر في حياة ولده، وأن يُدرك خطورة استخدامه عند التعامل مع ولده للكلمات النابية، والحادة، الأمّرة، التي تخلو من العطف، واللطف، والرعاية، وأنها تُسهم في زرع الخوف، والحيرة، وعدم الثقة، والغضب في النفوس، بدلاً من

إصلاح الولد، وتوجيهه إلى الاستقامة، وأن لذلك تأثيراً خطيراً في طرائق تعامله مع من هم حوله في الوقت الحاضر، وفي المستقبل.

إن الدواخل لتتلبس بأمنية غالية لكنها ليست بعزيزة على المولى جل وعز أن يُبادر الولد العاق إلى الاعتذار إلى أمه، أو أبيه عندما يصدر منه خطأ في حق أي منهما، وأن لا يستنكف عن طلب عفوهما، وصفحهما وتخليهما، عن الغضب عليه، حتى وأن قُدر أنهما تأولا خطأ ما صدر عنه، وأن يُبادر، أنثى كان، أم ذكراً، إلى إزجاء الشكر لهما في حياتهما على ما صنعاه من معروف لأجله، وأن يدعو لهما بخير، وأن يفعل ما يرضيهما عنه، ويطمئنهما إلى أن جهودهما في تربيته لم تذهب سدى.

المدرسة يتمنى الإنسان أن تؤدي ما عليها من واجب، وأن يقوم المنتمون إليها من معلمين ومعلمات، والقائمين عليها من مديريين ومديرات، وموجهين وموجهات، وتربويين وتربويات، وأخصائيين نفسيين، واجتماعيين، وأخصائيات، بتأدية أدوارهم التربوية التي بها إسهام في إصلاح الإنسان المنتمي لها، كما هو الحال لأدائهم وظائفهم الأخرى المتمثلة في إعطاء المعلومات والمعارف والعلوم، فيُسهمون بذلك في تهذيب أخلاق الشباب، وإصلاح طرائق تعاملهم، وتوعيتهم بخطورة الانحرافات التي تتربص بهم، والمصاعب التي تنتظرهم، في حياتهم الدنيوية، والأخروية، إن هم لم يتعاطوا مع الأمور بهمة، ونشاط، وحيوية، وجِد، وإخلاص، وتفان، وأن يقوم أولئك النفر ممن اصطفاهم المولى جلت قدرته لأداء مهنة من أجل المهن، هي مهنة التربية والتعليم، بالإسهام في إعلاء همم الشباب، وإشعارهم بأهميتهم وحاجة أمتهم

إلى جهودهم، وإخلاصهم، وعملهم، وإبداعاتهم، وتفوقهم، وإنجازاتهم المبهرة، وأن يساعدهم على وضع رسائل وأهداف لحياتهم، وخطط، وبرامج، لاستغلال أوقاتهم، وطاقاتهم، وإمكانياتهم، فيما يفيدهم كأشخاص، ويفيد والديهم، وأقاربهم، ومجتمعهم، وأمتهم.

والصديق ليته يكون ودوداً بحق، حنوناً، متعاوناً، متعاطفاً مع صديقه، مراعيّاً لخصوصياته، مهتماً بشؤونه، مبادراً إلى مساعدته عند الحاجة، لاسيما في الأوقات الاضطرارية والحرجة، سواء كان ذلك مادياً، أو معنوياً، عند حاجته للمال، أو للمشاعر الأخوية الصادقة، ليته يستقبل صديقه بابتسامة حنونة صادقة، ليته يقابله بتحية طيبة عذبة، ليته إذا غاب يُشعره بأنه افتقده، فيسأل عنه، ليته إذا أخطأ في حقه أن يتجاوز عن خطئه، ويعفو، ويصفح عن ذلته.

ليت القائمون على المساجد يُسهمون في توعية الشباب بالأخطار المُحدّقة بهم، والأمانى المعقودة على نواصيهم، ليت القائمون عليها يقومون بفتحها، لتربية النشء، وتوجيههم، وإرشادهم، ونصحهم، وأن لا تقتصر أدوارهم فيها على إمامة الناس لأداء الشعائر التعبدية، دون إقلال أو تعريض بأهمية هذه الأدوار الجسيمة، ليت تتحول المساجد إلى ما يشبه خلايا النحل، عملاً، ونشاطاً، وحركةً، لتعلم العلم الشرعي بشتى فروعه، فهما للقرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وتدبراً وحفظاً، وفقها بالعبادات، والسلوكيات، والمعاملات، وغير ذلك مما يُشعّ نور الله، ليتها تتحول إلى منتديات لحلّ مشاكل المصلّين وأهل الحي والسعي لإصلاح ذات بين المختلفين منهم، منبراً للنصح، والإرشاد، لتفقد الغائبين، للترحيب بالنازِلين الجُدد بالحي، وإشعارهم بأنه مرحّبٌ بهم،

لزياره المبتعدين عن حياض الدين، وتحذيرهم من شناعة أفعالهم، للطف على الأيامي، والثكالي، والأرامل، واليتامي والمحتاجين، إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة التي اضطلع بها المسجد في الأعصار التي كان بها عزاً للإسلام والمسلمين.

بيت الحي، أو النادي، أو الديوانية، إذا وجد أي منها، لبت أن يكون له دور في التقريب بين أفراد الحي، وخلق الفرص التي تُقرب الصغير من الكبير، فيحنو هذا على ذلك، ويمده بالتوجيهات السليمة، والنصائح المسددة، الرشيدة، ويتعارف الجميع بطرائق مشروعة، وينصهرون في بوتقة الأخوة الحققة، والجيرة الطيبة، والمواطنة الصالحة.

وبالمثل، لبت وسيلة الإعلام، أكانت مسموعة، أم مرئية، أم مقروءة، ليتها تهتم بقضايا الشباب، وتبرز طموحاتهم، ومعاناتهم، ليتها تُمدهم بالبرامج التي تُثري عندهم القدرة على الإنتاج، والتفكير، وحل المشكلات، والتطلع لمستقبل أفضل، وحياة أجمل، ليتها تعرض لهم حياة القدوات الشامخة، حتى بها يقتدون، ولأفعالها يُقلدون، ولا تعرض عليهم وسائل الخنا والرذيلة، ليتها توصل في أنفسهم حب الخير، والفضيلة، والرفعة، والسؤدد، والاعتزاز بالانتساب إلى هذا الدين العظيم، وأهله الشرفاء الطيبين، والعمل خدمة لله تعالى، ونصحاً للأمة المحمدية المباركة.

رجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورجل الأمن كلاً في موقعه، ليتها يتعاملان مع مقترف الذنب، أو الخطأ، أو الجرم كمبتلى ومريض، لا مذنب فقط، فيساعدانه على تلمس الطرائق السليمة لتلقي

العلاج، ويسهم كلاً منهم في معرفة أسباب خطئه، وانحرافه، وتبصيره بها، ليتهم يسهمون أيضاً بالدور الممكن لحل مشكلته، والقضاء على أسبابها، أو إعانتته على التوصل إلى مثل هذه النهاية المرتجاة، أعني الحل.

وبالجملة، ليت يتحقق ذلك، أو بعضه، أو ما شابهه، وعندئذ سنضمن بإذن الله تعالى أن نعيش في مجتمع مُعافى، يتسم أهله بدفء المشاعر، وقوة عرى الترابط، ومتانة الأواصر، لا بالرغبة في الانعزال.

ليت لا يُبدد كلاً منا الوقت في التفكير في مدى حبه للآخرين من حوله، وإنما يتصرّف على أساس أنه يُحبهم، بالفعل، ويُضمر الخير لهم، ويرجو النماء لهم، ليجد نفسه قد أحببتهم بالفعل، وتفانى في خدمتهم، وأخلص الود لهم، ومحضهم الاهتمام المرغوب، والحنان المطلوب، من خلال سلوكياته الجيدة، لحظة بلحظة.

ليت يُدرك كلاً منا أنه ليس وحده، ليت يُدرك أنه لا ينبغي أن يشعر بأنه وحده، وأن الإنسان كثيراً بإخوانه، وأعوانه، قليلٌ بنفسه، وشيطانه، وأن مصادر العون، والقوة موجودة حوله، وما عليه إلا الانتفاع منها، عندما يجدها، أو يسعى وراءها لتحصيلها.

لينا بالمجمل نستخدم ما حبانا الله تعالى من وسائل مواصلات، واتصالات، لتبديد الوحشة، وإنهاء القطيعة، التي قد تحلّ بيننا، وبين من نُحب، فإذا كان الطريق الأسهل للاتصال، والتواصل بالآخر عبر الهاتف يتم استخدام هذه الآلة العصرية، التي قربت البعيد، لذلك، وإذا كان التواصل ممكناً عبر الانترنت، تم استخدام هذه الوسيلة،

التي باتت من أكثر الطرائق فعالية، لإذكاء عرى التواصل، المكتوب، والمقروء، والمشاهد، والمسموع، وإن أمكن أن يكون اللقاء مباشراً في مكانٍ خاص، أو عامٍ، بذل المرء جهده، لإغناء دواخله، وإسعادها بمتعة اللقاء من يُحِبُّ، ويحترِّمُّ، ويوقِّرُّ، وبثِّه الأَشواق، وتأكيد عرى التواصل.

40



مَنِّحٌ لَا مَحْنَ، وَدُرُوسٌ لَا فَوَاجِعٌ فِي  
الْمَدْرَسَةِ الَّتِي لَا تُغْلِقُ أَبْوَابَهَا  
(الحياة)).





عبر نماء الإنسان في مسارب هذه الحياة، وتخطي دروبها، والقفز في دهاليزها، يتعرض إلى ممارسة كثير من التجارب، ويحاول غير قليل من المحاولات، ويرتكب بعض الأخطاء، التي تقوده في كثيرٍ من الأحيان إلى الحكمة، والبصيرة، والسعادة، والنجاح، وتحقق الأهداف الصغيرة، والكبيرة، وفي أحيانٍ آخر إلى السقوط، والفشل، والتردي في مهاوي الزلل، والخيبة، ومزالق الضياع.

في الأثناء يلوح أحياناً في أفق الإنسان بوارق النجاح، وفي أحيانٍ آخر تُمنى جهوده بالفشل الذريع، أو البسيط، تتأرجح ردود أفعاله، بين التلبُّس بمشاعر السعادة، والفرح، وإشراقة الأمل، والتفاؤل، وبين التعاسة، واليأس، والتشاؤم، والإحباط، وخيبة الأمل، والفجيعة.

والإنسان الناضج يسعد لنجاحه كثيراً، بلا شك، ويُباهي بانتصاراته، بين أهله، وأقربائه، وأصفيائه، وخلانته، وأقرانه، وفي وسط مجتمعه، يقوده إلى مراتب أعلى، وإلى مكانات أرفع، وهو أيضاً لا تُثنيه التجارب السيئة، ولا المحاولات الفاشلة عن إحراز التقدم المُرتجى، يتعلم من الدروس، ويستفيد من صروف العبر، ومما أفرزته تجارب الحياة.

ينظر إلى الشدائد التي واجهته، والمصاعب والمتاعب التي اعترضت سبيله، وخيبات الأمل التي زنت دروبه، والمآسي، والأخطار، والآلام التي أصابته، بنظر ثاقب، ورُشد مسدد، وبصيرة متفتحة، واعية، ويعتبرها فرصاً للنماء، والتعلم، لا مقبرة للجهود.

يُعدّها خطوات في طريق التقدم، لا بدايات للتراجع، وهذه

النظرة الإيجابية كفيّلة بحول الله وقوته بمدّه بالقوة اللازمة لتجاوز الظروف الصعبة، والحوادث الاستثنائية في حياته، والتعلُّب عليها، والصمود في وجه العواصف العاتية، التي تعترض سبله، وتحقيق فرص الانتصار المحبَّب.

فإلى كل مكروب أسدي النصح.. وإلى كل مكلوم قلب، وكلنا كذلك بمعنى ما، أوجه بروق الكلام المنطلق من قلب محب مشفق.

.. ليحاول كلاً منا اكتشاف الجوانب المضيئة المشرقة في الأحداث السيئة القاسية، والمرّوعه التي تمر به في حياته.

.. ليتذكر على الدوام أن الحياة تنطوي على مِحْنٍ ومِنَحٍ، وأن فيها الألم، والأمل، النجاح، والفشل، وأنها ليست كدراً صرفاً، ولا شهيداً خالصاً، يطيب لعقه، بل خليط متقن، من هذا، وذاك، لا يدرك الحكمة من أسرار تركيبته، إلا المقدّر له جل، وعَزَّ في علاه.

.. لا يتوانى أحدنا في التعلُّم بعمق، من تجاربه القاسية، ومحاولاته الفاشلة، وينظر إليها كبدایات للانطلاق، نحو حياة أفضل، ومستقبل أجمل إشراقاً، وبهاءً، وتألّقاً.

.. لينظر إلى أحداث حياته من منظور أوسع، ملؤه الأمل، والاستبشار، والتفاؤل، وأن يُحاوّل فهمها، وسبر أغوارها بشكل أعم وأشمل.

.. وليصبر فإن مع الصبر الظفر والنصر، وإن مع العسر يسراً.. إن مع العسر يسراً، بإذن الله تعالى.

41



هل أنت مفكر إيجابي؟!



تُعَد تنمية الذات الإنسانية عنصراً أصيلاً في منظومة الإصلاح للإنسان نفسه، كأول المستفيدين، ولمن حوله من البشر، القريبين، أو البعيدين، الأسرة الصغيرة والكبيرة، والمجتمع المحلي، والإقليمي، والعالم بشكل عام.

والإنسان عندما يكون سعيداً، وقوياً، وناجحاً، فإنه يكون مصدراً للإشعاع عند من حوله، وللسعادة، والحماس، والإخلاص، والتفاني، ونكران الذات مع من يتعامل معه. إنه يغدو عنصراً فعالاً، نافعاً لنفسه، وأسرته، وجهة عمله، وللمجتمع الذي يحيا في وسطه بشكل عام، ولذا لا يكفي أن تبني الدول المصانع، والمعامل، وتشيد المباني، والجسور، والطرق، وتؤسس الشركات، والمؤسسات ومحلات الأعمال، وغيرها من مظاهر البناء، والعمران للأرض، وإنما ينبغي أن يسبق ذلك بناء الإنسان، ذو التفكير الإيجابي، الذي ينطلق تفكيره من الإيمان بالله جل وعلا، حق الإيمان، المطبّق للمنهج الرباني الذي يدين الله به، القادر على تحمّل المسؤولية والشعور بتبعاتها، وعلى الحفاظ على النعم التي أمدّه الله تعالى بها، القادر على فعل الخير، وحبّه للناس كما يحبه لنفسه.

إن الإيجابية فعل سلمي إذا تحلّى به المجتمع تمكّن من السيادة، والقيادة، والريادة على كافة الأصعدة، وفي شتى المجالات، إذ هي تمكّن من البناء، بدلاً من الهدم، ومن العمل، بدلاً عن الاكتفاء بنقد الذات، وجلدها، وتبكيها، وتقريعها، ومن الاجتهاد، ومحاسبة النفس، على تقصيرها، وكبح جماحها، عن الرتع في ملاعب الشهوات، بدلاً من لوم الآخرين، وتقريعهم، وتحميلهم مسؤولية فشلهم وإخفاقاته. إنها

التغيير بالحكمة، والموعظة الحسنة، والعمل الهادئ، والهادف، الفعّال، بدلاً من العنف، والقتل، والتدمير.

إننا نقصد بالتفكير الإيجابي التفكير بطريقة مفيدة مع الله تعالى، ومع النفس، ومع الآخرين، والأشياء، إنه يعني التفكير بطريقة متميزة يتمكن الإنسان من خلالها من تحقيق رضا الله عزَّ وجلَّ، ثم تحقيق الربح لنفسه، وإتاحة الربح للآخرين، والاستفادة من الأشياء التي خلقها الله تبارك وتعالى فيما ينفعه ومن حوله والبشرية جمعاء على حد سواء، إن أمكن، يُعامَل الناس وفق ما يُحِبُّ أن يعاملوه، ويُحِبُّ لهم ما يُحِبُّ لنفسه، فيما لا يُخَلُّ برضا الله جل وعلا، يُعاملهم بما يجعله مصدراً للسعادة الحقة، وعنصراً نافعاً، في أسرته، وحيّهِ، ومجتمعه، ومكان عمله، وعنصراً فاعلاً، متفاعلاً، في العالم بأسره، إن أمكن.

إن التفكير الإيجابي يعني استغلال أطروحات العقل الباطن بطرق إيجابية، لكن الملاحظ أن الدراسات المتخصصة في هذا المجال تشير إلى أن الشخص يتحدث إلى نفسه يومياً بحدود (٥,٠٠٠) كلمة، وأن (٨٠%) منها تتم بطرق سلبية تشتمل على الشعور بالنقص، والعجز، والتحقير للذات، وعدم الاستطاعة، والشعور بوجود العوائق، والقيود، المحبِطة، المانعة للعمل المبدِّع، الخلاق، وكذا الخوف، والتشاؤم، والتردد، والقلق، والحزن، وغيرها من المثبطات، والمكبِّلات.

كثير ما يردّد الواحد منا في نفسه العبارات والكلمات السالف الإشارة لصفاتها من مثل: أنا ضعيف.. لا أستطيع فعل كذا وكذا، أنا

قبيح الشكل، لا أجد قبولاً من الآخرين، كسول، لا أقدر على الحفظ، غبي، ينقصني كيت وكيت، غير قادر على الالتزام بأمر من الأمور، غير قادر على تحمل المسؤولية، لا أتخذ قرارات سليمة، أنا، تيس، فاشل، غير منضبط، حزين، لا أفهم، تعبان، مريض، متشائم، لا مستقبل لي، غير محبوب، غير مرغوب فيه، ما عندي موهبة، ما عندي حظ (ما عندي زَهْر)، ما عندي شئ يستحق الذكر، والإشادة، مظلوم، ضحية، بخيل، غير شجاع... إلخ ما تعرفون من قائمة الكلمات السلبية التي ربما يرددها بعضكم لنفسه مئات المرات، منذ وجد نفسه يدب على أديم هذا الكون الجميل.

والأسرة، والزملاء، والأصدقاء، ورفقاء الدرب، والمدارس، ووسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، والمجتمع بشكل عام مصدر ثر أيضاً للكلمات السلبية المحبّطة. فنحن وخلال معيشنا اليومي، وتفاعلنا مع الفعاليات المشار لها قبلاً نسمع منذ تشكل الوعي لدينا كلمات من قبيل: يا حمار، يا ثور، يا جحش، يا بقرة، يا كلب، يا بهيم، يا لوح، يا ماصه، يا تعبان، يا أعمى، يا غبي، يا بليد، يا برميل، يا تخين، يا أخنف، يا زفت، يا كور، يا أحمق، يا اللي ما تستحي، يا اللي ما تختشي، يا منكود، يا مسخوط، احلق دقني إن أفلحت، أنت ما أنت كفاء، عمرك ما حتفلح في شئ، ما عندك أحد، ما عندك سالفه، والطقعه، والله وما قالت... إلخ الكلمات، والعبارات السلبية، التي تهدم الدواخل، وتعمّق الجروح، وترسّخ عدم الثقة بالنفس، الكلمات، والعبارات السلبية، المحبّطة، والمليئة باليأس، والتشاؤم، والانكفاء على الذات، والانطواء عن الناس، والعزوف عن الحياة.

ولقد أثبتت الدراسات المتخصصة أيضاً أن العقل الباطن يُصدّق هذه الأطروحات السلبية، وتستقر فيه، فيُدير حياة الإنسان، ومشاعره، وأفكاره، ويصوغها وفقاً لها، مما يُخرِّج للحياة إنساناً سلبياً، ضعيفاً، ومريضاً، مُزعزَع الباطن، والظاهر، وإذا كان الفرد سلبياً، ويعاني من الاكتئاب، والقلق النفسي، والاضطرابات النفسية، والعصبية، فسيكون عضواً هادماً، لا بانياً، مفسّداً، لا مُصلحاً، وسيقوم دون شك ببيت السلبية في أسرته، ومجتمعه.

أن جوهر التفكير الإيجابي يُركّز على أن المفكّر الإيجابي يرى صعوبات الحياة، وتعيقاتها، ويعيش مصاعبها، ويعاقر همومها، وغمومها، ومصائبها، لكنه لا يدعها تحبّطه أبداً، إنه يُعاملها على أنها تحديات، يسعى إلى مواجهتها، بقوة الإيمان، وبصدق اليقين، والصبر، والاحتساب، والاعتماد بالنفس، والثقة بها، وبالقدرات التي وهبها الله تعالى له، وكرّمه بها عن سائر المخلوقات.

إن الإنسان الإيجابي كلما تقدّم به العمر، كلما سعّد أكثر، فهو مستفيد من ماضيه، مُتحمّس لحاضره، مُتفائل بمستقبله، إنه متحرّك، ومتوثّب، يعقل الأمور، ويشرع في العمل، ثم يتوكل على الله.. سبحانه وتعالى، إنه بشوش، مستبشر، فرّح، غير حزين، ولا مكتئب، قادرٌ بعون الله تعالى على قلب المحنة، إلى منحة، والرزية إلى عطية، والسيئة إلى حسنة، والسلبية إلى إيجابية، إنه قادرٌ على اعتبار السقطة تجربة، مفيدة، لعدم تكرار الفشل، صابر على قضاء الله وقدره.

إن الإنسان الإيجابي عنصر كفاء، ومنتج، وفعّال، أينما وقع



نفع كما جاء في الحديث الشريف.. يتمثل بأفعاله القاعدة الشهيرة: من جَدَّ وجد، ومن زرع حصد، ومن مشى على الطريق وصل، بإذن الله تعالى، ولا يظن بربه إلا خيراً، لذا فهو مصدِّق تمام التصديق بالحديث الشريف: "أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي عبدي ما شاء"، ويتعامل مع المشكلات مهما كانت وفق ما تضمنه الحديث الشريف: "عجباً لأمر المؤمن كل أمره خير. إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له".

إنه بتصرفاته، وأقواله، وأفعاله، وحركاته، وسكناته، وأسلوب حياته بوجه عام، يجذب الخير، والسعادة، والسرور إلى نفسه، وأهل بيته، وأسرته، ومجتمعه، والناس أجمعين، لذا لا عجب أن تأتيه الدنيا صاغرة وتنحاز إليه طائفة مختارة.

إن على الإنسان بوجه عام، والإنسان المسلم خصوصاً أن يفهم منذ البدء أنه لم يُخلَق عبثاً، بل لمهمة عظيمة في الحياة، وهي عبادة الله جل وعلا، أولاً وقبل أي شئ، وأهم من كل شئ آخر، ثم المشاركة في عمارة الأرض، وإحيائها، مادياً، ومعنوياً، والعمل ما وسعه الجهد لترجمة ذلك إلى أقوال، وأفعال يرضى عنها الله جلت قدرته، ويسعد بها هو شخصياً، وينتفع منها المجتمع، والأمة، والبشرية جمعاء إن أمكن.

إن طريق المفكر الإيجابي طويلة، وبدايتها تكمن في تحديد الأهداف، ويُعد هذا العنصر من أهم العناصر الواردة في أدبيات الإدارة الذاتية، وهو تجسيد عملي للخيال المبدع، والإرادة المستقلة، إنه

العامل المشترك لنجاح الفرد، والجماعة، والمؤسسة، والشركة، والمنظمة، والكيان، والأمة، بشكل عام.

والأهداف لدى المفكر الإيجابي تتسم بأنها محددة، وواضحة، وقابلة للقياس، ومرتبطة بتحقيقها بزمن مُعَيَّن، وهو لا يدخر جهداً لتحديد الخطط، والاجراءات التي تمكّنه من تحقيق هذه الأهداف، وأن تكون جهوده منتظمة، ومتواترة، اتساقاً مع ما أُثّر عن الحبيب صلى الله عليه وسلم: "قليل دائم، خير من كثير منقطع".

المفكر الإيجابي يضع لنفسه أهداف قصيرة المدى، ومتوسطة المدى، وطويلة المدى، أهداف يومية، وأخرى شهرية، وسنوية، وكل خمس سنوات، وكل عشر سنوات، وأكثر، فذلك ممكن ما دامت الحياة ممكنة .

وعند المفكر الإيجابي يُعد من الأهداف ما هو هام جداً، لا يُسمح بتأجيله، ولا تأخير، بل تنبغي المبادرة إلى فعله، أولاً، ومنها ما هو هام، وما هو مهم، وما هو اعتيادي، وعديم الأهمية، والفائدة، ومنها ما دون ذلك، ولذا فهو يرسم أولوياته طبقاً لأهميتها، ومدى اتصالها بما يُثري جوانب حياته، ويُسعده، ويُحدث فيها التأثيرات الإيجابية المطلوبة، والفوارق المأمولة.

لدى المفكر الإيجابي أهداف تتعلق بتحسين علاقته بالله جل وعلا، وأهداف أخرى لتحسين علاقته مع نفسه، وأهداف لتحسين علاقته بالناس من حوله، وفي مقدمتهم الوالدين أعزهم الله، والأزواج، والأولاد، والأقارب، والأحباب، والأصحاب، والجيران، وجماعة المسجد،

وزملاء الدراسة، والعمل، والناس مطلقاً.

المفكر الإيجابي يضع أهدافاً للمساعدة في إنجاح مهمة قيادته لأسرته، سواء ما يتصل بالجوانب المعنوية، أو المادية، وكلها كبيرة جداً، وهو يضع أهدافاً أخرى، لإتقان عمله، وتنفيذه، وفق أرفع المستويات وأدق أساليب العمل، وأن يكون ذلك مصحوباً بما يستطيع من جهد مخلص بئاً.

والعناية بالصحة الشخصية للمفكر الإيجابي أمر مهم للغاية، ولذا يضع عدداً من الأهداف، التي تمكنه من الحفاظ على صحته، بإذن الله تعالى، وأن تكون من أولى أولوياته، كممارسة الرياضة المناسبة، بشكل دوري، منتظم، وعدم الإكثار من تناول الطعام، والابتعاد عن تناول المحرّمات، والأشياء التي صار ضررها معروفاً، للخاصة والعامة، كالمسكرات، والمخدرات، والدخان، والمشروبات الغازية، وغيرها.

المفكر الإيجابي يدرّس كل ما يستطيع حول هدفه، وما هي متطلبات العمل من أجل إنجازه، ويحدد الوقت المطلوب لإنجازه، ويكتب خطة عمل لذلك، ويضعها في مكان بارز، حتى يتسنى له رؤيتها، باستمرار، فلا يفتر، ويتجدّد نشاطه، كلما ملّ.

الأهداف ينبغي في نظر الإنسان الإيجابي أن تكون متوازنة، لتشمل الجانب الروحي لدى الانسان، وكذا النفسي، والاجتماعي، والجسدي، والاقتصادي، والاجتماعي،... إلخ، لذا فالمسلم يرى من الأهمية بمكان أن يكون بأعلى سُلّم أولوياته يومياً قراءة شئ من كتاب الله جلت قدرته، ومحاولة حفظه، وفهم، وتدبر معانيه، وتطبيق

هداياته، في مختلف جوانب حياته، ولو تابعنا نجاح كثير من المبرزين في العالم الإسلامي، لوجدنا أن تعليمهم الديني كان أساساً متيناً لتفوقهم، وهو (المسلم) يرى أهمية أن يكون المرء ذا إيمان قوي، رغبة في الحصول على رحمة الله تعالى، ودخول الجنة، انطلاقاً من شعوره بأنه لا طعم للحياة بلا إيمان، ولا سعادة لنفس ولا طهارة، ولا زكاة لها، ولا فرح، إلا بالإيمان الصادق العميق، واقتناعاً أنه بقدر قوة إيمان المرء، أو ضعفه تكون سعادته، أو شقائه، يقول الله تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياةً طيبةً ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾.

ومن التفكير الإيجابي أن يعمل الإنسان على إعمار دواخله بالإيمان بالله جلت قدرته، لأن من يشعر بأن الإيمان بالله في قلبه قوي، فلن يواجهه مستحيل، بعون الله وقوته، وقدرته.

ومن الأهداف التي يرى المفكر الإيجابي أهمية لتبنيها أن يُشارك المرء في إيصال رسالة الحق إلى من يسعه جهده من البشر، يدعو إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، وعلى بصيرة، وهدى من الله تعالى، وأن يتفقه في الدين، ويطلب من العلم الشرعي خاصة ما يعينه على تمثّل الحق، ويطبّق ما تعلّم، ويُعلّم من حوله، ومن يستطيع نفعه، وأن يتحلّى بالأخلاق الفاضلة، والعادات الطيبة، ويمارسها خلال تعامله مع الآخرين، وأن يتعلّم العلوم النافعة، والآداب، والفضون المهمة لعيش حياة أفضل، وفقاً لما شرع الله جل وعلا، وبما لا يُخالف النهج الإسلامي القويم، ومنها أن تكون علاقته بمن حوله من الناس متميزة، ومثمرة إثماراً طيباً، سواء كانوا الوالدين، أو الأزواج، أو الأولاد، أو

الأصدقاء، والإخوان، والزملاء، والأعوان، والمعارف، والناس بوجه عام، على اختلاف ألوانهم، ومشاربهم، ما داموا ليسوا محاربين للأمة، وأن يكون له عمل شريف، نافع للإسلام، والمسلمين، يشغله بتفان، وإخلاص، ليُدِّر عليه دخلاً حلالاً، ويقيه من الوقوع في براثن الفراغ، ومفاسد البطالة، ومنها أن يجِد الاستقرار المالي المناسب لوضعه الاجتماعي، ولأسرته بشكل يُساهم في تحقيق أهدافه المادية، من مسكن، ومطعم، وملبس، ومركب... إلخ، بشكل لا إسراف فيه، ولا بذخ، أو تبذير، ولا تقتير، حتى لا يُمُد وذويه أيديهم لأحد غير الله تعالى، بل إن أمكن يكونوا باذلين للمال لمستحقه من المسلمين، ومنها أن يهتم بصحته من خلال أكل وشرب ما أحل الله من الطيبات، واجتناب الخبائث، ومن خلال ممارسة الرياضة، بشكل منتظم.

والتفكير، والتدبر، والتعلم، هي أدوات المفكر الإيجابي لامتلاك هذا الفكر النوراني، الذي يزيد الحياة بهجةً، وحبوراً، ولذا ينبغي على كل حي من بني الإنسان العناية بهذه الجوانب، لأنها تُشكِّل متعة الحياة الحقيقية، الراشدة، والنافعة.

والتدبر سمة من سمات المبدعين، والمفكرين الإيجابيين، وهو أداة من أدوات الإتيان، والتعمق لفهم الأمور، والوسيلة الناجعة، للغوص في الأعماق، وللبحث عن كنوز العلم، والمعرفة، والثقافة، ومن خلاله يتمكن الإنسان من تفعيل نعمة الحواس التي مَنَّ الله تعالى بها عليه. وكما أنه في كل أمر يُعد البدء في الموعد المناسب أمراً هاماً، حتى لا يضطر الإنسان إلى بذل جهد مئوس منه، فإن ذلك ينطبق

على الأهداف، فالمبادرة إلى البدء بتطبيقها أمر محمود، وفيه دلالة أكيدة على الجدية، وصدق التوجه، وهذا هو ما يفعله المفكر الإيجابي، فهو مبادرٌ بكل خير.

والإنسان قد يمر بأوقات عصيبة، وقاسية، وعندما يبدأ أي شئ أول مره، وتدفعه نفسه إلى التأجيل، فيدافعها بكل ما أوتي من جهد، وقوة، تحدوه الأمانى، والنتائج التي يتوقع تحصيلها، إن هو أتم أهدافه، فينجح في التغلب على نفسه أحياناً، ويؤمنى في كثيرٍ من الأحيان بالكسل، والخمول، أو ما يمكن أن نطلق عليه التسويف، أو التأجيل، ويستسلم لضعفه، ويلبى نداء بشريته.

ومن أهم ما يدفعنا إلى التأجيل بنظري الخوف من خوض غمار المجهول، ومن الفشل، ومنها عدم الثقة بالنفس الذي سقط الإنسان في برائته لعمر، ولما يستطيع تجاوزه بعد، إضافة إلى السامة، والملل التي تتلبس الإنسان عاجلاً، لانعدام الإحساس لديه بالاستمتاع بما يعمل، نتيجة لقلّة مشاعر التحدي في عمله، ولضعف ما يحويه من مستثيرات للهمة، وبواعث للنشاط، ومحفزات للمواهب، والقدرات.

الكسل بكل تأكيد يأتي في أعلى قائمة أسباب التأجيل، فالإنسان كسول بطبعه كما يقال، ولو أتيح له تحصيل ما يريد دون أن يُحرّك ساكناً لما تردد. ومن أهم بواعث التأجيل ميل الإنسان إلى أداء الأشياء التي يُحِبُّ فإذا كان في أهدافه ما لا يتفق مع ميوله ورغباته فلا بد أن يتوقع العوائق التي تعترضه في طريقه.

والمفكر الإيجابي يتجاوزها جس التأجيل من خلال التوكل على

الله، والاستعانة به، وطلب العون، والمدد منه تعالى، فهو وحده الموفق، والمعين، ثم من خلال مباشرة تنفيذ أثقل الأعمال، وأكربها إلى قلبه أولاً، عندما يكون في أوج طاقته، وفي قمة نشاطه وقدرته على العطاء، والبذل، وبالتفكير في حاله عندما يتمكن من تحقيق أهدافه، ومقارنتها بحاله عند عدم قدرته على تحقيق تلك الأهداف، وهذا بطبيعة الحال يقتضي أن يُحدّد النتائج المزمع الوصول إليها مسبقاً، كجزء من عملية تحديد أهدافه، وهو يتجاوزها أيضاً بأن يراقب حال أقرانه المتميزين والنتائج التي توصلوا إليها، كنتيجة وكثمرة للأهداف التي وضعوها لأنفسهم.

والدعاء أمر مهم بالنسبة للمؤمن، ولذا لا يفتر المفكر الإيجابي عن الدعاء بأن يوفّق لاختيار القرار الصائب، وهو يحرص بإخلاص على دعاء الاستخارة قبل تحديد هدف ما واختياره، ثم بعد الاختيار يطلب من الله جل وعلا العون، والسداد، لإنجازه، ويستمر في ذلك خلال فترة الإنجاز.

بالطبع المفكر الإيجابي يحمد الله تعالى ويشكره عندما يوفّق لتحقيق هدف صائب، ويتابع وضع أهداف أخرى، أما إذا لم يوفّق فإنه يحمد الله على كل حال، ويرضى بما قسم الله له، ويتدكّر أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، يرضى بقضاء الله وقدره، ويحتسب الأجر عند الله تعالى، ويراجع حساباته، ويسبر أغوار أدائه، ليرى أين جوانب القصور حسب علمه، فيصلحها، ثم مجدداً يستعين بالله العليّ القدير على تنفيذها، وإنجازها، وبذا لا ينجز هدفاً إلا ليقوده إلى إنجاز أهداف أخرى.

والتمتع برحابة الصدر، والجلم، وما يمكن أن نطلق عليه الروح الرياضية أمر محمود، والبحث للآخر عن أعذار صفة من صفات المفكر الإيجابي المتميز، وقديماً قال الشاعر: لعل له عذر وأنت تلوم، ونحن نعيش بكل أسف حياة صاخبة مليئة بالهموم، والمخاطر، والأتعاب، وتتوازع اهتماماتنا قضايا شتى، وأحداث لا حصر لها، نُخطط ليومنا، أو لساعتنا، ثم يأتي من المشاغل ما لم يكن بالحسبان، وما لم يوضع بجدول، أو خطة عمل، بالتأكيد تتضرر جوانب أخرى من حياتنا، وبالتأكيد يتلبسنا القلق والحزن أن لم نكن في الموعد، لكن المفكر الإيجابي يحني قامته حتى تمر العاصفة، ثم يشرع في التعلم من التجربة، ويجتهد بإخلاص لاستيعاب الفوائد، والاستفادة من الدروس والعبر. ثم قد يتكرر الخطأ مجدداً، فلا يستغرب ذلك، إيماناً منه بأننا بشر محدودي الطاقة، والجهد، والإمكانيات، لكنه لا يستسلم للمتبّطات، ولا تحُد المطبّبات من ارتحاله صوب القمة التي استهدف بلوغها.

المفكر الإيجابي عندما لا يرضى عن تصرف قريب، أو صديق، أو زميل، أو معرفة يوضّح للآخر ما في نفسه، بأسلوب لبّيق، وكلمات خالية من التهكّم، والتجريح، وهو بالمقابل يتوقع من الآخر أن يكون صادقاً، وواقعياً، ومنصفاً، فيبين حقيقة تصرفه، وأسبابه، ودوافعه، بكل صدق وتجرّد، وبتخلّل عن حظوظ النفس، ثم يعتذر عما بدر منه، بما يجد من العبارات اللطيفة، والكلمات التي تساعد على إطفاء سورة الغضب، وتجثتها من الدواخل، ليحل محلها الصفاء، والنقاء، وتؤسّس لبناء جميل.



إننا مدعوون للتفاؤل حتى وإن كان الأمر عسيراً. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾. ويقول جلت قدرته: ﴿لا تدري لعل الله يُحدث بعد ذلك أمراً﴾. أما المصطفى صلى الله عليه وسلم فيقول: "تفاءلوا بالخير تجدوه"، ومدلوله أن من يتفاءل بالشر سيجده ولا بد.

والأعمار بيد الله جلت قدرته، فيطيل بحكمته، وعلمه، ورحمته جل في علاه عمر من يشاء، ويجعل عمر من يشاء قصيراً، لكن لا يشك العاقل أن الإنسان السوي المُتَحَلِّي بفضائل الإيمان بالله جلَّ وعلا والتوكل عليه والثقة به، الإنسان المتفائل الذي لا ينقطع رجاءه بالله جلت قدرته، ليس مثل الإنسان المتشائم المتذمر من ماضيه الآيس من مستقبله، اللاعن لحاضره، فالأول يعيش حياة ملؤها السرور، والنشاط، والعمل، والحركة، يؤثر إيجابياً في الحياة، والآخرين، ويتأثر بإيجابياتهم، ويستفيد من كل لحظة من لحظات عمره فيما ينفعه، ويجر نفعاً للإسلام والمسلمين، ومن هذا المنطلق على الأقل وفي حدود علمنا تُعد حياته أطول، حتى وإن قصُرت في عَدِّ السنين، أما الآخر فيعيش رهن مشاكلة، وهمومه، وغمومه، فيموت دون أن يُحسَّ به أحد، ولا ينتفع منه أحد، بل الأخطر من ذلك أنه يضر بنفسه، وأهله ومجتمعه، وأمته، ومن هذا المنطلق على الأقل وفي حدود علمنا تُعد حياته قصيرة، حتى وإن طالَّت في عَدِّ السنين.

إن أبواب الفرص تُفتح أمام الإنسان المتفائل، وبوابات الانجازات، وتحقيق الأهداف تتسع لحضوره، وإن معظم الناس يتحلقون كتحلق الخاتم بالاصبع حول الإنسان الذي يرى الأمل في المستقبل، ويستشرف

لإشراقته، لا حول الشخص المتشائم، المهموم الذي لا يرى من الحياة إلا أتعابها ومشاكلها.

فلنفر من المتشائمين فرارنا من الأسود الكواسر، ولنقترب من الإيجابيين والمتفائلين اقتراب النحلة من الرحيق.. منذ اللحظة دعونا نتفق لو سمحتم على أن نتحدث مع من نلاقه، أو نتعامل معه عن السعادة، والحب الحقيقي، والفرح، والأمل، والتفاؤل، والنجاح، والتطور، وارتقاء المعالي، وبلوغ القمم، لنقطع على أنفسنا عهداً غير قابلة للنقض بأن ننظر على الدوام في الجوانب المشرقة مما توصله إلينا حواسنا، لنفكر في الأفضل، ونعمل بإخلاص، وبحرارة قلب، لإنجاز الأفضل على كل المستويات، المادية، والمعنوية، لنحمس لنجاح الآخرين كما لنجاح أنفسنا.

إن يد الله مع الجماعة.. ونحن نحتاج إلى أن نتمثل هذا الشعار الغالي في بناء علاقاتنا في بيوتنا وأعمالنا ومنتدياتنا ومجامعنا العلمية والثقافية والعملية والاجتماعية... إلخ، فالرأي مع الآخر يكون رؤية ثاقبة وبديل ثالث يوصل لخيارات مثلى، والمشورة تنتج عملاً مبدعاً، وجهداً خلاقاً، والمسلم بطبيعته متفائلاً، ميالاً إلى البناء، وتعزيز المكتسبات.

لنتلبس بالتفاؤل، المصحوب ببذل أقصى الجهد، كل في ميدانه، وحسبما يطيق، لا سيما ونحن نعرض أفكارنا على الناس، فالأفكار السلبية مُعدية، وكذا الإيجابية، ولنتحلى بالتفكير الإيجابي، فالفكر الإيجابي هو من يستطيع العمل على قلب المحنة إلى منحة، والإخفاق

إلى تجربة، ودرس مستفاد، إنه لا يستسلم لليأس أبداً، يتصالح مع ماضيه ولا يعيش رهن إخفاقاته، ويتحمس لحاضره، ويتفاءل بمستقبله.

أيها الأحبة.. كونوا إيجابيين وقولوا لأنفسكم على الدوام، ورددوا باستمرار الكلمات الإيجابية، التي تساعدكم على إصلاح أنفسكم، وتجعلكم أقوياء، ناجحين، سعداء، متفائلين، مستبشرين بكل خير، وتساعدكم أيضاً على أن تكونوا مصادر إشعاع لتبديد الحُلْكة من حولكم.

من اليوم ردّدوا في دواخلكم هذه العبارات واطووا عليها مهجكم:  
"إذا كان الله معنا، وإذا كان الإيمان في قلوبنا قوياً فلا شئ يستطيع أن يهزمننا، ولا شئ سيكون علينا مستحيلاً.. بإذنه تعالى".

إنني أنصح نفسي وإياكم للهروب من مشاعر التشاؤم والقلق، بالانهماك في ممارسة الأعمال، ومزاولة الهوايات المفيدة، وإذا لم يكن لدينا منها ما يكفي فلنتعلّم، ولنطبّق ما تعلمناه، المهم أن لا نبقى بدون عمل، ولا بدون هوايات نستثمر من خلالها أوقاتنا، وعافيتنا، ومن المهم جداً مخالطة الناس الإيجابيين، والمتفائلين، والذين ينظرون إلى الأمور، ويقومونها بميزان العدل، والإنصاف، وهم كثر بحمد الله، وبالمقابل نفر من مصاحبة المتشائمين فرارنا من الأسود.

هناك أشياء إيجابية كثيرة في الحياة، بل إن الإيجاب هو الأصل في كل الأمور، فلنحرص على أن نستمع إلى ما ينفع، وأن نُشاهد ما يرتقي بعقولنا، وأفهامنا، لنقرأ ما يقوي إيماننا، ويصعد به إلى الذرى، وما يقوي عزائمنا وهممنا، ويرتقي بها إلى الأعالي، لنبتعد عن متابعة الأمور السلبية، فذلك أدعى بعون الله وتوفيقه إلى أن يُمّن علينا بحياة

عامرة بذكره جل وعلا، نكون من خلالها مشاعل هدى وحملة مشاعل نور في هذه الحياة، ومن المقبولين في الآخرة بمشيئة الله تعالى.

ختاماً أؤكد على أن التفكير الإيجابي فن لا يجيده غير أقلية من الناس، ولكن من فضل الله علينا أنه يمكننا تغيير عاداتنا السيئة إذا ما قررنا ذلك، وعملنا ما هو مطلوب منا لتحقيق ذلك الهدف الأسمى، فيزداد به أهل التفكير الإيجابي، أهل البناء، وهو حري بكل إنسان أن يكون إيجابياً، أما المسلم الحقيقي فهو عقيدة وتطبعاً إيجابي التفكير، ولا بد، ولا يسعه، ولا يُقبل منه غير ذلك، إن كان صادقاً فيما يدعيه من إيمان ومتابعة للحق. فلنتعلم ولنفهم ولنطبّق.

42



هل تجرؤ على النطق بهذه  
الكلمات النورانية؟!



"أنا آسف"، "عفواً"، "عذراً"، "سامحني"، "أخطأت بحقك"، "لك الحق عليّ"، ووووو... إلخ الكلمات النورانية التي يرتاح لنطقها اللسان، وينتشي لوقعها الجنان، وتصفو لقولها الأنفس الغاضبة، وتفرح لتبادلها الخواطر المتكدرة، ويروق وقعها الأمزجة المعتلة.. كلمات تسعد القلوب المكلومة لسماعها، وتذهب لواعج الأسى والحزن والغضب عندما تُقال. يُمكن أن تُقال عندما يكون الأمر هيئناً، وكذا عندما يكون الخطب جلاً، يُمكن أن تُقال من الكبير للصغير، ومن الصغير للكبير، من الابن لأبيه، أو أمه، أو منهما له، من الأخ لأخته، أو أخيه، ومنهما له، من الزميل لزميله، ومن الصديق لصديقه، من عامة الناس وخاصتهم لبعضهم البعض، لمن تربطه بالإنسان علاقة وثيقة، أو من تربطه بهم علاقة اعتيادية أو عابرة.

إنها مُفردة من مشكاة فن راق يُمارسه أفراد فيرتاح المرء للتعامل معهم، ويحلو له البحث لهم عن أعذار إن هم اخطأوا في حقه، وعن مبررات إن هم أساءوا إليه، فن لا يشك الإنسان في بلوغ ممارسيه شأواً رفيعاً في مضمار الرقي والتقدم، وميدان التحضر، وسُلم الأخلاق.

إنها جزء من فن تعامل تمارسه أمم وشعوب فتعدّ بذلك مثلاً للراقي، والتحضر، والنضج، وخاصية تعدّ من أبرز سمات تحضرها، وعوامل رقيها، والوسائل اللازمة لاعتلائها المراتب الأولى في مضامير التقدم، والازدهار، ومنصّات التوزيع، وهي فن تفتقر إلى ممارسته أمم أخرى، فتوصم بالهمجية، والتخلف، وسوء المثال.

إنها من أسس فنّ يمتنع عن التعامل مع الآخرين وفقه أشخاص آخرين بقصد، أو بدون قصد، بمعرفة أكيدة ودراية بما له من أهمية، أو جهلاً بآثاره النورانية، ونتائج المحمودة، فيصدمك تصرفهم، وتمتلئ دواخلك بالحكم المؤكد على أنهم لا يملكون مهارة من أهم المهارات المطلوبة للتعامل مع الآخرين، وتعد مفتاحاً لكسب قلوبهم.

فَنُّ له معانٍ متعددة، لكن مدلوله واحد، له مذاق الشهد، وطعم العسل، كلماته تُقال بملء الفم، أو تُفهم من إشارة يد، أو إلماحة طرف، كلماته يصح أن تُقال بشكل مُفرد، أو بضم أخريات إليها صادرة من نفس المشكاة، مشكاة الحب، والود، واللطف، والطيبة، واللين، والتسامح، والرفق، والدربة على حُسن التعامل مع الآخرين، والوعي بأهمية ممارسة الخلق الرفيع، لإنجاح قنوات التواصل، والاتصال بهم.

كلمات متوثبة، مُجَنِّحة، لم يأنف من قولها أو قبولها الرسول الكريم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم في كثير من المواقف والأحداث، وقالها وقبّلها صحابته الكرام رضوان الله عليهم وسلف أمتنا الكريمة الصالح، في أكثر من موقف وبأكثر من طريقة، فلم يزدّهم ذلك إلا رفعةً وعزةً وتمكناً من قلوب الآخرين.

فليقلها العاق لأبيه، أو أمه، فقد تكون وسيلة لاستئصال شأفة الحُزن، الذي برّح بهما من وقع فعل عقوقه، ولتقلها الفتاة لأمها المحزونة، بسبب عدم إصغائها لتوجيهاتها، وإرشاداتها، التي لا تبغي منها إلا أن تكون إنسانة صالحة، تستطيع إذا حملت مسؤولية البيت والزوج والأولاد أن تكون أهلاً للاضطلاع بهذه المسؤولية الجسيمة،



التي لا يقدر عليها إلا من أوتى تربية صالحة، وصبراً، وحِلماً ورفقاً،  
جميلين .

ليقولها الفتى لأبيه، الناصح، المشفق، الذي باءت محاولاته  
لإصلاح ابنه بالفشل، وهو لم يطلب منه سوى الاستقامة على الحق،  
وأداء حق الله تعالى، ثم حق الوالدين، وحق النفس، والأهل، والوطن.  
لتقولها الزوجة لرفيق عمرها، لعلّه يستطيع تجاوز الآلام  
والانكسارات التي حلت بقلبه جراء خروج أم أولاده عليه، وتأفّفها من  
العيش في حماه، وتحت كنفه، بحجة أن في ذلك هضم لحقوقها، وتعدّ  
على حُرّيّتها، التي كَرّمها الله تعالى بها.

ليقولها الزوج الظالم لزوجته، ذلك الذي لم يُثمّر صبرها معه  
في السراء، والضراء، على مَرّ السنين، إلا هضماً لحقوقها، ونكراناً  
لتضحياتها، وعقوباً لما قدمت له، ولأولاده من أشياء معنوية، ومادية،  
أثمنها الحب، والعطاء غير المحدودين، والتفاني، والإخلاص المطلوبين  
لاستقامة الحياة الأسرية الناجحة.

ليقولها الأخ لأخيه، إن هو أخطأ في حقه، والزميل لزميله، إن  
هو غلّط عليه، ليقولها المسئول لموظفه، الذي يشعر أنه ساهم بسوء  
تصرفاته في هضم حقوقه، وهدر إنسانيته، ليقولها المرؤوس لرئيسه،  
إن هو تجاوز حدوده، أو عصى ما تجب فيه الطاعة، من أوامره، أو  
قصر في أداء واجب من واجباته، المتفق عليها في العقد المُبرم بينهما،  
أو المُعطى للرئيس صلاحية الأمر به، بحكم قوة العقد، وسطوة النظام.  
ولنُعوّد ألسنا على أن تلهج بأي من هذه الكلمات، أو اللفظات

عند صدور الخطأ، ولتُبَّع القول بالعمل، نُسهِّم في بلسمة الجراح التي نكأنها بسوء تصرفاتنا، لتتوخى انتقاء الطرائق السليمة الراقية لتعاملاتنا، لتُفكَّر في نتائج تصرفاتنا وآثارها علينا، وعلى الآخرين، قبل أن نُقدِّم على تنفيذها، ولنحرص كل الحرص على أن لا نُحوِّج أنفسنا إلى هذه الكلمة، وإذا أخطأنا لا نتردد في الاعتذار عن أخطائنا، وطلب الصفح من الآخر، وليقبل العذر من جئ به إليه، فذلك دليل نضج، ووعي، وهو أسلم لنفس المعتذر، والمُعْتَدِر له، وفيه منحيٌّ ومسلِك تأديبي، للفرد، ومن حوله، لا يُدرك أثره الإيجابي، إلا من جربه.

لنقولها نُطقاً كما يحلو لنا، وكما تعلمنا: "أنا آسف"، "عفواً"، "عذراً"، "سامحني"، "أخطأت بحقك"، "لك الحق عليّ"، ووووو... أو صمتاً، من خلال إشارة دالة تدارجنا على فهمها بما يعني الندم، والتأسف، والاعتذار.

43



هل تُحِبُّ ذاتك؟



الحب الذاتي مظهر من مظاهر الحب التي درج الإنسان على ممارستها عبر التاريخ، والجميع يدعي ممارسة هذا الحق، ولا غشاضة في ذلك، يدعي كلاً منا أنه يُحِبُّ نفسه، ويتمنى لها الخير، وهذا أمرٌ حسن لا يُلام المرء على اجتراحه، كلما في الأمر أن واقع كل إنسان يُصدِّق ذلك، أو يُكذِّبه.

مثلاً، اختيارات الإنسان تدلُّ دلالة أكيدة على ما إذا كان يحب نفسه فعلياً، أو يكرهها، فإن هو أحسن الاختيار كان ذلك دلالة على حبه لذاته، وإن هو أساء الاختيار، فيبقى حبه لذاته وهم وادعاء.

اختيار الإنسان ما يُعلي مكانته ويرفع من شأنه وقدره، في الدنيا والآخرة، من أجل الأمور دلالة على حبه لنفسه، سواء كان ذلك الأمر ممثلاً في طاعة الله تعالى بشتى صورها، أو بالتعلُّم، والتعليم، والعمل، والكفاح، والجهاد بشتى صوره، كلها وغيرها مما هو على هذا السياق، وعلى هذه الشاكلة، من الأمور التي تشي بأن الإنسان يُحِبُّ نفسه.

وعكس ذلك من يرمي بنفسه في أتون الجهل، والبطالة، وتعاطي المحرمات كالمخدرات والمسكرات، وغيرها، والأفعال التي لا تستقيم، ولا تصمد أمام موازين الدين القويمة، والقيم الفاضلة، والأعراف المرعية.

مصاحبة الآخرين قد تكون دليلاً على حب الإنسان لذاته أو بغضه لها، فالذي يُصاحِّب الأخيار، والصالحين، لا يشك امرئ في حبه لنفسه، أما من يُصاحِّب الأشرار ويسلك في مسالك المجرمين، والأفاقين، والنصابين، والمحتالين، والمخادعين، والكذَّابين، ومن في حكمهم، فيبقى ادعاء حبه لنفسه موضع نظر، ومحل تساؤل.

إنه يُحِبُّ نفسه بنظري، من له رسالة سامية في الحياة،

وأهداف، ومقاصد نبيلة، وخطط وبرامج راقية، محددة، وواضحة، يروم تحقيقها، ويحيا بكل قوة، ويعيش بكل فاعلية، لكي يصل إليها، نفعاً لنفسه، وذويه، ودينه، وسعيًا لصلاح مجتمعه، وأمته، وعكس ذلك من لا رسالة له، ولا رؤية، ولا أهداف، ولا خطط، ولا برامج، بل يعيش حياة عادية رتيبة، بوهيمية، فارغة، لا تُسْمَن، ولا تُغني من جوع.

إن الإنسان الطموح الذي يمضي عمره مُحَقَّقًا لأولوياته، والذي يهتَمُّ بعمارة أوقاته بما يُفيد، وينفع، هو الذي يُحِبُّ نفسه، هو المُحِبُّ الحقيقي لها، هو الذي يمضي جل أوقاته في الاهتمام بمعالي الأمور، وأصلحها، ولا يَمَكِّن أن نُصدِّق أن من يمضي جل أوقاته في الاهتمام بسفاسف الأمور وتوافه الأحداث، محباً لنفسه مراعى لحقوقها.

إنه يُحِبُّ نفسه، من يُبعدها عن مهاوي الزلل، وعن المجالس التي يُقارِف أهلها رذائل الغيبة، والنميمة، وسب الآخرين وذمهم، والكذب، يُحِبُّ نفسه من يمنعها من الجور، والظلم، وأكل أموال الناس بالباطل، والاسترزاق من مصادر مُحرَّمة، وما شابه هذه الأعمال الخسيصة.

وكما هو الاهتمام بالمظهر الداخلي للإنسان مُهم، فبدرجة موازية يجب أن يُعنى الإنسان بمظهره الخارجي، بنظافته، وأناقته، وحُسن هندامه، ولا أعتقد أن من لا يُعنى بمظهره الخارجي وهو قادر على ذلك محباً لنفسه.. وعلى هذا السياق فليقس كلاً منا درجة حبه لنفسه. وليتسأل ويجيب بصدق:

هل أحب نفسي؟!!

هل أحب ذاتي؟!!

44



هل تخطط وتضع أهداف لحياتك؟





يُمكن القول ببساطة أن كل فرد منا يهفو إلى اقتناص فرص السعادة والراحة، وتحقيق أحلامه، وطموحاته، وتوقعاته، ومقاصده في الحياة، من معيشة مرفهة، إلى فرص تعليمية، ووظيفية واعدة، إلى إكمال نصف الدين، والقدرة على بناء أسرة... إلخ مظاهر النجاح الدنيوي، التي يترجى الجميع تحقيقها، وهو يسعى بلا كلل، أو ملل لبلوغ الغايات الكبرى، التي خلقه الله جل وعلا لتحقيقها، وعلى رأسها عبادة الله جل وعلا، وإرضائه، طمعاً في رحمته، التي وسعت كل شئ، والفوز بجنة عرضها السماوات، والأرض، أعدت للمتقين، وخدمة الإسلام، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعلم العلم النافع، ومجاهدة النفس، خلال مراحل العمر المختلفة، والمساهمة في عمارة الأرض بما يجعلها أكثر خيرية للعيش، إلى غير ذلك من الأهداف السامية والمقاصد النبيلة.

وكلنا أو جُنُنا على أقل تقدير متفقون على أهمية التخطيط لحياتنا، لما نرى عليه أحوال الأمم المتقدمة، وأهلها، من تطور، وتقدم، وتنمية، لم تُتَلَّ إلا بأثر فعل مثل هذه الممارسة الحضارية الراقية، إذ أن اتخاذ القرارات بدون تخطيط، يُعد عملاً ارتجالياً، لا يُرجى أن يكتب له النجاح، والتوفيق.

والتخطيط للحياة يُعد من العناصر الأساسية لإحداث تغيير فعّال في مجرياتها، وهو عمل ذهني شاق، ومضني، في تفاصيل تطبيقه، لكنه بالغ الأثر، والأهمية، فيما يتصل بالأهداف، والنتائج التي يُثمرها، حيث يتطلّب القدرة على التفكير، والتنبؤ بالأحداث، والمواقف المستقبلية، وتحليلها، ثم اتخاذ القرارات الصائبة بشأنها.

إن هناك من يُعدّ الزواج، والتعليم، والعمل، من أخطر القرارات التي يتخذها الإنسان في حياته، لعِظَم شأنها وارتباطها به طيلة حياته، إذ لا يمكن أن يُغيّر الإنسان بسهولة اختياراته في هذه المجالات، إن هي لم تتفق مع ميوله، ورغباته، وطموحاته، وما يصبو إلى تحقيقه في الحياة، وإذا لم يقم بالتغيير، بقي تعيساً، مشتت الذهن، معتل القلب، والعقل، والجسد، وأثرت حالته الصحية السيئة هذه على من حوله.

إن البعض يُعرّف التخطيط بأنه تصميم المستقبل المنشود، وتطوير الخطوات الفعّالة لتحقيقه، وهناك من يرى بأنه العمل الذي يتولى الإنسان من خلاله تحديد الأهداف، والسياسات، والاجراءات، والبرامج، من بين الاحتمالات المختلفة، وبهذا يتضمن القرارات التي تؤثر على النهج المستقبلي لفرد ما، أو مؤسسة، أو شركة، أو دائرة من دوائرها، أو قسم من أقسامها، أو حتى أمة من الأمم، ووطن من الأوطان، وهناك من يرى بأنه: "عملية اختيار".

والتخطيط في حقيقته يُعنى بتوظيف الإمكانيات، والقدرات المعنوية، والمادية، المملوكة في مساراتها الصحيحة، بشكل مدروس، فلا مزاجية في التعاطي مع الأمور، ولا فوضى، ولا تضييع للأوقات، والأعمار، فيما لا طائل من ورائه، ولا هدر للموارد، والأصول، والاحتياجات، والإمكانيات، والطاقات، وإنما الانتقال من عمل مفيد، إلى آخر نافع، ومن أداء مهمة لازم أداؤها، إلى أخرى كذلك، تستحق أن توجّه الطاقات لأدائها.

إن التخطيط يُعدّ من أبرز العوامل التي يستطيع الإنسان من

خلالها تحقيق الأهداف الكبيرة، التي يعيش من أجل تحقيقها، وتجاوز مشكلة الفراغ التي قد يسقط في براثنها الموحلة، والقضاء عليها، بشكل فاعل، وبأسلوب ممنهج، ومُنَجَّج.

إن التخطيط ببساطة محاولة ذهنية، تتضمن الاختيار الواعي للحلول، وتأسيس القرارات طبقاً للأغراض، والوقائع، والتقدير المدروسة، وهو أيضاً عملية اختيار بين عدة بدائل، لحل مشكلة ما، ولذا لا بد أن يتيح الإنسان لنفسه عند رغبته في اتخاذ القرارات بدائل يختار من بينها، سواء ما يتصل بالزواج، أو العمل، أو التعليم، أو غير ذلك من شؤون الحياة.

جهود تتلوها جهود، وواجبات يعقبها أخرى، تُسَهِّم بإذن الله تعالى في الارتقاء بمصلحة الإنسان، ومنفعته، وحتى الترفيه عنه، وتحسين مزاجه العام، لكي يتمكن من الإنتاج، والإبداع، لما يمكن أن يُسَهِّم في إعلاء شأنه، ودينه، وأهله، ومجتمعه، وبلده، وأمته.

والإنسان الناجح هو من يُخَصِّص جزءاً من وقته النفيس في أعمال التخطيط الواقعي، وإعداد البرامج المحكّمة، والمدروسة، بدقة، وعناية، لاستثمار أوقاته، وطاقاته، وجهوده في هذه الحياة، وتنمية مواهبه، وتفجير طاقاته، المبدعة، والخلاقّة، فيما يُرضي الله تعالى، ثم يُسَعِّد النفس، والمجتمع، والنهوض بكفايته، والرفع من روحه المعنوية، ووضع حدٍ لأسباب الشكاوى التي قد تتلبسه، أو مشاعر التوتر، أو القلق، والاضطراب، التي قد تلون أحياناً حياته.

إن الشخص المُخَطِّط يتسّم ببعض السمات، التي تميزه عن

الأشخاص العاديين، منها: النظرة الإيجابية، والمتفائلة، حب الاستطلاع، الإبداع، القدرة على المنافسة، الاتصاف بالجدية، والحماس، والحيوية، والنشاط، والحرص على اقتناص الفرص، والثقة في النفس، والحكمة، والمثابرة، والإخلاص والتفاني في العمل... إلى غير ذلك من السمات الإيجابية النفيسة.

إن من الضروري بمكان أن نكون واقعيين، وصادقين، مع أنفسنا، ومن حولنا، فنقول بثقة، وبلا وجل، أو خوف، وبدون تردد، أن بيننا فئة من الناس، لا تعرف وجهتها، ولم تحدد غاياتها، ومقاصدها في الحياة، وهذا الجهل بالضرورة يؤدي بهم إلى أن يُصابوا بخيبات الأمل، والتلبُّس بشعور الإحباط، وربما اليأس، بسبب عدم معرفة الطرق التي تقودهم إلى حاضر آمن، ومستقبل واعد، مشرق، بالرغم من رغبتهم في ارتقاء سلالم النجاح والمجد، والبعض يتحقق بحقه نتائج مأساوية، ممثلة في تعاطي المسكرات، والمخدرات، وربما الانتحار، والإصابة بالأمراض الخطيرة، نفسية كانت، أو جسدية، وهناك من يضطر إلى مغادرة البلاد، مهاجراً، حتى بتنا نرى زرافات من الأفراد، ووحداناً في قوافل هجرة مشروعة، وغير مشروعة إلى البلدان المجاورة، التي تنتهك آدميتهم، وتزدري إنسانيتهم، وتنتقص من حقوقهم، في كثير من الأحيان.

إن هؤلاء تحديداً هم من نأمل أن ينتفعوا من مثل هذا الطرح على تواضعه، فيكون بمثابة الخطوات الأولى لهم في سلالم النجاح، ودروب المجد، يتعرفوا من خلاله على كيفية وضع أهدافهم، ورسالاتهم، في الحياة، ومن ثم تحقيق ما يصبون إليه.

ومن الأهمية بمكان أن يعرف الإنسان عموماً، والإنسان المسلم على وجه الخصوص، إلى أين يريد التحرك والاتجاه، والإنسان الجاد، لا يرضى أن يعيش دون أن يعرف وجهته، بل هو يضع لنفسه رسالة سامية، يحيا من أجل تحقيقها، ويحدد لنفسه أهداف كبيرة، يعيش من أجل تحقيقها، تتماهى ضخامتها مع ضخامة الدور المرتقب للمنتسبين لديننا، ومجتمعنا وحاجة أمتنا في هذه الحياة، ومن حسن الطالع والحظ أن القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، اشتملا على هذه المسألة بوضوح، يسهل معه على الإنسان معرفة لماذا خلقه الله جل وعلا؟ وما هو الدور المطلوب منه القيام به خلال رحلته في الحياة؟ ومن غير اللائق الاستمرار في هذا التخبط والضياع، بينما أمتنا الإسلامية قاطبة تمر بهذه الظروف الاستثنائية، والعصيبة، التي أطمعت فيها حتى حثالات الأمم.

إن الذي لا يعرف أهدافه في الحياة، ينبغي أن يكون حريصاً على معرفتها، وإلا لا بد أن يتوقع أنه لن يصل إليها، وإن هو وصل، فقد يكون ذلك من طريق المصادفة البحتة، وبصعوبة، وتكمن أهمية تحديد الأهداف فيما يلي:

- إن وضوح الأهداف يوفرُّ على الإنسان الوقت، والجهد، والاهتمام، والتكاليف المادية، والمعنوية.
- إن الفشل يكون مُحققاً في الغالب في حالة عدم تحديد الأهداف.
- إن الحظ يُحالف أولئك الذين يحددون أهدافهم، ثم يعمدون إلى بذل الجهود اللازمة لتحقيقها، بإخلاص، وتفان.

والأهداف تنقسم إلى قسمين، القسم الأول: أهداف داخلية، وهي ما يتصل بتنمية الخصائص، والسجايا، داخل الإنسان كأن يتعلم الود، والحب، والتسامح، وتقدير الذات،... إلخ، والقسم الثاني: أهداف خارجية، تُعنى بما يتصل بالتأثير على العالم المحيط بالإنسان، كتمارين الرياضة، أو تأليف الكتب وما شابههما، أو تنمية المهارات، والقدرات، كمهارة التحدث بلغة معينة، أو الكتابة بها... إلخ.

ولذا يجب تحديد نوعية الأهداف التي يروم الإنسان تحقيقها، والاطار الزمني الذي يريد تحقيقها خلاله، سواء كان قصيراً، أم متوسطاً، أم طويلاً المدى.

إن اتخاذ القرارات بدون تخطيط كما اتفقنا يُعد عملية ارتجال لا يُرجى أن يكتب لها النجاح غالباً، بينما التخطيط طريقة واعية، وعقلانية، ومنتظمة في صنع القرارات، وحلّ المشكّلات، وتذليل الصعوبات، وهو يحفّز الإنسان على التفكير في مستقبله، ويساعده على بلوغ الأهداف التي يروم بلوغها، والغايات التي يسعى لتحقيقها، وهو يساعده على التعرف على نقاط ضعفه، ونقاط قوته، فيسبر أغوار هذه، ويعزز ما يُقوي تلك، وهو يشير إلى المخاطر التي تعترض سبيل تقدّم الإنسان، وتقف حجر عثرة في طريقه، ويمكنه بمشيئة الله تعالى من رسم الحلول الكفيلة بتجاوز هذه الصعوبات، والعقبات.

ومن فوائد التخطيط ما يلي:

- أنه يُحدّد الاتجاه، فيُتيح للإنسان فرصة التفكير في فرص النجاح الواعدة، بدلاً من التحسّر على خيبات الفشل التي مُني بها.

- أنه يُنسَّق الجهودات، والتطلعات، ويربطها مع بعضها البعض، فتصبح الاستفادة منها أكثر تحقّقاً.
  - يوفّر المعايير اللازمة للعمل والتي يمكن الاعتماد عليها في القياس، ومعرفة مدى التقدم، أو التأخر في الأداء، وما إذا كان بكفاءة، وإخلاص/ وفاعلية أم لا.
  - يُساعد الإنسان على تحديد أهدافه، وطموحاته، بشكل واضح، ومفهوم، وبشكل قابل للتحقيق.
  - يرفع الروح المعنوية للإنسان، ويزيد من تحفيزه على تحقيق أهدافه، إذ كلما نجح في تحقيق أهداف معينة، انبسطت أساريه، ووضع لنفسه أهداف أخرى، تتوق نفسه إلى تحقيقها.
  - يُساعد المرء على تحسين علاقاته بمن حوله.
  - يُشعّر الإنسان بشئ من الثقة، والأمان، والاطمئنان في المستقبل، المتسّم عادة بسرعة التغيّر، والتبدّل، والشعور بمشاعر الخوف، والقلق، تبعاً لذلك.
  - يوفّر للإنسان الأدوات التي يحتاجها عند التعامل مع الأمور والمشكلات والصّعاب التي تعترض طريقه.
- إن من دواعي أهمية التخطيط ما يلي:
- التغيّر، وصعوبة إمكانية التنبؤ بالمستقبل.
  - تركيز الانتباه على الأهداف المنشودة.

- توفير النفقات، والوقت، والجهود.
- مراقبة الأعمال، وهنا يُمكن أن يعرف الإنسان أنه نفذ ما توقعه، إذا رسم لنفسه طريقة للعمل (خطة).

والتخطيط للمستقبل القريب لا يُعد فشلاً، لكن من الضروري جداً أن لا يكون كل شئ.. من المهم جداً أن نُخطِّط للحاضر، والمستقبل القريب، والمتوسط، والبعيد، وبذلك تكون ممارستنا صحيحة، ونكون عاشرين الحاضر كما يجب، ومستعدّين للمستقبل بإذن الله تعالى، خير استعداد، نحمل رؤى، وتصورات، وأهداف، واضحة، وقابلة للتحقيق.

ولابد أن يعي الانسان المُخطِّط أن التوفيق في نجاح خطته موكول أمره إلى الله جلت قدرته، وأن جهده ما هو إلا من قبيل بذل السبب، الذي أمّر به الإنسان المؤمن.. فإذا كتب الله لجهوده النجاح كان أجدر به أن يحمد الله، ويثني على جميل إفضاله، وإذا كانت النتيجة عكس ما خطط له، فليصبر ويحتسب، ولا ييأس، ويفوض أمره إلى الله تعالى، ثم لا يتوقف عن المحاولة، ما أمكنه الجهد، بل يستكمل جهوده ومحاولاته.

إن من الضروري القول أن مبدأ المرونة من أكثر المبادئ شمولاً، فيما يتصل بمهمة التخطيط، وهو يعني القدرة على التأقلم مع ارادة الله جلت قدرته، وتغيير الخطة بما يوصل إلى تحقيق الأهداف المنشودة، وهو يعني أيضاً القدرة على التأقلم، والاستمرار في التحرك نحو الأهداف المنشودة، بالرغم من تغيير الظروف، أو فشل الخطة، التي تم رسمها في بداية المشوار.



ومن الأهمية بمكان التذكير بأن لكل أمرٍ مميزاته، وعيوبه، حسناته، وسيئاته، نقاط الضعف، ونقاط القوة المحيطة به، والتخطيط يصدق عليه ما يصدق على سواه في هذا الشأن، فهو ليس خيراً صرفاً، بل ينطوي على بعض الأخطار التي تحف به، وينبغي التنبُّه لها، وهي على النحو التالي:

- فقدان التلقائية، مما يحرم الإنسان أحياناً من انتهاز الفرص الطارئة.
- الثقة الزائدة في الخطة، ومحاولة التمسك بها، وعدم الخروج عنها، والاعتماد على خطط بديلة، خوفاً من الفشل.
- الافتقار إلى النمو، وعدم ملاحقة الأفكار، والمعارف، والخبرات، والطرق الجديدة، والمتطورة.
- التخطيط غير المنظم يقود إلى التعاسة، لما يُحيط به من عوز في الإبداع، وقِصْر في النظر، بالنسبة للأمور، وعدم القدرة على الابتكار، والتجديد.
- قد يغلب الاستغراق في المحافظة على الاجراءات، والأساليب، والطرق، على الأهداف، فتضيع.
- إن التخطيط عملية منظمة، وهناك جانب من الجوانب المهم معرفتها لإنجاز مهمة التخطيط بكفاءة، ونجاح، ألا وهي مراحل التخطيط، ويمكنها هنا الإشارة إلى المراحل التالية:
- مرحلة وضع الأهداف، وتحديدها، وهنا يجب أن تكون واقعية،

ومفهومة، وواضحة، وقابلة للتحقيق.

- مرحلة تكوين الافتراضات، التي على أساسها يتم رسم صورة المستقبل، بمعنى التنبؤ بأحداث المستقبل، بأكبر دقة، ووضوح ممكنين.

- مرحلة البحث في المجالات البديلة، وفحصها، عن طريق إجراء تحليل العوامل المادية، وغير المادية المؤثرة، لتحديد نقاط قوتها، وضعفها.

- مرحلة تقويم مجالات العمل البديلة، لتحديد أنها أكثر أربحية، وأقل مخاطرة، وأكثر مناسبة، مادياً، ومعنوياً، لتحقيق الأهداف.

- مرحلة اختيار طريق، أو طرق العمل، وهي تعني اتخاذ القرار، واعتماد الخطة المناسبة، لتنفيذ العمل المُعيَّن.

- مرحلة رسم الخطط الفرعية، والبديلة، اللازمة لمساندة الخطة الرئيسية.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن هناك أربع حقائق جوهرية تتعلق بمهمة التخطيط ينبغي إبرازها، وهي على النحو التالي:

- التخطيط هو الوسيلة لبلوغ الهدف. ووفق هذه الحقيقة يجب أن تُسهَّم كل خطة بشكل من الأشكال على نحو إيجابي في بلوغ مجموعة من الأهداف التي تم وضعها، ووفقها أيضاً ينبغي أن يُعلِّم أنها وحدها لا تكفي لنجاح الفرد، أو المؤسسة، أو الشركة، أو المنظمة، أو غيرها، بل المطلوب التنفيذ والعمل، وأنها تُركِّز الضوء

على الأهداف وتتنبأ بماهية الأعمال التي يجب تنفيذها، لأنها تسير في اتجاه الأهداف المنشودة، والابتعاد عن الأخرى التي تؤدي إلى الانحراف عنها.

- أولوية التخطيط. ووفق هذه الحقيقة تقوم مهمة التخطيط بدور بارز، إذ هي تتضمن استحداث الأهداف التي لا بد من وجودها لكي يكون الجهود المبذول ذا موضوع وفي محله الطبيعي.

- شمول التخطيط. ووفق هذه الحقيقة فإن مهمة التخطيط مهمة كل فرد بالتجمع البشري الذي ينتمي إليه، ومهمة كل موظف في جميع المستويات الادارية بالإدارة التي ينتمي إليها.

- كفاية الخطط. ووفق هذه الحقيقة تتوافر الكفاية للخطة إذا نتج عن تطبيقها بلوغ الأهداف بأقل قدر ممكن من الانحرافات، وبتائج أكبر على مستوى القيمة المضافة.

في رأيي المتواضع أن قليل منا في الوطن العربي والإسلامي هو من يستخدم هذه الأداة الهامة (التخطيط) حق الاستخدام، والأقل من يوظفها حق التوظيف في أرض الواقع، لعيش حياة فاعلة في ذاتها، متفاعلة مع من حولها. وأنا هنا أقصد بالتخطيط المهمة الجليلة التي تساعدنا على أن ننتشل أنفسنا من هذا التخبط الممقوت الذي نعيش بين برائته، لا سيما والشباب في مجتمعاتنا العربية المباركة يشكّلون غالبية أفراد السكان، وهناك تساؤل هام يتمثل في لماذا لا يُخطط لحياتهم كثير من الناس!؟

هذه بعض المبررات التي يستند إليها بعض الناس في عدم

## التخطيط لحياتهم:

- اعتبار التخطيط مضيعة للوقت، لأنه مرتبط بالتنبؤ بالمستقبل، وهذا لا يعلمه إلا الله الواحد الأحد، الذي يعلم السر وأخفى.
- التخطيط يحتاج إلى وقت طويل، وأعمال كثيرة، ومتشعبة، في ظل كثرة المشاغل، وقلة الوقت.
- عدم فهم أسس التخطيط، وعدم الرغبة في تحصيل المعارف والمهارات اللازمة لتطبيقه.
- تبني منهجية التفكير المتمثل في المقولات الشهيرة: خلُّ بكرة على رب بكرة، المستقبل بيد الله، المؤمل غيبٌ ولك الساعة التي أنت فيها... إلخ.
- عدم التخطيط معاندة لشخص يكرهه الإنسان.
- التفاؤل المفرط غير المستند على وقائع وأحداث وخبرات واحصائيات ومعلومات.
- الرغبة الجامحة في إشباع الرغبات الآنية فقط وعدم الانشغال بما عداها.
- الجهل، وانعدام البصيرة، وقلة الوعي بوجود مثل هذه الأداة الخطيرة.
- عدم الإحساس بالمسؤولية، والرغبة في الاضطلاع بدور مميز.
- الانعزال عما ينصح به المجربون، وعدم الإصغاء إلى نصائحهم،

والاستفادة منها.

- التماهي مع الأحداث، والظروف، والأعمال الطارئة، واعتبارها هي الأهم عند التنفيذ.
- الانطلاق من العادات، والتقاليد، والعوائق الاجتماعية، والبيئية، التي تحول دون استخدام هذه الأداة، وأحياناً تصادمها.
- عدم الرغبة في التغيير، والتطوير، والتجديد.
- الخوف من المجهول.
- قلة الصبر.

إن التخطيط عملية ينبغي بنظري على الوالدين، والمدارس، والمحاضن التربوية، ووسائل الاعلام تعليمها للأولاد، وتنشئتهم على حب ممارستها، منذ مراحل التشكُّل الأولى لهم، حتى يشبُّوا وقد تمرسوا عليها، وتأصلت في أنفسهم، وأصبحت عادات يمارسونها بعبودية، وعدم افتعال، في كل مظاهر الحياة التي يعيشونها.

والإنسان نفسه هو المحور الأهم في هذه العملية الهامة (أعني التخطيط)، وأرى أن عليه واجباً كبيراً في هذا الصدد يتمثل في تعلُّم، وفهم هذه العملية، وتطبيقها، في الجوانب المختلفة لحياته، والأمل أن لا يكون ذلك بدءاً من لحظة الحصول على الشهادة الثانوية العامة، أو عندما يلج المرء إلى معترك العمل، أو الحياة الزوجية، أو ما شابههما، كما يفعل الكثيرون، وإنما قبل ذلك التاريخ بكثير، انطلاقته تبدأ منذ تشكُّل الوعي.

ليفكر كلاً منا في أهمية انتهاج هذا المنهج الإنساني الراقى. وليسأل نفسه ويجيب بأمانة وصدق: كيف أخطط لحياتي حتى لا تضيع سُدى؟

وينبغي لمن وفقه الله إلى وضع رسالته في الحياة، وأهدافه، ورؤاه أن يتنبه إلى الملاحظات التالية:

- أن يُضمّن نفسه في رسالة الحياة الخاصة به. بمعنى أن لا يكون كل همه العطاء للآخرين، وإنما ينبغي أن يكون للعناية بنفسه جزء من الجهود التي يقوم ببذلها.
- أن يُعنى بجميع جوانب حياته ومنها: الروحاني، الأسري، العملي، الاجتماعي، النفسي، العلمي، الثقافي، المالي، الترفيهي، الجسدي... إلخ.
- أن تتضمن الرسالة جميع الجوانب التي تُثري علاقته بالله تعالى، ثم بوالديه، وزوجته، وأولاده، وأقربائه، وأصدقائه، وزملائه، والمجتمع، والأمة، بشكل عام، وأن يراعي في ذلك أنه خليط من الروح، والعقل، والجسد.
- أن لا ينسى الآخرين، بمعنى أن يفعل ما يُتبرر حياتهم، فكما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً، ولو شاء

أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزلُّ الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل".

- ومن المهم جداً لمن يود تغيير رسالته أن يصف وضعه الحالي، لينطلق بعد ذلك إلى تصور ما يطمح إلى أن تكون عليه رسالته، فيجري عليها التعديلات اللازمة، أو يُغيرها كلياً، إذا اقتضى الأمر ذلك.

وينبغي أن نتذكر أن الناس ينقسمون إلى أربعة أقسام فيما يتصل بمدى وجود رسالات لديهم، ورؤى من عدمه، وذلك على النحو التالي:

- من يكون له رسالة ورؤية. وهؤلاء الناس لديهم أهداف واضحة، ويعرفون مساراتهم، وهم أصحاب الإنجازات الكبيرة، والعظماء، والمؤثرون في أحداث الحياة، والمنتجون، والسعداء، ويقدر عددهم في المجتمعات المتحضرة بنسبة ٣٪ فقط من أفراد المجتمع.

- من يكون له رسالة، لكنه بدون رؤية. وهؤلاء الناس يعرفون مساراتهم، لكن ليس لديهم خطة مكتوبة.

- من يكون له رؤية، لكنه بدون رسالة. وهؤلاء يعرفون ما يريدون، لكنهم لم يحددوا مساراتهم.

- من لا يكون له رسالة، ولا رؤية. وهؤلاء لا يعرفون مساراتهم في الحياة، ولا يعرفون ماذا يريدون، وهم غالبية الناس مع شديد الأسف.

هناك بعض المصطلحات المتصلة بالتخطيط يجب تعلمها وفهمها فمثلاً يلاحظ أنه يحلو للبعض أن يطلق على الرسالة تسمية "المهمة" أو "الدور"، ويُقصد بذلك ما يود الإنسان السير عليه خلال رحلة حياته، وهي غير محددة بهدف معين ومرتبطة بالسعادة.

أما الرؤية فهي كلمة عامة للأهداف تعني "الغاية" أو النتيجة النهائية التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها، وهي مرتبطة بالنجاح.

ومن هنا تتأتى أهمية الجمع بينهما أي أن يكون للإنسان رسالة، ورؤية، حتى يحقق السعادة، والنجاح معاً.

والأهداف/ أو الأغراض: هي الغايات التي تتجّه نحوها وجوه نشاط الأفراد، وهي سياسات عامة تُزوّد الفرد والمؤسسة بالمرشّد الرئيسي لطريقة التفكير، والعمل.

أما السياسات فهي: خطط، أو قوائم عامة، أو مفاهيم محددة، تُرشّد، أو تُوجّه تفكير المرؤوسين عند اتخاذ القرارات، في مختلف إدارات المنشأة المعينة، أو المنفّذين في أي تجمع بشري كان.

الإجراءات تعتبر أيضاً خطط لأنها تتضمن اختيار طرق عمل، وتطبيقها على وجوه النشاط المقبلة، وهي مرشّد للعمل وليس للتفكير، إذ أنها تُفصّل الطرق المحددة لتنفيذ عمل معين.

أما القواعد فهي تلك التوجيهات التي: تتطلب تنفيذ عمل معين في موقف محدّد، وهي ترشّد إلى طريقة العمل، لكنها تختلف عن الإجراءات، من حيث كونها لا تتطلب ترتيباً زمنياً بالنسبة للأعمال المعينة.



بالنسبة للميزانيات التقديرية فهي: خطط تُبَيِّن النتائج المتوقعة بالأرقام.

أما البرامج فهي: خليط من السياسات، والاجراءات، تستند عادة إلى الميزانيات التقديرية، ويكون غرضها بلوغ الهدف المنشود، وتكون إما أساسية، أو فرعية.

والاستراتيجية عبارة عن: خطط تُعَدُّ في ضوء خطط المنافسين.

وهذه عينة للرسائل التي وضعها بعض الأشخاص لأنفسهم في الحياة:

.. إرضاء الله جل وعلا، بإسعاد نفسي، والآخرين، وتنوير مجالات حياتهم.

.. نيل رضا الله جل وعلا، بإدخال السرور على نفسي، والآخرين.

.. التمتع بالقراءة اليومية، والتعلم.

.. أن أتعلّم، وأعلّم.

.. أن أكون واسع الاهتمامات، في الجوانب الإنسانية.

.. إرضاء الله جل وعلا، وإسعاد نفسي، والآخرين، والتأثير في الآخرين بشكل إيجابي، ومساعدتهم، وكسب احترامهم، وتنوير مجالات حياتهم المختلفة.

ختاماً، هذه دعوة من الشاعر الكبير/ إيليا أبو ماضي نتدارس معانيها معاً علنا ننفّض عن أنفسنا غبار الكسل ونتجنب التقليل من

أهمية بعضنا البعض، ونؤكد على أهمية شخصية كل فرد، وضرورة فهمه للخير الذي تنطوي عليه نفسه. يقول الشاعر:

كم تشتكي وتقول إنك معدم والأرض ملكك والسما والأنجم؟

ولك الحقول وزهرها وأريجها ونسيمها والبلبل المترنم

والماء حولك فضة رقراقة والشمس فوقك عسجد يتضرم

والنور يبني في السفوح وفي الذرا دوراً مزخرفة وحيناً يهدم

هشت لك الدنيا فما لك واجماً؟ وتبسمت فعلام لا تبسم؟

إن كنت مكتئباً لعز قد مضى هيهات يرجعه إليك تندم

أو كنت تشفق من حلول مصيبة هيهات يمنع أن يحلّ تجهم

أو كنت جاوزت الشباب فلا تقل شاخ الزمان فإنه لا يهرم

انظر فما زالت تطلُّ من الثرى صور تكاد لحسنها تتكلم

45



هل تُعاني من متلازمة إرضاء  
الأخرين؟!!



هناك أشخاص ينشغلون على الدوام بمحاولات إرضاء الآخرين، ويعملون ما في وسعهم من جهود للارتقاء إلى مستوى توقعات أولئك، ورغباتهم، واحتياجاتهم، وتقديم العون لهم، ومحاولة إسعادهم، ومعاملتهم بطيبة، يحاولون دوماً الحصول على استحسان الآخرين، وتشغلهم آراءهم فيهم، ويعتمدون عليها في تقييم مدى رضاهم عن أنفسهم.

ولقاء ذلك يعتقدون أن على الآخرين معاملتهم بلطف، واهتمام، ومحاولة القيام بما يريدونه، وتنفيذه، وعدم مقابلة طلباتهم بالانتقاد، أو التذمر، أو الانزعاج، فضلاً عن الرفض، أو الاحتجاج، أو التعبير عن المشاعر السلبية، تجاه أفعالهم غير المرغوبة، وعدم الغضب منهم، أو نصب العداوة لهم، أو الحقد عليهم.

والتلُّبُّس بأي من الأفكار، والمشاعر، والسلوكيات، المشار إليها أنفاً، يُعرضهم إلى سيطرة هؤلاء عليهم، واستغلالهم، وجعلهم يفعلون أفعالاً غير مفضلة، كما يُعرضهم إلى دفع أثمان باهظة، من احترامهم لذواتهم، وأنفسهم، ويُقلل من سعادتهم، ويؤثر سلباً على صحتهم النفسية، والعاطفية، والجسدية، ويستنزف جهودهم، ومشاعرهم.

وهذا النوع من العلاقات يُمكن أن يطال أكثر علاقات الإنسان حميمية، وخصوصية، ونعني بذلك علاقته بشريك، أو شريكة الحياة، كما أنها يُمكن أن تكون مؤطرة للعلاقات بالوالدين الكريمين، أو أحدهما، أو زملاء العمل، أو زملاء المهنة، أو العلاقات بالعملاء، والمتعاملين، والأصحاب، والأصدقاء، والرؤساء، والمرؤوسين، والأحباب، والمعجبين، وغيرهم.

هذا الداء ليس له حدود، ولا يختص بأحدٍ، دون أحد، من الناس، بله هو قد يسمّ علاقات النساء والرجال، أو الجنسين مع بعضهما البعض، وهو قد يسمّ علاقات الكبار ببعضهم البعض، أو الصغار ببعضهم البعض، قد تتسمّ به العلاقات القائمة بين بسيطى التعليم، أو ذوي التعليم الراقى العالي، تلك القائمة بين ذوي الجذور البسيطة، والمتحدّرين من أسر ذات جذور راسخة رفيعة.

أبناء الدول المتقدمة عرضة لهذا النوع من العلاقات، كما أبناء الدول النامية، العائشين في مدينة كبيرة، أو متوسطة، أو صغيرة، أو في قرية نائية، أو ريف من الأرياف، الملونين والبيض، الذين يدينون بأديان سماوية، أو من لا دين لهم، كل أولئك، وغيرهم، عرضة له.

وهو لا يحدث فقط بسبب رغبة، أو طبيعة الشخص المُسيطر، وإنما للضحية دور كبير في جعل الأمر ممكناً، إذ في كل مرة يستسلم الضحية، ويخضع للشخص المُستغل، يُتيح له فرصة المضي قدماً في رسم أطر هذه العلاقة الشاذة، وفي كل مرة يعمل الضحية ما من شأنه إرضاء رغبات مستغله، يُعطيه جواز المرور للتحكم في مصير مملكته، ويسمح له بالدخول إلى عالمه، وفرض قيمه عليه، واستنزاف سلامه العاطفي، وهدوئه النفسي، وانتهاك استقراره، وإضعاف احترامه لذاته.

إن مكمّن الخطورة في هذا النوع من العلاقات، التي توظف الأساليب الابتزازية، أنها لا تسمح بنماء العلاقات بشكل طبيعي، صحي، ومتوازن، بل هي تُغلب مصلحة الطرف المُستغل على طرف

العلاقة الآخر، وهو الضحية، وهي تُدخّل السعادة إلى قلب إنسان، مقابل إدخال البؤس على قلب آخر.

ونتيجة لوقوع الإنسان ضحية لسيطرة الآخرين عليه، واستغلالهم له، فإنه يشعر بالاستياء، والحيرة، والعجز، والغضب، والذنب، وعدم القدرة على الانفكاك من هذا الشُّرك اللعين، وهذه العلاقة غير الطبيعية الشاذة.

ولا يُمارس المستغلون أساليبهم الابتزازية بشكل علني ظاهر، بل من خلال طرائق، ووسائل قد تخفى في الغالب على الضحايا، لما تنطوي عليه من خداع، ومراوغة، ومواربة، بل أحياناً لا يعي المُستغلون أنفسهم، ما تتسم به أفعالهم من شناعة، ولا يكثرُ البعض منهم قليلاً، أو كثيراً لخطورتها، وذلك لاعتقادهم أنهم يمارسونها بشكل طبيعي، وكجزء من سلوكهم اليومي، وأساليبهم الطبيعية، المعتادة في الحياة.

إنهم في الواقع يُخفون دوافعهم الحقيقية للاستغلال، والسيطرة، في مظاهر، وتصرفات، وقوالب مقبولة، بل محببة للنفس، في كثير من الأحيان، يُعلن أحدهم الحب على شخص آخر، ويُبدي به الاهتمام، ويوهمه أنه يفعل ما يفعل بدافع حُبِّه له، واهتمامه به، آخر يدعي أن الخبرة والمعرفة هي الباعث لسلوكه، فيقول لطرفه الآخر: إنني أخبرك بهذا الأمر، لأن لي خبرة طويلة فيه، ولأنني أعرف أفضل منك، عنه.

والإيثار والكرم مظهران يتخفّى خلفهما أحد هؤلاء، مدعيًا أنه يفعل ما يفعل لصالحك، رغم أنه لن يفيدك بشيء، أما الواجب

والمسؤولية فيتذرع بها آخرون، ويُردّد نَفْرٌ منهم أنه يُخبرك، بما يجب عليك فعله، لأن هذا هو بالضبط واجبه تجاهك، ودوره نحوك، ومسئوليته عنك.

إن الجميع بدون استثناء، مُعرّضون للاستغلال، وإن كان هناك فئة من الناس يكونون -كما أسلفنا- أكثر عرضة من غيرهم، للإصابة بهذا الداء، لما ينطوون عليه من صفات، تُغري مستغليهم بالمزيد من استغلالهم، مما يُدكي أهمية العمل على أن يُقيّم الإنسان طبيعته علاقته بمن حوله، لئلا يكون ضحية للاستغلال، أو مقترفاً له، وأن يتعرّف على الأسباب التي قد تُخرّج علاقته عن مسارها الصحيح، ولا يكون ذلك إلا بتغيير ما بنفسه، وتغيير طرائق تفكيره، وسلوكه، لتغدو العلاقات التي يقيمها مع من حوله طبيعية، ومُحقّقة لرضا جميع أطرافها، ما أمكن إلى ذلك سيلاً.



46



هل تمتلك إرادة عيش الحياة  
الفعّالة!!؟



خلال مسيرة حياته يمر الإنسان بمراحل، وأطوار متعددة، ويتغيّر في كل مرحلة تغيّرات تتلاءم وتتناسب مع طبيعة المرحلة التي يمرُّ بها، فينتقل من حالة واقعة إلى حالة منشودة، من واقع عادي إلى حلم مأمول، إنه يُمارس عملية تحوُّل مقصودة، ومستهدفة، للانتقال من واقع يعيشه، ولا يرتضيه، إلى حالة منشودة، يرى أنها الملائمة لحياته، وفيها ما يبتغي من مسرّة، ورضا وسعادة.

والتغيير سنة من سنن الله تعالى التي خلق الكون والإنسان عليها، ومن حكمته جل وعلا أن قدّر تعاقب الليل والنهار، وتغيّر الفصول، والأجواء، والإمكانيات، والرغبات، والأهواء، والحاجات، والأذواق، والأمزجة، والرغبات، وبالمثل تغيّر الطموحات، والأهداف، والنوايا، والأحلام، والأمني، إلى غير ذلك مما تحفّل به الحياة، وما يمسّ جوهر حياة الأحياء، وفي ذلك عبرة، وعظة للإنسان حتى لا يركن إلى حالة الجمود، والدّعة، والخمول، والكسل، وكآبة الانعزال.

إن التغيير في وقتنا الحاضر يُعدّ هو الحقيقة الثابتة في هذه الحياة، وهو السبيل المضمون، بإذن الله تعالى، إلى تحقيق التطور، والنجاح، والنمو، والتقدم، والوصول إلى آفاق جديدة، ومجالات رحبة، وما فيه تعبير جاد عن إرادة الحياة الفاعلة، المتفاعلة.

التغيير في هذا العصر ليس هاجساً فردياً فقط، وإنما هو مطلب للجميع، الأمم، والدول، والشركات عابرة القارات، والمؤسسات، والشركات الكبرى، والجماعات، والأحزاب، والطوائف، والمنظمات، والنوادي، والجمعيات، وغير ذلك من الأفراد، والجماعات، الذين

تسمو أنفسهم، وتتوق إلى تحقيق أهداف كبيرة، وأعمال رفيعة المستوى، كلهم يمارسون التغيير، يتسابقون إلى إحداث التغييرات الحقيقية بين صفوف المنتمين إليهم، والتابعين لهم، والمنفعيين مما يخصهم من منتجات، وخدمات، والمؤيدين لتوجهاتهم، والمشاركين في جوانب حياتهم المختلفة، وأنظمتهم، وشؤونهم، واستراتيجياتهم، وخططهم، وسياساتهم، وإجراءاتهم، لنيل قصب السبق في شتى المجالات، ولتحقيق الأهداف المبتغاة في شتى أوجه الحياة، والفوز بالمكاسب المادية، والمعنوية المرغوبة، وتحقيق الأهداف المحددة على أجندة العمر، والمنتظرة في ميادين الفعل الخلاق.

إن الإنسان هو الأكثر عرضة لمظاهر التغيير، وبوادره، وجوانبه، وهو محتاج إلى التغيير الإيجابي، كحاجته إلى استنشاق الهواء، إنه بحاجة إليه لكي يوصله إلى الأفضل، والأكمل، في نسخته البشرية، لكنه في نفس الوقت يُعدُّ الأصعب استجابة له، نظراً لحساسيته، ودقة تكوينه، وتشعب علاقاته، غير أنه من كرم الله تعالى على الإنسان أن جعل سعيه لتغيير بعض الجوانب التي لا يرتضيها بحياته أمراً ممكناً، في كل حين وأوان، ولكل أحد من بني الإنسان، وذلك عندما يجتهد فيغيّر اتجاهاته العقلية، ومواقفه الذهنية. قال تعالى: إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

إن الطموحون، والمتقنون، والمتعلمون، بصفة عامة، أكثر استعداداً للتعرض لبروق التغيير، وانعكاساته، من غيرهم، ممن لا يملكون هذا النوع من المواهب، والخبرات، والمؤهلات.

ويُمْكِنُ أن يَشْمُلَ التَّغْيِيرُ كلَّ جوانبِ حياة المرء، سواءً منها الروحية، أو الجسدية، المادية، أو المعنوية، مشاعره، وأحاسيسه، علاقاته، عاداته، وتقاليده، وكثيرٌ من جوانب حياته.

إن التَّغْيِيرَ السَّريعَ في المَجْتَمَعِ له وجهان، أحدهما مُخيفٌ لأولئك الذين يجدون صعوبةً في التَّكْيُفِ مع كلِّ جديدٍ، ومتطوِّرٍ، ومختلِّفٍ، أما الآخر فهو مُفْرِحٌ بالنسبة إلى أصحاب الأفكار المبتكرة، من المغامرين، وعشاق الحياة، الذين يجدون في التَّغْيِيرِ فرصةً للنجاح، واكتشاف طرق جديدة لتحقيق أحلامهم، وطموحاتهم، وتطلعاتهم.

إن الأهداف المثلى للإنسان المسلم من التَّغْيِيرِ تتمثل في إرضاء الله جل وعلا ودخول الجنة، حمل الرسالة المحمدية إلى البشرية، العيش بحرية، موفور الكرامة، رافع الرأس، الفوز برضا الوالدين، الاستمتاع بصلاح الزوجة، والأولاد، عمارة الأرض بالخير، إرضاء الناس فيما ليس فيه إغضاب للخالق جل وعلا، إثبات النفس بالتفوق في كل ميادين الفعل الإنساني المثمر، أن يكون ناجحاً، متفوقاً، بارزاً، سعيداً، غنياً، وجيهاً، متعلماً، حائزاً على منصب مرموق، محصلاً لمجد وشهرة يشار إليهما بالبنان، سليماً من كل عاهة أخلاقية أو خلقية تحطُّ من مكانته، وتضعف إنسانيته، وتُدني قدره.

وهو يجد الإنسان نفسه متلبِّسة بالحاجة إلى ممارسة التَّغْيِيرِ الإيجابي الفعّال عندما يشعر بضعف في علاقته بالله جل وعلا، وبرغبة في الأوبة إلى حماه جل وعز، ويصل من خلاله إلى تحسين علاقته بالله جل وعلا، ومحاولة نيل رضاه، والفوز بجنته، جنة النعيم،

إنه يحتاجه عندما ينتاب الفتور علاقته بوالديه، أو زوجته، أو أولاده، أو إخواته وإخوانه، أو أقاربه وجيرانه، أو أصدقائه، أو زملائه وأقرانه ومعارفه، والمتعاملين معه، عندما يشعر بأنه لم يُحَقِّق ما يُرْجى من مثله تحقيقه، سواء في تعليمه، أو عمله الخاص، أو العام، أو المكتسبات المادية، والمعنوية، أو غير ذلك مما يُعَدُّ تحقيقه حُلماً له، ولغيره من بني البشر.

والتغيير لكل إنسان، مسلماً كان أم غير مسلم، لا يكون فاعلاً إن لم ينطلق من مبررات صحيحة، ومقنعة، كالعودة إلى الله تعالى، أو إثبات الذات، وتحقيق الطموحات، والأهداف، والأمانى التي تتوق إلى تحقيقها النفس، أو رفع الكفاءة، والقدرات لفعل الأشياء، أو تعلُّم مهارات جديدة تُثري الحياة، وتجعل الإنسان أكثر فاعلية، وإنتاجاً، وسعادة، وقدرة على مواكبة التقدم الحاصل، والعمل بطرق غير اعتيادية، ولا تقليدية، في زمن تتجدد فيه المعلومات، في كل جزء من الثانية، في شتى المجالات، وتنزل إلى الأسواق بالمثل أفكار، وأجهزة، وآراء تُجبرُّ الإنسان على التغيير، والمواكبة، والتعايش مع كل جديد، والقضاء على الملل، ورتابة رتم الحياة، فالنفس إذا كلَّت عميَّت، والماء الراكد يتعفن، كما يقال، وتحقيق طلبات الآخرين، ممن تربطهم بالإنسان علاقة قربي، أو صداقة، أو زمالة، أو غير ذلك من العلاقات التي أصبحت كثيرة، وتزداد يوماً بعد يوم فرص التعاقد لربطها، وتوثيقها، وتجديرها، في مجريات الحياة.

يحتاج المرء للتغيير عندما يُحس بأن الأهداف الموضوعية لحياة أسرته لم يتم تحقيقها، يحتاجه العامل، أو الموظف لإعادة ترتيب أوراق

علاقاته، وأوضاعه في مقر عمله، ومع رؤسائه وزملائه، يحتاجه رب العمل، لتحصيل مزيد من الإنتاجية من عمّاله، وموظفيه، وبالتالي الحصول على أرباح أعلى، ومكاسب أكبر لمؤسسته، أو شركته، أو مكان عمله، ويحتاجه المجتمع بشكل عام، بكل وحداته، وقطاعاته، ومؤسساته، وتنظيماته، للنهوض من كبواته والتغلب على عثراته، كما تحتاجه الأمة عندما تجد نفسها مقارنة بمثيلاتها متأخرة عن ركب التقدم المادي، أو الأخلاقي، ومتخلفة في قيمها، أو سلوكياتها، أو نظمها، أو مكتسباتها.

والتغيير قد يكون بمحض إختيار الإنسان، ورغبته، وإرادته، بعد مشيئة الله تعالى، وفي أحيان آخر لا يكون إختيارياً، وإنما مفروض فرضاً، والكوارث، والمآسي التي قد يتعرض لها الإنسان تُعتبر من الدوافع التي قد تدفع به إلى دوائر التغيير.

يحتاجه الزوج، ورب الأسرة عندما تسوء علاقته بزوجته، أو أولاده، أو بهم جميعاً، أو عندما يُريد الإرتقاء بعلاقته بهم إلى آفاق أرحب، وأماد أوسع، تحتاجه الزوجة عندما تجتاح الرتابة، والاعتيادية تلك العلاقة المقدسة التي تربطها بشريك حياتها، عندما تفتقد لوهج الحب، ودفء الحنان، وروعة المودة، والإلفة، والتقارب، والعاطفة، يحتاجه الإبن كما يحتاجه البنت، للإرتقاء بعلاقتها مع والديهما، ليصلا إلى درجة البرّ المنشودة.

ينتقل أحدهم من حياة العزوبة إلى حياة الزوجية فيُفضي به ذلك إلى تغيير بعض، أو الكثير من جوانب حياته، وأنماط سلوكه، ويؤمن الله تعالى عليه بشئ من الولد فيجد أن أشياء جديدة واهتمامات

لم تكن في دائرة اهتماماته، وتأثيره بدأت تتسلل إلى حياته، فتُحدث فيها أحوال متباينة، بعضها محمود، وأخرى مذمومة، بعضها مرغوب، وأخرى مرفوضة.

تُقرّر الإدارة التي بها يعمل أحدهم، إدخال بعض الوسائل التقنية، أو التنظيمية، أو الإدارية، للمساعدة في إتمام الأعمال الموكلة بها، وتحسين الأداء فيها، أو تتم ترقية موظف إلى وظيفة جديدة، أو منصّب جديد، أو يتم نقله إلى موقع عمل آخر، فيصّبّح من الضروري عليه أن يتأقلم مع الظروف والعادات الجديدة، فيتغيّر وفقاً لما يُمكنه من استيعاب المهارات التي بواسطتها يستطيع الانتفاع من هذه الآلة، أو تلك الوسيلة، حتى يتسنى له الإبقاء على فرصته الوظيفية، والاستفادة من تجربته، وخبرته.

عندما تتدهور صحته يضطر الإنسان إلى تغيير أساليب أكله، وشربه، ونومه، وحركته، وسكونه، فيقلّ من الأكل، ويزيد من شرب المياه، ويمارس التمارين الخفيفة، أو الشاقة، بأمل أن تعود إليه العافية التي فقد، ويرتد إليه نشاطه الذي حُرّم منه، وتفعمه من جديد الحيوية، والصحة التي إليها يتطلّع، وعندما يفشل في تربية أحد أولاده، تجده حائراً في أمره، منهمكاً في تنفيذ كثير من الإجراءات التي ربما لم يعتد تنفيذها، لإعانة ولده على تحقيق أهدافه، وإبعاد نفسه عن شبح الهَمِّ، والحزّن.

ويتغير عمل الأب، أو الأم، مثلاً، ثم لا يكون للأبناء والبنات غير البالغين سن الرشد فرصة الاختيار بين العيش في البيئة التي ولدوا،



وتربوا، وأفوا الحياة فيها، وبين الانتقال إلى منطقة أخرى، مما قد يكون سبباً لتغيير كامل في مسارات حياتهم، وربما في أخلاقياتهم، وممارساتهم.

إن تغيير النفس البشرية، وما اعتادت عليه من عادات، أمرٌ يُعدّ من أصعب أنواع التغيير، ومن غير المُمكن لأحدنا تغيير إنسان بدون رغبته الحقيقية في التغيير، حتى وإن استخدمنا معه الترهيب، والعنف، والإكراه، أو الترغيب، والتشجيع، والتكريم، إذ لا بد أن يكون الإنسان صادقاً مع نفسه، عازماً، وغير متردد، لا بد أن تكون الرغبة في التغيير نابعة من قرارة نفسه، ولا بد في ذات الوقت أن يعمل بكل ما أوتي من قوة على الدوام، لتحقيق رغباته، فيُجاهد نفسه الميالة إلى حُب الدنيا، والنعيم، وكراهية الموت، يُجاهد أهوائه، ورغباته التي لا يحدها حد، ولا يمنعها حائل، يُجاهد شياطين الإنس، والجن، الذين يُزيّنون له السهل، ويُخيفونه من الصعب، الذين يُشجعونه على ارتكاب المعصية، ويُهونونها في نظره لأن الله تعالى غفور رحيم، ولا يُناصحونه ولا يُذكرونه بأن الله تعالى شديد العقاب، ذي الطول.

إن التغيير الحقيقي، بالرغم من أهميته، والحاجة إليه، إلا أن الوصول إليه أمراً ليس يسيراً، إلا لمن يسره الله تعالى له، وذلك بكل بساطه لأنه يحتاج إلى همة عالية، وإرادة جادة، قوية، وقدرة كبيرة على الالتزام، التغيير إلى الأفضل ليس درباً مفروشاً بورود، من دون أشواك، لكنه مُحاطٌ بمجاهدة النفس، والعمل الدءوب، وصُحبة الصالحين، والأخيار، ومجالسة النجباء المتفوقين، والناجحين، والالتزام الجماعة، والتخطيط للحاضر، والمستقبل، وتحديد الأهداف بدقّة،

والعمل المخلص، بشكل مستمر، والاستفادة من تجارب الآخرين، اللذين سبقونا، والتعلم منهم، كل ذلك، وغيره من السياسات، والإجراءات، والاستراتيجيات التي تجعله مُمكنًا، وتُعتبر مما يُساعد على إنجاز التغيير المطلوب، وتحقيق الأهداف المرتجاة، بأقل التكاليف، والخسائر المُمكنة، وهذا بالطبع مع التوكل على الله تعالى، حق التوكل، والدعاء، والرجاء المُخلص، ممن بيده العطاء، والمنع، سبحانه جلّ في علاه.

إن التغيير لا يتحقق لأحد في الغالب الأعم، إلا بعد أن تعتُمّل في نفسه بعض التساؤلات الهامة، والجادة، التي يسألها بُغية أن تنقله من واقعه الذي يعيش فيه، إلى الحلم الذي يحلم أن يحققه، ولا تغيير من دون مصاعب، ولا وصول للمستحيل من غير بذلٍّ لأقصى المُمكن، من الجهود في كثير من الأحيان، ولا مكان عند قاصد المعالي لندم، طالما يعلمّ بسلامة أهدافه، وحُسن ما تنطوي عليه مقاصده، والمثبّطات كثيرة عند كل متطلّب للتغيير، لكن المطلوب منه التعالي عليها، والتسامي فوقها، لأنه عندما سيحصد النجاح الحقيقي، سينسى تلك المعاناة، بل وسيتعلمّ منه هو، ومن كان في طريقه يقف.

إن من الحقائق المرتبطة بالتغيير، تلك التي تؤكد على أنه ليس بمقدور أحد إقناع شخص آخر بأن يتغير، فكل منا يقوم بحراسة بوابة التغيير الخاصة به، والتي لا يُمكن أن تُفتح أبوابها، إلا من الداخل، ولا نستطيع فتح بواباته المُطلقة، بالمجادلة، ولا بمبدأ الحق، أو اللباقة، أو المناشدة العاطفية، ولا بالنصيحة، ولا حتى بالقدوة، ولا يستطيع المرء إكراه الآخرين على التغيير، ما لم يقرروا هم ذلك، مهما كان قربهم منه، ومهما كانت صلته بهم، ومهما كان إحسانهم للظن به، لا يستطيع

الأب إلزام ابنه بطاعته، أو بتمثُّل سلوكٍ معين، أو دراسة تخصص معين، أو التحلي بقيم، ومُثُل، ومبادئ معينة، ولا يستطيع الزوج تغيير بعض القيم، والسلوكيات التي وجدها مغروسة في حنايا زوجته، ما لم يكن لديها إرادة، ومنهجية للتغيير، وهكذا، بالنسبة للصديق، والرفيق، والرئيس، والمرءوس، وغيرهم، لا يستطيع أي منهم تغيير الطرف الآخر في العلاقة به، إذا لم يكن لدى ذلك الآخر رغبة عارمة في التغيير، وإذا لم يتخذ زمام المبادرة، للتفاعل مع متطلبات التغيير، وواجباته، وشروطه، والتزاماته، ومعوّقاته، ولو كان ذلك ممكناً لأحد، لكان ممكناً لسيد البشرية، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي لم يستطع هداية أقرب الناس إليه، بالرغم من شدة توقه، وحرصه، واهتمامه، وهم بعض أعمامه، وأقربائه، حينما لم يمتن الله تعالى عليهم بالهداية، وبرغم حُزنه الشديد صلوات ربي وسلامه عليه، لذلك، وبالرغم من الهمّ الذي حلَّ به من جراء ذلك.

بمعنى أن التغيير الحقيقي الذي يثبت في الواقع، ويصمد في وجه أعتى التحديات، هو الذي ينبثق فقط من داخل نفس الإنسان، وينبع من أعماق وجدانه، وصدق الحق تبارك وتعالى حين قال: ﴿إِن اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

ومع ذلك وبالرغم منه يمكن للإنسان تمهيد الطريق، أو الطرق للآخرين، حتى تُصبِح أقل مشقة، وأيسر عناءً، للوصول إلى التغيير الجاد، يُمكنه حفزهم على التغيير، وحثهم على القيام به، كما يُمكنه إيجاد بيئة مناسبة، تُساعد من حوله على إنجاز هذا الأمل المنشود، ودفعهم إلى السير قدماً في الدروب الموصلة إليه، يُمكنه دفعهم إلى

اتخاذ قرار بالقيام به، وحضهم على بذل الجهود غير الاعتيادية اللازمة لتحصيل نتائج الإيجابية، يُمكنه التعليم، والتوجيه، حتى يكتسب الإنسان قدرة متميزة على سبر أغوار نفسه، وتحديد نقاط قوته وضعفه، وجوانب تفوقه، وتخلُّفه، حتى يكتسب المهارات التي يُمكنه من خلالها تحديد الجوانب التي تحتاج في حياته إلى تغيير، ودرجة التغيير المطلوبة، وأبعادها، وسبل تحقيقها، يُمكنه تنبيههم إلى القواعد واجبة الاتِّباع للتغيير، والمعوقات، والمنتبِّطات التي قد تعترض طريقه .

ويؤكد ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم استمر طيلة بقائه بمكة المكرمة بعد البعثة الشريفة، وخلال ثلاث عشرة سنة يُرسِّخ العقيدة الجديدة في أنفُس أتباعه، ثم واصل الجهد صلوات ربي وسلامه عليه بعد انتقاله إلى المدينة المنورة وحتى وفاته صلى الله عليه وسلم، إلى أن حقق الله له ما أراد، وأنشأ تلك الأمة العظيمة التي لم يسعد التاريخ بمثلها، وستظل قدوة للمقتدين، بينما لو أراد الإنسان تشييد بناء، أو شراء وسيلة، أو إنشاء مشروع، أو تحقيق غير ذلك من الأشياء المادية لما استغرق بناء ذلك كبير وقت، ولا بذل من أجله كثير عناء.

إن التغيير أمر نسبي، يختلف من إنسان إلى آخر، طبقاً لدينه، وقيمه، ومثله، وعاداته، وتقاليده، وحاجاته، وتوقعاته، وبعض أوجه التغيير غير مرغوب فيه، بل قد يكون مذموماً من قِبَل البعض، وهذا لا يعنينا، إنما الذي يعنينا هو التغيير الإيجابي، الذي يُذكي إنسانية الإنسان، الذي يؤصِّل في أفعاله وأقواله حقائق الدين الإسلامي الحنيف، الذي قد يوصله بإذن الله تعالى إلى النعيم الأبدي، والخير

الدائم، والبرّ الوفير، والثّقَى، والنجاح، والفلاح، والسعادة، والصلاح في الدارين، التغيير الذي يعنينا هو التغيير الذي يبني، ولا يهدّم، الذي يُطوّر، ويُعمّر، ولا يُدمّر، الذي يبني النفوس، ويزكيها، ويرتقي بالإنسان، والمادة، والأشياء، وكل ما خلق الله تعالى في هذا الكون الفسيح والعجيب.

ولإنجاز التغيير بالشكل المطلوب، لا بد من التزود بالأهداف، والاستراتيجيات، والسياسات، والخُطط، والبرامج اللازمة لتحقيقه، وبدونها تغدو المُهمة صعبة جداً، وربما تكون مستحيلة، ومن المهم جداً وضعها موضع التطبيق، ومراجعتها، من آن إلى آخر، وإجراء التعديلات اللازمة عليها، إلى أن يصل لمبتغاه، فالذي لا يعرف الطريق الراغب في الذهاب إليه لن يصل، والمُسْتعجّل لن يُحقّق ما يُريد، وفق ما يريد، ومن المهم أيضاً محاسبة النفس في كل الأحوال، وفي كل الأوقات، فبذلك حري أن يتمكن الإنسان من إعداد الجواب الصحيح لكل سؤال، قد يتلقّاه، في يوم غير بعيد، وذلك استجابة للأثر الطيب للخليفة الراشد المُسدّد الفاروق/ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا".

إن اتخاذ القرار بالتغيُّر في هذا الأمر، أو ذاك، قوة غير اعتيادية، لا يوفّق إليها الكثيرون منا، لأنها ليست كلاماً فقط، وإنما تحتاج من الإنسان إلى أن يتبع القول بالعمل، وهذا هو مفرّق التحدي، فكثير ما يُقرّر أحدهم أنه سيتغيّر، لكنه ينكص على عقبيه، وربما تزلّ قدمه، وهو ما يزال في أول الدرب، ومبتدأ المشوار.

إن التغيير الذي يطمع المرء في تحقيقه، هو ذاك الذي تتطابق فيه أقوالنا، وأفعالنا، مع ما جاء في ديننا الإسلامي الحق، الذي يُسَهِّم في أن نتخلَّى عن هذه الإزدواجية البغيضة، المقيتة، التي من خلالها وسمنا الآخرون بـ "المسلمين بدون إسلام". إنه التغيير الذي يقودنا إلى نقلة حضارية كتلك التي تبدلت معها أحوال العرب الأوائل، عندما خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فتحققت لهم انتصارات العقل، والقلب، والروح، والجسد.

إنه التغيير الذي نتمكَّن من خلاله من حمل مشاعل الخير، والهدى، والتقى، والصلاح، للبشرية جمعاء، في كل أرجاء الدنيا، فننال جميعاً خيري الدنيا، والآخرة، إنه ذلك الحافز على أن لا نعيش لأنفسنا فقط، بل لأنفسنا، ولمن حولنا. هو الذي يُسَهِّم في أن نتخلَّى عن عاداتنا البغيضة، من حقد، وحسد، وكراهية، وعُجْب، وكُبر... إلخ، الذي يُسَهِّم في أن نُعامل الناس بحب واحترام وتقدير ورفق.

إن التغيير أمر ممكن في أي مرحلة من المراحل العمرية للإنسان، ولأي عادة من العادات، أو إتجاه من الاتجاهات، وذلك مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

والطريق إلى التغيير واضحة، لمن مَنَّ الله تعالى عليه بالبصيرة، والرؤية، إذ المؤمن منطلقاته واضحة، وأهدافه محدَّدة، والحلال عنده بيِّن، والحرام بيِّن، فقط يحتاج كلاً منا إلى وقفة للاختيار، يحتاج إلى العزم على اتخاذ القرار المأمول، حتى يُغيِّر الله ما به. يحتاج إلى

الشعور بأهمية أن يكون الإنسان نفسه، وأن يستغل قدراته، ومواهبه، والهبات العظيمة التي منحها الله إياه، وأن يكف عن التقليد الأعمى، وأن يستفيد من حقيقة أنه كائن متفرد، فيُعطي بسخاء، ويُنتج بإخلاص، ويعلم بدون حدود، ولا قيود، إلا ما كان حداً شرعياً، أو نصاً نظامياً.

إن الإنسان الراغب في التغيير لا بد أن يعلم أنه يحتاج لأن يكون التغيير نابعاً من ذاته، وأن ينطلق من تغيير الفكر أولاً، لا بد أن يكون جاداً حتى ينال ما يُحِبُّ، وهو مفرح أن أحد المناهج في مدارسنا تحت على طلب المعالي والتفوق، فهذا النوع من التوجيه والتربية هو ما يبقى مع الانسان، ونحن نحتاج إلى تعلّم فنون حب الحياة، والعيش فيها بفاعلية.

إن الوصول إلى الأفضل والأجمل أرجو أن لا يكون عسيراً على أصحاب الهمم العالية، والنفوس الزكية. والمهم أن نحاول، ونحاول، حتى نصل باذن الله تعالى، لا نياس، ولا نقف أمام العقبات، بل نُشَمِّر عن سواعد الجد، ونطلق الأيدي في العمل، بإخلاص، وتقان، حتى ننال ما نبتغيه، ونخوض لجة اليم.

إن من المهم جداً للإنسان الراغب في التغيير أن يبني صورة ذهنية دقيقة لما يُودُّ أن تكون عليه النهاية، ولما يُودُّ أن يكون عليه الهدف، وأن تكون النتيجة من مشواره نحو التغيير واضحة المعالم، محددة الطريق، بمعنى أن يبدأ المرء مشواره ونقطة النهاية ماثلة في ذهنه، وبهذه الطريقة يُمكن أن يصل وأن ينال مبتغاه، ويسعد، ويحتفل بما حقق.

إنك عندما تحاول إحداث تغيير ما بحياتك، لابد أن تكون عزيمتك قوية، وتنتهز أول لحظة في المبادرة، والعمل، بتلك العزيمة، وعدم السماح بالاستثناءات، وأهم شئ هو الالتزام بالعمل بشكل مخلص، ودءوب.

وتذكّر أنه لا شئ عظيمًا يمكن أن يتحقق لأي إنسان من دون أن يسبقه حلم شيق، خيال واسع، رؤية واضحة، أمل لا حدود له، فالإنسان هو ما يُفكر فيه، وكيانه كله ينبع من أفكاره، ورؤاه، وهو يصنع مستقبله من خلالها، فإذا كانت أفكاره مُشرّقة كان حاضره، ومستقبله، مُشرّقين بإذن الله تعالى، والعكس يتحقق عندما يتلبّس الإنسان بلبوس اليأس، والتشاؤم، والقنوط، عياذا بالله من ذلك.

إنني أوّمن عميق الإيمان بأن الإنسان وحده فقط القادر بعد مشيئة الله تعالى على فتح بوابة قلبه، لإحداث التغيير المطلوب داخل ذاته، وفي حياته، وبكل الإجلال والحب أشجعك أختي الفاضلة، أشجعك أخي الفاضل على فتح بوابة التغيير الإيجابي لديك، إحرص على أن يكون لديك إرادة ضارية، طاقة ذهنية أقوى من الحلم، كن صبوراً مع نفسك، فتمو الذات وتطويرها يتسم بالحساسية، ويحتاج لوقت قد يطول أحياناً، وهي أرض مقدسة لا يمكن العبث بها، وليس هناك استثمار أفضل من الإستثمار في ترقية الذات، وتهذيبها، والتسامي بها عن كل قبيح وشانيء.

كن أنت التغيير الذي ترغب رؤيته في العالم.

ولا تتخلى عن امتلاك إرادة الحياة.

وفقك الله.



47



هل سألت نفسك هذه الأسئلة  
الهامة؟



يُعَدّ تحديد الأهداف سبيلاً مضموناً بعد توفيق الله جل وعلا لإنجاز الأحلام وتحقيق الطموحات، وكلما حقّق الإنسان هدفاً من أهدافه المشروعة أدى ذلك بشكل آلي إلى زيادة نسبة السعادة والرضا عنده، وبالتالي التوق لتحقيق أهداف أخرى والإخلاص في العمل لإنجازها.

والأهداف تكثرُ وتتنوّع، منها ما هو سامٍ ونبيل، ومنها ما هو اعتيادي وبسيط، لكن كلاً يدّعي أن لها أهمية عنده حتى وإن كان يراها الآخرون جد متواضعة، وربما تافهة، وضحلة.

قد يكون أهمها بالنسبة لأحدنا رضا الله جلّت قدرته، ودخول الجنة، والدعوة إلى الله، ونصرة الإسلام، والمسلمين، أمور مهمة يتمنى لو كان له فيها طول باع، لأن فيها ما يُفيد ويبقى في الأرض، وينفع الدين، والأمة بأسرها، إضافة إلى الشخص المعني.

وقد يكون منها تحقيق رضا الوالدين، جزاهما الله عنا خير الجزاء، ورحمهما كما ربونا صغاراً، ورعاية الزوجة والأولاد، والسعادة بهم مطمح مهم، بالنسبة لغالبية الناس، وكذا التعامل بتقدير واحترام، مع الأقارب، والجيران، والناس بشكل عام.

في الناحية العلمية قد يتمنى الإنسان المسلم أن يحفظ القرآن الكريم، وأن يتفقه في الدين بشكل متميّز، وأن يقرأ ما يُساعد على جعل الحياة حباً مستديماً، ونفعاً بيئياً، وأن يكتب ما يبث في قلوب الناس الفرح، والمسرة، ويترك أثراً طيباً، يستفيد منه الناس.

وفي مجال العمل قد يريد المرء أن يعمل ما يُحب، وأن يكون ذلك في جو من الإخاء، والمحبة، والتعاون، والإخلاص، والتفاني، ووفق

ضوابط واضحة، ومحدّدة، وتنطبّق على الجميع، وقد لا يهتمُّ بأن يكون قيادياً، المهمُّ أن يكون نافعاً لله تعالى، ثم للدين، والناس.

قد يهمله أن تكون صحته الذهنية، والجسدية جيدة، وأن يكون لديه وفرة معقولة من المال، تساعد بعون الله تعالى على تحقيق أهدافه المشروعة، وتقديم العون المناسب للآخرين، القريبين حوله، والبعيد.

وهكذا أهداف، قد تكون بسيطة وعامة لإنسان عادي جداً، لكن المشكّل أنه بالرغم من تواضعها، واعتياديتها، إلا أنه قد لا يتمكّن من إنجاز الكثير منها، أو بعضها.

ولقد أظهرت الدراسات، والبحوث، والنتائج التي توصل إليها بعض المهتمين، والباحثين، أن أول شرط ليعيش الإنسان في سعادة دائمة أن تكون حياته مليئة بالغايات الكبيرة، وأن يهدف دائماً إلى تحقيق أشياء خارج حدود ذاته.

يقول رالف و.امرسون: إن العالم يُفسح الطريق للمرء الذي يعرف إلى أين هو ذاهب.

أما روبرت شولر فيقول: ليست الأهداف ضرورية لتحفيزنا فقط، بل هي أساسية فعلاً لبقائنا على قيد الحياة.

ولقد اتضح أن لتحديد الأهداف فوائد منها على سبيل المثال

ما يلي:

- أنه يُتاح للإنسان التحكّم في مصير حياته، فهو يعرف إلى أين

هو ذاهب؟ وماذا يريد من الحياة؟

- زيادة الثقة بالنفس، والقدرة على تحقيق النجاحات المطلوبة.
- تنامي الإيمان بقدرات الإنسان، ومهاراته، وإمكانياته، كلما حقق هدفاً جديداً، وبالتالي ينمو في داخله حب ذاته، وحب الحياة.
- أن يكون للإنسان القدرة على السيطرة على وقته، فهو يمشي وفق برامج واضحة ومحددة.
- تحسُّن مستوى الحياة لدى الإنسان، نتيجة لما يُحقِّقه من إنجازات، مادية، ومعنوية، وبالتالي يشعُر بالرضا، والسعادة.
- التمكن من بلوغ ما يتمناه الإنسان.

يقيناً أن هناك أهداف، وفوائد، ونتائج إيجابية أخرى، لكن يظل السؤال المهم هو كيف يتم تحقيق هذا؟ كيف يرسم الإنسان ويحدّد أهدافه؟

هنا بعض الخطوات التي قد تُساعد على الإجابة على هذا التساؤل الهام:-

.. اجلس في مكان هادئ حسبما يتوافق مع ميولك، ورغباتك، سواء على شط بحر، أو في خميلة غناء، أو خيمة ظليلة بالبرّ، أو في بستان، أو حديقة، أو خلاف ذلك، بالمنزل، أو خارجه، المهم أن يكون هدف الجلسة عصف ذهنك، لمعرفة آمالك، وطموحاتك، وأهدافك، التي تريد تحقيقها في السنة القادمة، أو في السنوات المحددة، وقم كتابةً بتحديد ما لتشمل كل جوانب حياتك، واهتماماتك، سواء منها ما يتعلق بالجانب التعبدي والروحي،

أو الجسدي، أو العائلي، أو العملي، أو المالي، أو غير ذلك مما يسترعي انتباهك، ويجتذب ميولك، ويتناسب مع قدراتك، المهم أن تحلم بما يطيّب لك تحقيقه، مما شرعه الله تعالى لأمثالك، وأن تتذكّر أن لكل أهدافه، وألوياته الخاصة، فما تتمنى تحقيقه ليس بالضرورة ما يهمني، أو غيري، وهكذا.

.. قم بتحديد الأهداف حسب أهميتها، حدّد الأهم منها، فالمهم، اعط أهمها رقماً أو رمزاً وليكن (١) أو (أ) للهدف الأهم، وهكذا بالنسبة للأهداف الأخرى حسب موقعها من الأهمية والألوية.

.. صنّف أهدافك، وذلك بتقسيمها حسب طبيعتها، فالتّي تؤثّق العلاقة بالله تعالى توضع معاً، والتي تزيد من الارتباط بالأسرة تأتي بعد ذلك، والخاصة بالعمل توضع في بند مستقل، وهكذا ما يتصل بالحفاظ على صحة الجسد، وسلامته، أو تنمية الذات، والقدرات، أو زيادة المال، أو الدعوة إلى الله... إلخ، المهم مراعاة التوازن بينها بحيث لا يطفئ مجال على مجال.

.. قم بإعداد قائمة أعمال يومية، وحدّد فيها الأعمال التي يجب عليك إنجازها كي تحقق أهدافك ذات الأولوية العالية.

وهذه الخطوة يمكّن تنفيذها قبل النوم، لأن ذلك يُتيح للعقل الباطن لدى الإنسان فرصة التفكير فيما عساه يُساعده لإنجاز المطلوب.

.. قم بالتنفيذ دون تراخٍ، أو كللٍ، أو ملل، فالتنفيذ وحده مع التوكل على الله تعالى كفيلاً بأن يساعدا الإنسان على إنجاز أهدافه،

وبدون ذلك يضيع العمر هباءً، وتذهب الخطط والجهود سُدىً، ولا يتحقق المطلوب. إن من المهم هنا التذكير بالحديث الشريف لنبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: "قليل دائم، خير من كثير منقطع"، والتذكير أيضاً بالحكمة الخالدة: "من جَدَّ وجَدَّ، ومن زرع حصد، ومن مشى على الطريق وصل".

.. تذكر أن لا تكون ممن عناهم القائل بقوله: لا تكن كمن يقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، فإن أُعطي منها لم يشبع، وإن مُنِع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أُوتي، وبيتغي الزيادة فيما بقي، وينهى الناس ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، ويحب الصالحين، ولا يعمل بعملهم، ويبغض الطالحين، وهو منهم.

ولا تنس أن تسأل نفسك هذه الأسئلة:

.. ماذا أريد أن أكون؟

.. ما هي نقاط القوة التي أريد أن تكون في شخصيتي؟

.. ما هي نقاط الضعف التي لا أريد أن تكون في شخصيتي؟

.. ما هي الخُصال التي أريد تطويرها؟

.. ماذا أريد أن أفعل وأنجز في المساحة الزمنية المتبقية من عمري؟

.. ما هي الإسهامات التي أريد تقديمها لأسرتي، وأهلي، ومجتمعي، وأمتي، وديني؟

.. ما هي القيم والمبادئ التي أريد ممارستها في حياتي؟

ثم ضع هذه التساؤلات موضع التنفيذ، والاجابة عليها بأمانة  
وصدق، واشرع في العمل الجاد المخلص، لتنفيذ ما تستطيع منها.

وفقني الله واياكم جميعاً لكل خير



48



هنا آخر الشوط!!



تعني هذه المقولة أنه لا يُمكن أن يُحمّل الإنسان مسؤولية تصرفاته لشخص آخر.. غير أن بعض الناس إذا تطلّب الأمر منهم تحديد مسؤولية فشلٍ ما، ألقى باللائمة على أحد معاونيه أو مساعديه، وآخرين يتحملون المسؤولية الكاملة عما يجري في نطاق أعمالهم، ودوائر اهتماماتهم ونفوذهم، ويدفعون الثمن، وإن كان غالياً، بكل شجاعة، وأريحية، تقتضيها المواقف الحازمة، وتُحثُّ عليها أسس التعامل، والقيادة الرشيدتين.

لا يُحمّلون مسؤولية تصرفاتهم وقراراتهم غيرهم، ولا يضعون لائمة إخفاقاتهم وأخطائهم على كاهل أشخاص آخرين، ويعارضون كل جهود مناقفة، لتحويلها إلى جهات، وأشخاص آخرين، وتبرئة ساحاتهم منها.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: متى نجد حولنا من يُردّد عند ارتكاب خطأ من الأخطاء عبارة: هنا آخر الشوط!؟

بمعنى أنه لا يُحمّل مسؤولية تصرفاته شخصاً آخر، أو أشخاص آخرين؟!

إن المسؤولية تُعرّف بأنها: أن يفعل الإنسان ما يقول، وأن يدرك أن عليه الالتزام بواجبات، مثلما له حقوق، وأن يتحمّل نتيجة أفعاله، وأن يُقرّ بتأثيره ودوره، في أي ظروف يُوضع فيها، وهي تعني أن يعترف بتحمّل عواقب، ونتائج أقواله، وأفعاله، وأن يكون مسئولاً عن سلوكه، مهما كانت عواقبه.

المسؤولية لا تعني اللوم، إذ هو مقترن بالخطأ، بل تُشير إلى

تحمل أعباء السلطة، وتحدث في النفس شعوراً بالارتياح، والثقة.. بينما ينطوي اللوم على معاني الإحساس بالذنب، ومشاعر سلبية أخرى. فكروا معي، ولنتساءل جميعاً: متى نجد حولنا من يُردد عند ارتكاب خطأ من الأخطاء عبارة: هنا آخر الشوط؟!

49



واحد، شایف نفسه!



بعض الناس لديهم شعور زائف، ومتوهم، وفي غير محلّه، بالمكانة، والاستحقاق، وهذا الشعور يعمل كستار من دخان، يحجب وراءه شعوراً حقيقياً بعدم الرضا عن النفس، وعدم الثقة فيها، ويُعبّر أبلغ تعبير عن نقص الإنجاز، وعدم القدرة على العطاء، في رحلة الحياة المذهلة، وعدم القدرة على العيش بحُب، وسلام، ووثام.

هذا موظف في إحدى مؤسسات القطاع العام، أو الخاص، لا يواظب على الحضور في الأوقات المحددة لعمله، وإذا حضر لا يُخلّص في أداء واجباته، بل يتركه، ويضيع أوقاته في القيل، والقال، والغيبة، والنميمة، وإشغال زملائه بالأحاديث التافهة، التي لا تمت للعمل بصلة، ونقل الشائعات المغرّضة التي تُفرّق، ولا تُجمّع، وترويج الأباطيل الهادفة إلى الإساءة إلى الآخرين، وتضخيم أخطائهم، والتهوين من شأنهم، وشحن الأنفس بكل ما هو كاذب، وزائف، ومُضلل، إنه يترك عمله، ويضيع أوقاته، في قراءة الأخبار الفنية، والرياضية في الجرائد، والمجلات، وتصفح مواقع الانترنت، التي لا تُثري فكراً، ولا تُهدّب وجداناً، وإنما هي تُهيّج الشهوة، وتُحرّض على اقتراف الخطيئة، وتُحبّب اقتراف المعصية، يترك عمله، ويضيع أوقاته في تناول الأطعمة، والمشروبات، واستخدام مقدرات العمل، وإمكانياته، من هاتف، وفاكس، وجهاز كمبيوتر، وأدوات مكتبية، وقرطاسية، وما شابهها، للأغراض الخاصة، وبما ليس له صلة بالعمل، من قريب، أو بعيد، ثم بعد ذلك لا يُكف عن التذمّر من سوء معاملة الإدارة له، ولا من هضمهم لحقوقه، ولا من حرمانهم له، من المكافآت، والعلاوات، والترقيات، والحوافز، المادي منها، والمعنوي، وبصّلف لا يُحسّد عليه، يملأ الأرض ضجيجاً،

ونحياً، وعويلاً، عندما يسمع عن ترقّي زميل من زملائه، أو حصوله على دورة تدريبية، في الداخل، أو الخارج، ولا يُكف عن التساؤل، ماذا عني أنا؟! لماذا أُعطي الآخرون، وحُرمت أنا؟!، متناسياً أنهم يعملون، وهو ملتحي بتوجيه النقد اللاذع للآخرين!

وهذا طالبٌ ضعيف الإمكانيات، واهن القدرات، غير قادر على، ولا راغب في الانتباه أثناء شرح معلميه للدروس، ولا راغب في حلّ واجباته، عندما يعود إلى منزله، ولا قادر على الأداء الجيد في الاختبارات، لكنه في نفس الوقت يُحاولُ تمثُّل ما ليس بحق له بين أصحاب الأداء المتميز، ويُلقى بلائمة فشله، وتقصيره على تسلُّط أساتذته، أو أنانية زملائه، أو الاثنين معاً، وينسى أن تقاعسه عن أداء الواجب هو السبب الرئيس لما آل إليه حاله، متناسٍ أن ما جنى عليه سوى عزوفه عن التلبُّس بالجد، وعدم الإخلاص في العمل.

وهذا مريض لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، وتشاء قدرة الله تعالى أن يتعرّض لحالة إسعافية، ثم يتم نقله إلى أقرب مستشفى خاص لإنقاذ حياته، وعندما يتمثل للإفاقة، يبدأ بالمطالبة بأفضل الخدمات التمريضية، والسريرية، غير أنه بحقيقة خلو جيبه من ثمن الفاتورة، وعندما تتخذ إدارة المستشفى إجراء احترازياً لضمان حقوقها، يتهم القائمين على المستشفى بالتعدي على حرّيته، والجشع، والطمع، والأنانية، وانعدام الضمير والإنسانية. ينسى الإحسان، ويتناسى المعروف، ويتذكر ما يعتقد له، ولا يتذكر ما يجب عليه.

وهذا متهم في قضية نصب، واحتيال، وتزوير، واستيلاء على



أموال الناس، وأكل حقوقهم بالباطل، وقل ما شئت عن ارتكابه لعدد من الجرائم والمخالفات للأنظمة، واللوائح والتعليمات، لكنك عندما تواجهه كمحقق بعيوبه، وأخطائه، وجرائمه، يُلقِّي باللائمة عليك، ويتهمك بالتجني عليه، ومجانبة الحق بالوقوف ضده، وإذا حاولت محاورة عقله من خلال عرض الأدلة، وبسط القرائن، والمؤشرات، ومواجهته بالحجج الدامغة، والبراهين الساطعة حول خطئه، راح يكيل لك سيلاً من الأكاذيب الباطلة، لتبرير مواقفه، وتزويق أفعاله، ويخترع عدداً من القصص غير الواقعية، لمحاولة تضليلك، وتشثيت جهودك، تهرباً من تحمُّل المسؤولية، وإلقاءً بثقلها على كواهل الآخرين، يُهمِّمك بأن ما لديك ضده من أدلة ومستندات مزيفة، ومزورة، وغير حقيقية، ولا يهتم إن قال المختصون أنها غير ذلك، ويصّر إصرار الوثائق أن شهود الحال ضده مغرّضون، وأن فهمك للأنظمة والتعليمات مغلوطاً، وعقيماً، يُهمِّمك أنك والجميع متألّبون ضده، متأمرون عليه، راغبون في تحطيمه، وسرقة نجاحاته، وتدمير بنيانه الذي بناه، وكأن لا هم للجميع سواه، يُهمِّمك أنه وحده الذي على حق، والجميع على باطل، يحرّم نفسه من الوقوف معها وقفة ندم صادق، ويستكثر على نفسه التلبُّس بفضيلة الاعتراف بالذنب، والرغبة في التوب، وطلب المغفرة، والعفو، والصفح، والتسامح من المولى جَلَّ في علاه، ثم من ولاة الأمر، ومن ارتكب خطأ بحق من الناس.

وهذا زوج عابث، لا يُقيم لزوجه قدراً، مهما قدمّت من خدمات وتضحيات، له، ولولده، ولبيته، ولأهل بيته، من والديه، وإخوته، وأخواته، وأقاربه، وضيوفه، يُحب أن تكون سُفرته عامرة بما لذ وطاب

من الطعام والشراب، ثم يُعير المسكينة بأنها دائمة الظهور بملابس المطبخ. يرغب في أن يكون أولاده متفوقون في دراستهم، لكنه لا يمدُّ يَدَ العون والمساعدة لزوجته، بتدريس هذا، أو التسميع لذلك، أو تبصير الثالث بكيفية أداء عمل فني، أو واجب مدرسي، أو غير ذلك، وفوق ذلك يُمطِّرها بأقذع الشتائم، وأسوأ السُّباب، إن جاء الأولاد بتقارير دراسية تُدلُّ على عدم تفوقهم، ويُقيم الدنيا ولا يُقعدُها، إن تعرَّض أحدهم لانخفاض معدله الدراسي، أما إن رسب أحدهم، فتلك طامة كبرى، وكارثة عظيمة، قد تُعاقب المسكينة زوجها عليها بالطلاق، ولا يهْمُ، إن كانت أمية، أو جاهلة، أو مشغولة، بسبب كثرة العيال، وزيادة الأعباء. إنه يُطالب بحقوقه، ولا يُفكِّر مُطلقاً في واجباته، يُعدُّ نفسه الرقم واحد، وغيره أصفار، يحسب أن الحياة تقوم على "الأخذ" فقط، ويتناسى أن هناك معنى آخر عظيم لكي ترجح كفتيها هو "العطاء".

لقد كرَّم الله تبارك وتعالى الإنسان، رجلاً كان أم امرأة، طفلاً كان، أم شاباً، أو كهلاً، غنياً، أم فقيراً، قوياً، أم ضعيفاً، ولذا فإن من حقه أن يثق في نفسه، وأن يعتزَّ بذاته، وقدراته، وإمكانياته، من حقه أن يحرِّص، كل الحرص، على أخذ حقوقه كاملة، غير منقوصة، وأن يطمح لتحقيق أرفع مكانة، ويطمع ليكون أعز شأواً في كلِّ مجال، وعلى كل المستويات، والأصعدة، لكن ليس من حقه أبداً الإفتئات على الحقائق، ولا تزييفها، ولا القفز على الأدلة، والقرائن، والحجج، والبراهين، ليس من حقه إساءة الظن بالآخرين، ولا استغلالهم، ولا تناسي أفضالهم، ولا التعدي على أقدارهم، ولا مطالبتهم بما لا تطيقه أنفسهم، ولا ما تحتمله قدراتهم وإمكانياتهم، ليس من حقه أن يكون أنانياً، مُحبباً

لنفسه، وحدها، ليس من حقه أن يرتقي على أكتاف الآخرين، ولا أن يكسب، ليخسروا، ولا أن ينجح، ليفشلوا، ولا أن يكبر، ليصغروا، ولا أن يتقدم، ليتأخروا، بل عليه أن يكون مُحِبًّا للخير لنفسه، ولغيره، يكسب، ويعمل على أن يكسب من حوله، ينجح، ويعمل على أن يُحقِّق النجاح غيره، يربح، ويربِّح، يأخذ، ويُعطي، يكون مرة مديناً، وفي الأخرى دائماً، وبهذا تستقيم حياته، وينال قبول ورضا من حوله، بعد رضاه عن نفسه.



50



كم رصيدك؟



يُمَرُّ العام، وعندما نتذكر متى بدأ نشعُر وكأنه الأَمْس القريب، لكننا لا نُحْصِي ما أودعناه فيه من أعمال، بعضها حسنٌ، وكثيرٌ منها ربما يكون سيئاً.

ومثل تاجر، أو رجل أعمال حصيف، تُقْفَل على نفسك الأبواب، وتُبْعَد عنك كل مسببات الازعاج، وتُفَرَّد أوراقك، ودفاترك، بما فيها من الصفحات، واليوميات، ودفاتر الأستاذ المساعدة، والعامه، وموازين المراجعة، وتشرَع في إعداد كشف حساب ختامي لسنتك المنصرمة.

لكن محتويات الكشف تختلف عن تلك التي تُضَمُّها دفاتر التاجر، أو رجل الأعمال، فهي ليست العمليات المدينة، ولا الدائنة، وعناصره ليست النقد، ولا المدفوعات بالشيكات، وأوامر الدفع الأخرى، وهي بالتأكيد ليست السحوبات ببطاقات الصرف الآلي، أو الدفع عن طريق نقاط البيع، وشبكات التحويل، والسداد، ولا تلك التي تتم بموجب الشيكات، وأوامر الصرف، ولا بالبطاقات الائتمانية، ولا الذكية وغيرها.

الأصول فيه أو الموجودات ليست المدينون، ولا البضائع المحفوظة في المخازن، والمستودعات، ولا النقد المحفوظ في الصندوق، أو لدى البنوك، إنها ليست الأراضي، ولا العقارات، ولا الأسهم، ولا السندات، ولا شهادات الايداع، ولا الممتلكات من الذهب، والفضة، والمعادن النفيسة.

والخصوم فيه، أو المطلوبات ليست الدائنون، ولا رأس المال، أو حقوق الملكية، بمكوّناتها المختلفة، ولا الاحتياطات، ولا المخصصات المعمولة لمقابلة الخسائر المحتملة، على اختلاف أنواعها.

محتوياته مختلفة تماماً، ومن جنس آخر، أشياء أهم وأخطر مما

ذُكِرَ بعاليه، على أهميته، وغلاه على النفس، هي بالتحديد الحسنات والسيئات.. تلك المكتسبة من خلال الحفاظ على حقوق الله عز وجل، ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، أو من خلال التقصير في حقهما، المتأتية من طاعة الله جل وعز، ومن الائتمار بأوامره، والانتهاء والتوقُّف عند حدوده، ونواهيه، من الصلاة، والصيام، والصدقة، والذُّكر، والتسبيح، والحمد، وسائر الطاعات، أو المتأتية بسبب التقصير في ذلك، وغيره.

إنها تلك المكتسبة بأثر رضا الوالدين، أو نتيجة لعقوقهما، من الوفاء بحقوق الزوجة، والأولاد، أو بسبب تضييع تلك الحقوق، من الوفاء بما للأقارب والجيران والأصدقاء والزملاء وعامة الناس من حقوق أو نتيجة لإهمالها وغض الطرف عنها.

وهي تلك المكتسبة من إحسان معاملة الآخرين، أو الإساءة إليهم، من العدل في حقوق الآخرين، أو نتيجة لظلمهم، والجور عليهم، من أكل حقوق المجتمعات، والضعفاء من الناس بالباطل، كاليتامى، والأيتامى أو حفظها وصيانتها، من أداء الأمانات لأهلها، أو تضييعها، من استغلال الأوقات والأعمار فيما يفيد، أو هدرها، وتضييعها على ما لا ينفع.

وبالجملة من أتباع هدى الله جل وعلا، ونبيه صلى الله عليه وسلم، أو من مخالفته لما جاء في هداياتهما.

إن الرصيد فيه لا يُقَدَّر بالريال، ولا بالدرهم، ولا بالدينار ولا حتى بالدولار، أو باليورو، أو الين، بل يُقَدَّر برضا الله جلَّت قدرته،



أَوْ بَسَخَطَهُ، بِمَا بَقِيَ فِي السَّجَلَاتِ مِنْ حَسَنَاتٍ، أَوْ مَا اِمْتَلَأَتْ بِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ، مِنْ أَعْمَالٍ طَيِّبَةٍ، أَوْ رَدِيئَةٍ، خَبِيثَةٍ.

فَهَلَا اسْتَقَلَّ كُلًّا مِنْهَا مَا بَقِيَ فِي عَمْرِهِ مِنْ ثَوَانٍ، وَدَقَائِقٍ، وَسَاعَاتٍ، مَعْدُودَاتٍ، مِنْ كُلِّ عَامٍ يَتَّحِ لَه عَيْشُهُ لِمَسَاءَلَةِ نَفْسِهِ قَبْلَ رَحِيلِهِ: كَمْ رَصِيدِي؟

هَلَا جَلَسَ كَلًّا مِنْهَا إِلَى نَفْسِهِ فِي لِحْظَةِ هَدْوٍ، وَأَعْمَلَ الْفُكْرَ فِي قَوْلِ الْفَارُوقِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزَنُّوْهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا"!؟

هَلَا وَجَهْنَا مِنْ نَعُولٍ، وَنَرَعَى، إِلَى مِمَارَسَةِ هَذِهِ الْعَادَةِ الْحَمِيدَةِ؟

ثُمَّ مَاذَا كَانَتِ النَّتِيجَةُ؟

هَلْ كَانَ الرَّصِيدُ دَائِنًا، أَمْ مَدِينًا؟

هَلْ رَجَحَتِ كِفَّةُ الْحَسَنَاتِ عَلَى كِفَّةِ السَّيِّئَاتِ؟

هَلْ نَعْتَقِدُ أَنَّ أَعْمَالَنَا سَتَأْخِذُنَا بِحَوْلِ اللَّهِ، وَقُوَّتِهِ، وَوَفْقِ رَحْمَتِهِ، وَمَشِيئَتِهِ جَلَّ وَعَزَّ، إِلَى الْجَنَّةِ، بِمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ دَائِمٍ، وَحُسْنِ مَصِيرٍ، أَمْ إِلَى النَّارِ، بِمَا فِيهَا مِنْ حَرٍّ وَقَرٍّ، وَبُؤْسِ مَصِيرٍ؟

الرَّسَالَةُ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزَنُّوْهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا!!



51



على ماذا أسدل الستار؟



البعض منا سيودّع أي عام توشك شموسه على المغيب، ونجومه على الأفول، بإقامة الحفلات الصاخبة، بدلاً من اقتطاع جزء من وقته لمحاسبة النفس، ونقد الذات، وتقرّيعها على ما بدر منها، من تقصير وخلل، خلال العام المنصرّم، والعزم على التوبة النصوح، وتدارك ما فات، وإحسان العمل، فيما بقي، وإحسان التخطيط لذلك.

ولن يكتفي هؤلاء بذلك، بل سيدعون إلى تلك الحفلات الأقرباء، والأصدقاء، والزملاء، تقليداً لعادة جاهلية مستوردة من الغرب بدأت تشيع بين كثير من أبناء وبنات المسلمين منذ فترة، وخلالها يتم تبادل الأنخاب، وممارسة الرقص المُختلّط، وغير المختلط، وعندما تخبو الأنوار مُعلّنة رحيل عام، وبداية آخر، يتم تبادل التهاني، والتبريكات، والقُبلات الحارة، غير البريئة، ثم تنبلج الأنوار مرة أخرى، وسط تعالي الصيحات والضحكات، ضحكات زائفة، ليست نابعة من القلب، ولا تعكس تفاعلاً بأن العام الجديد سيكون خيراً، وأن ستكون هنالك نجاحات جديدة، ومزيد من الفرص للترقي والنمو.

ولا اعتراض على أن يدعو الإنسان من يشاء، ويصحب من يشاء، ويحتفل مع من يشاء، ولكن: أهكذا يبدأ الإنسان المسلم مرحلة جديدة من عمره؟! وهل هذه هي الوسيلة المثلى للتعبير عن الأمل في الغد والإيمان بالمستقبل؟!!

وأنا لا أدري عما إذا كان قد استفاد كلاً منا من ظاهرة تعاقب الليل والنهار، وانتهاء يوم وابتداء آخر، ومرور عام وقدم عام.. لكني أدري أن كثيرين يُعدُّون ذلك ميزة، لأن أعمارهم تزداد، وتجاربهم

في الحياة تنضج، ومعارفهم تزداد مع تزايد الأيام، ومَرَّ الأعوام، ولا يَأْبهون بالحصاد.

الحياة رحلة، هكذا كانت، وهكذا ستظل، لكن الحقيقة المؤلمة أن أرصدتنا في بنك العمر تنقص، كلما مَرَّ من حياتنا ثانية، أو دقيقة، أو ساعة، أو يوم، أو أسبوع، أو شهر، أو سنة.. والأسئلة التي سنظل نطرحها: هل استنفذنا أوقاتنا لتحقيق المطلوب منا؟ إلى أين الوجهة؟ هل إلى جنة أم إلى نار؟! هل أعددنا للدرب عُدَّتْه؟! هل تزوّدنا للدرب بالزاد الملائم لطوله والمشاق المنتظرة خلال السير فيه؟

وفي هذا العالم المتسارعة أحداثه أصبح التغيير هو الأمر الثابت في حياة كثير من الناس بينما الاستقرار أمر مؤقت.. ولذا بات من المهم جداً أن يستغل الإنسان جزءاً من وقته، لا سيما بدايات أيام العام للتخطيط للغد، لكن بشرط أن لا يُغرَّق في التخطيط للعيش في المدينة الفاضلة، مدينة الأحلام التي لا يسود فيها إلا الرخاء والاستقرار، لا بد أن نعيش الواقع ونواجهه صاحين لأبعاده، ومتغيراته، عازمين على التعاطي مع وقائعه وأحداثه بواقعية، لا تخلو من حلم، لكنها لا تنطلق من افتراضات مثالية، وغير عملية، ولا قابلة للتطبيق على أرض الواقع.

وبالرغم من الحقيقة المتمثلة في أنها تُذهلنا متاعب الحياة عن أعز ما نملك أحياناً، ويبعد بنا السير في مناكبها عن كثير مما يتوجب علينا فعله، وفيه راحتنا، وسعادتنا، وخلصنا.. وبالرغم من ضآلة معرفتي بمبادئ محاسبة النفس، فضلاً عن فهم وإتقان أبجديات الربح والخسارة، أجدني لا أشك في أهمية أن نجلس مع أنفسنا جلسات صدق، نكون فيها صرحاء، وأكثر شفافية، وصدقاً، فنُحدّد معالم الطريق.. لنحاسب أنفسنا محاسبة شاملة لكل مجالات الحياة التي نحيها، وترتبط بها حياتنا.

من المهم جداً مع مطلع أي عام جديد لمن أحصى الخسائر أن يُحصى الأرباح، وإلا سيكون ظالماً لنفسه، ولمن حوله، وللحقيقة نفسها، ومن تجربتي البسيطة أجدنا نقسو على أنفسنا في كثير من الأحيان، فنذكر سيئاتنا، ولا نلتفت لما لنا من حسنات، لكن كلنا يعلم أن الحياة ليست ربحاً صرفاً، ولا خسارة صرفاً، وإنما هي شئ بين هذا وذاك.

تنقضي أيام السنة، لكن لا بد أن أجزاء كثيرة منها أنفقت في عمل الطاعات على اختلاف أنواعها، وألوانها، والمشاعر مُني بعضها بعدم القبول، لكن بالمقابل كم هم الناس الذين يدخرون لنا حياً، فقط لو أحسنا البحث والنظر، والوفاء ضاع عند البعض، لكنه موجود بوفرة عند آخرين، ممن تربطهم بنا أواصر القربى، والصداقة، والزمانة، لكننا تغافلنا عنهم، لسبب أو لآخر، والصدق فشلت كثير من الأنفس التي ترتبط بها في تمثله، لكن بالمقابل يعيش غير بعيد عنا من تقطر أقوالهم وأفعالهم صدقاً، وحقاً، فقط لا نراهم، لأننا أسدلنا دونهم الحُجب.

في اعتقادي أن غالبيتنا يفعلون الأمر من الأمور عندما يفعلونه، ويطبّقون فيه كل مراحل قانون الزراعة الذي تعلمنا أسسه، ثم عندما يأتي أوان الحصاد، لا يكون كما تمنوا، يبذرون البذور، ويحراثون ويسقون، ثم لما يستوي الزرع، ويأتي وقت الحصاد، والقطف، يكتشف الإنسان أنه زرع شعيراً، بينما كان يتوقع أن تكون الثمرة قمحاً.

وهذا بالفعل كائن لأن غالبيتنا لا يُطبّقون الأسلوب العملي من المحاسبة، وهو أن يعرف الإنسان ليس النهاية فقط قبل أن يبدأ، ولكن أن يعرف ما إذا كانت حسنة، أم سيئة، كما يتمنى ويروم، أم عكس ذلك.

لنُجرب منذ اللحظة أن نُطبِّق هذه القاعدة الثمينة فهي مما يحسن بنا تعلمه في مطلع أي عام، فقيمة الإنسان بأفعاله وعلمه، ولكي يحيا الإنسان حياة طيبة مباركة، وكجزء من محاسبة النفس إذا علم الإنسان أن من أسباب مشاكله نقص الإيمان عنده، فليعمل على زيادته، بعمل الطاعات، وتجنب عمل المعاصي، وإذا توصل إلى أن علاقته بوالديه يشوبها الفتور، فليعلم أن هناك وسائل عملية كثيرة لإثراء هذه العلاقة، وكذا الأمر إن كان هناك إخفاق في تأسيس علاقة طيبة بالزوج، أو الزوجة، أو الأولاد، أو الأصدقاء، أو الزملاء، وليعلم أن الأمر ليس بمستحيل، بل هو قابل للحل، وأنه قد ينجح، إذا أفلح في عمل بعض الأفعال البسيطة، التي تُحبب الناس إليه، وتُرغبهم فيه، مهما كانت درجة قربهم، أو بعدهم عنه.

من المفيد جداً أن يُفكّر كلاً منا من آن إلى آخر فيما يحتاج إلى تعلّمه، من معارف، وعلوم، وفنون، فيتعلّمها، ويتدرب عليها بنية إعلاء شأن دين الله الحق، ونشر الرسالة المحمدية المباركة إلى أصقاع الدنيا، والنهوض بهذه الأمة العزيزة المباركة، مما هي واقعة فيه من تشرذم وتخلف، ثم وبعد العلم يأتي الأمر الأهم وهو الفعل، والتطبيق، والعمل، فلا أهمية لما يتعلم الإنسان، ما لم يضعه موضع التنفيذ، ويُطبِّقه في أرض الواقع، كما أننا تعلمنا بالتجربة أن ما لم نطبِّقه من معارفنا وعلومنا ماله الضياع، والفقدان، والنسيان، فليحترق كلاً منا في تعلّم ما يفيد، والاشتغال بما يعود على الدين والأمة بالنفع، والفائدة، وأن يكون ذلك وفق استراتيجية واضحة فيها الأهداف، والمبادئ، والوسائل، وطرائق التنفيذ.

لينتبه كلاً منا وهو يُخطِّط للغد القادم، أن لا يُخطِّط للوصول إلى أماكن يستحيل إيجادها في الواقع، بل يصرف جهوده، وطاقاته



في الانطلاق إلى الغايات التي تجعل الحياة تستمر بروح السعادة، والإنجاز، وتحقيق الذات.

لنضع الخُطط التي تساعدنا على التغلب على المصاعب، والاستفادة من الفرص السانحة لجعل حياتنا إلى الالتزام بمنهج الله تعالى أقرب، وسيرنا على هداه الأُصوب، ونفع أنفسنا، وأهلينا، وأمتنا، التي هي اليوم أشد ما تكون حاجة إلى جهود سواعد وعقول أولادها، وعرق جباههم، الذي لا يجف، وبروق أفكارهم، التي لا تبلى، ولا تخلق.

لنُحاسب أنفسنا، قبل أن نُحاسب، ونزنها، قبل أن توزن، ومن بوادر المحاسبة التي يمكن أن يُحدثها الإنسان لنفسه العزم فيما بقي من العمر على صرفه في رضا الله جل وعلا، في الإقبال على مائدة القرآن الكريم، تلاوة، وتدبراً، وحفظاً، وتفسيراً، وتطبيقاً، في إقامة الصلاة، لا مجرد أداءها، أداءً خالياً من الخشوع، والخضوع، والطمأنينة، والتذلل لله جل جلاله، في حُب الجار، في حفظ عُرُض الأخ المسلم، في التعامل مع الجميع بصراحة وصدق، في النطق بالحق، وعدم شهادة الزور، في تجنب السُّباب، والشتم، واللعن، والشُّقاق والنفاق، وسوء الأخلاق، في تجنب ممارسة الغيبة، والنميمة، في تجنب التلبُّس بالضعيفة، والحقد، والحسد، والطمع، والجشع، والجور، والظلم، في الرضا بما قسم الله تعالى، وتجنب الاتصاف بالكنود، الذي يُعدُّ المصائب، وينسى، ويتناسى نِعَم الله التي أنعم بها عليه.

إن من أبرز محاور المحاسبة أيضاً أن يبذل كلاً منا أقصى طاقاته للاستفادة من يومه، من كل ثوانيه، ودقائقه وساعاته، وقديماً قيل: العاق ليومه من أذهبه في غير حق قضاء، أو فرض أدّاه، أو مجد شَيْده، أو حَمَد حصَّله، أو عِلْم تعلَّمه، أو قرابة وصلها، أو خير أسداه.

ومن محاسبة الذات أن يسعى الإنسان إلى تعلُّم مهارات وعادات جديدة، يُثري بها حياته، ويُفَعِّل من خلالها وجوده في هذه الحياة.

القراءة وسيلة تتيح للإنسان تجاوز حدود الزمان، والمكان، وتصقِّل عقله بتجارب السابقين، والمعاصرين، وما توصلوا إليه من علوم، وفنون، ومعارف.. وتعلُّم فن الإصغاء متعة لا تُحَدُّ بِحَدٍّ، ومهارة يحتاجها كل حي، لإتقان فن التعامل مع من حوله.

والمسامحة، وإطراح كثرة لوم الناس، وعتابهم، مع إغرابة كل نَفْس عادة محمودة العواقب، وفن ينبغي إتقانه من كل حي، حتى تزكو نفسه، ويهنأ باله، ويعيش الحياة سعيداً.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: "يا ابن آدم، بسَّطت لك صحيفتك، ووكَّل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت.. أقلل أو أكثر، حتى إذا مَّت طويت صحيفتك فجُعِّلت في عُنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة كتاباً تلقاه منشوراً، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك".

يقول أحد أهل العلم أن محاسبة النفس نوعان: نوع قبل العمل، ونوع بعده، والنوع الذي قبله يتمثل في أن يقف الإنسان عند أول همِّه وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه، أما النوع الذي بعد العمل فيتمثل بالمحاسبة على طاعة قصَّر في أدائها، وعلى كل عمل كان تركه خيراً من فعله، وعلى نيته عند مقارفة كل أمر مباح، وهل أراد به الله والدار الآخرة الباقية، أم أراد به الدنيا الفانية؟!

لنحاول كجزء من محاسبة أنفسنا أن نقوم بأي دور فيه حلُّ

لمشكلاتنا، ومشكلات أمتنا الإسلامية المباركة.. ويكون ذلك من خلال زيادة مسؤولياتنا عن سلوكياتنا الفردية، بأن نُصبح جزءاً من الحل، بدلاً من أن نكون جزءاً من تلك المشكلات.

لا نُغلب الرغبة في تحسين ظروفنا، وأحوالنا الاقتصادية، على ترابطنا الأسري، ومن خلال ممارسة الأدوار الحقيقية للأبوة والأمومة.

نهتم بصحتنا، بدلاً من انتظار أن تقوم بذلك حكوماتنا، أو المؤسسات، والهيئات التي ننتمي لها، نمارس الرياضة، ونقتصد في الأكل، والشرب، ونتعلم عادات غذائية صحية وصحيحة.. الذي يسهر منا بدون فائدة يُقلل من هذه العادة السيئة، والمدخن يُكف عن التدخين، وكذا المتعاطي لما حرم الله من مسكرات وخبور ومخدرات.. المريض يطلب العلاج، والمتهور في قيادة السيارة يُكف عن ذلك ويمشي الهوينا.

ليُرَكِّز كلاً منا على ما ينفع دينه، وأمه، ووطنه، وأهله، ولا يكتفي فقط بتحقيق مصلحته الشخصية، يفعل ما بوسعه لتربية أولاده، وتعليمهم القيم، والمثل الأخلاقية الرفيعة، والعلوم، والمهارات التي تحتاجها أوطانهم، كي تزدهر وتنمو.. ليرفع مناسب وعيهم، حول ما تمرُّ به الأمة من محن، نحتاج معها إلى العودة إلى الله تبارك وتعالى، والعمل بجِد، وإخلاص، وتفان، لنعلمهم كيف يعاملوا الآخرين باحترام وتقدير.

لنساهم في عمل الخير، وأداء الأعمال التطوعية، ونفع أهلنا، وذوينا، ومجتمعنا، في أحوال الرخاء، وعندما تحلُّ بهم الأزمات، والنكبات، وتعصفُّ بهم العواصف، لنبتهل إلى الله تعالى أن يحفظهم من كل سوء، وأن يُعينهم على تجاوز ما يحلُّ بهم من محن ومصائب..

لا نبخل عليهم بالكلمة الرشيدة، ولا بالرأي السديد.. نُساعدهم في قضاء أوقاتهم فيما ينفع، ويفيد، ويُعلي شأنهم، على وجه الخصوص، وشأن الدين والأمة، أولاً، وآخرًا.

التخفيف من استهلاك الخدمات المتاحة، وحفظ النعم التي مَنَّ الله تعالى بها على الإنسان، من مأكَل، ومشرب، وملبس، ومسكن، وسيارة، وكهرباء، وهاتف، وغير ذلك، مما لا يُعد ولا يُحصى من قبلنا، أمر محمود، وعواقبه حسنة، فالإي جانب كونه شكرًا لله جل وعلا، ففيه أيضاً حفظاً لهذه النعم من الهدر، وحفظاً للمكتسبات الشخصية من الضياع، وصيانة للنفس مما يمكن أن تلحقه بها شراسة العوز، وذُل الحاجة، وقهر الفقر، وهي فرصة للخروج من عنق الزجاجة هذا، والضيق الذي قد يجد الإنسان نفسه قابضةً فيه، مع مطلع كل فجر، بسبب قلة ذات اليد، وعدم توازن الموازنة الخاصة بأسرته، وزيادة المصروفات على الإيرادات.

إن من سُبُل محاسبة النفس الحفاظ على الممتلكات الخاصة، والعامة، وأن لا تكون مجالاً للإتلاف، والتضييع، مثلاً ليتذكر المتهور في قيادة السيارة ما يمكن أن يجره عليه تهوره من آثار بعدما يحصل له حادث، إذ يغدو نهياً للطامعين بماله، في غالب محلات الصيانة، وقطع الغيار، إضافة إلى حاجته إلى إيجاد بديل للتنقل، إما خاص، وإما عام... إلخ، وليتذكر من يقوم بتحطيم إشارة مرورية، أو مرافق، ومقتنيات حديقة عامة، أو مبنى حكومي، أو سرقة كتاب من مكتبة عامة، أو غير ذلك، ما تُسببه فعلته من حرمان الآخرين، كان يمكن أن يستفيدوا من تلك الإمكانيات.

ومن الوسائل الناجعة لمحاسبة النفس المبادرة إلى تسديد ما على الإنسان من مخالفات، وقروض، وغرامات، فالإي جانب البُعد التربوي

المنبثقة عنها، والميل إلى الفعل الصحيح مستقبلاً، فهي حق لعامة الناس، وأصبحت تشكّل مورداً لا يُستهان به في تطوير الخدمات المتاحة لهم، وإضافة أشياء جديدة يحتاجونها. إننا نسمع عن كثير ممن لم يسددوا أقساط القروض المعطاة لهم من صندوق التنمية العقارية، على سبيل المثال، فماذا كانت النتيجة؟ طالبت فترة الانتظار على المستفيدين الجدد، بشكل لم يُعد مقبولاً، لأنه ساهم في إحجام كثير من الناس عن الزواج، وتكوين الأسر إذا أخذ بالاعتبار تزايد الغلاء في إيجارات المساكن، وهكذا الخدمات التي تقدمها جهات أخرى مثل البلدية أو المرور... إلخ تُعدُّ بائسة أحياناً بسبب شح الموارد المتاحة لتوظيفها في تجديد الخدمات، وتطويرها، واستحداث خدمات جديدة، وشراء معدات، وأجهزة متطورة، وعمل منشآت، ومبانٍ جيدة، وتوظيف كوادر بشرية، قادرة على تقديم الخدمات المرتقبة.

الامتناع عن دفع الرشوة لأي عامل، أو موظف، أساس من أسس المحاسبة التي يُمكن أن يجريها الإنسان لنفسه، مع مطلع أي عام جديد، ومهما كان مبلغها صغيراً، وزهيداً، فإن في عدم دفعها حفاظاً على مصالح عامة الناس، القوي منهم، والضعيف، الموسر، والمعسر، وفيه أيضاً ضماناً بإذن الله تعالى لأن يستفيد بمساواة، وعدل، كل طالبي الخدمات، أو المنتجات التي يُقدّمها هؤلاء.

لنتعلم ادخار ولو قليل من دخولنا الشهرية، والسنوية، فيما يعود علينا بالنفع، وقت الأزمات، والشدة، ولنطلب من زوجاتنا، وأولادنا مساعدتنا على ذلك، ونُذكي في أنفسهم هذه المزية الطيبة، التي تُعدُّ سمة من سمات التحضر، والرقي، بعد أن أصبح المال يُعدُّ عصب الحياة، وشريانها الرئيسي.

التعاون مع الجهات الأمنية، والمختصة، والإبلاغ عن المخالفات،

والمخاطر التي يمكن أن تحيق بالبلاد، والعباد، أمر في غاية الأهمية، وفيه مصلحة لجميع القاطنين على تراب الوطن، إذ مؤخراً كثر العابثون بأمن الأوطان، وكثر المستهدفون لأبرز مقدراتها، وثرواتها، وخيراتها، وحق على الجميع أن يساهم، كلاً بقدره، في الجهود المبذولة، للكشف عن المخططات الشريرة للمجرمين، وأحابيلهم الشيطانية، وفضح أفعالهم الخبيثة، حتى يُعلم أمرهم، ويتم اجتثاث آثار الشر من نفوسهم، وإصلاحهم، وإن لزم الأمر معاقبتهم بما يتسحقون على أفعالهم السيئة الضارة التي بدرت منهم، وبهذا نضمن بإذن الله تعالى حياة أهنأ، وعيش أسعد.

لنكن أكثر تفاؤلاً بتحقق غدٍ مشرق، وحاضرٍ سعيد، لنا ولأولادنا، وذوينا وجميع بني وطننا، وأمتنا، ولا نستسلم أبداً للضغوط، التي قد نتعرض لها، ولا نياس أبداً، ولا نقنط من عفو الله ورحمته، وليصحب هذا التفاؤل عمل دعوب، وجّد، واجتهاد، وإخلاص، ومثابرة، وصبر، مستمرين حتى تُنال الأهداف المرسومة، وتتحقق الخطط المرسومة.

لنتعلم التحلي بفضائل الأناة، والجلم، والصبر، والتواضع، فهي خصال حميدة، وخال راقية، تُكسب المتحلي بها قبولاً عند الله جلت قدرته، وعز في علاه، وعند بني البشر، ممن يتاح له التعامل معهم، والاحتكاك بهم.. لنبتعد عن التقليد الأعمى، ولتكن قراراتنا متفردّة، ومدروسة، وأهدافنا مرسومة، وواضحة المعالم، وليسندها رصيد من العمل الطموح، المنضبط بضوابط الإخلاص، والتفاني، بغية مرضاة الله تعالى، وتحقيق النفع لعامة الناس.

لنُحَيِّ أخواتنا، وإخواننا، ونهش في وجوههم، ونبش إذا قابلناهم، أو تعاملنا معهم، سواء منهم من عرفنا، أو من لم نعرف.. نبتسم في وجوههم، فذلك صدقة لنا، وعامل راحة، واطمئنان، ورضا لنا

ولهم.. ولشجّع من ولانا الله أمر قيادته وتوجيهه، ولتذكي في أنفسهم الحماس على ارتياد معالي الأمور، حتى يُخرّجوا أفضل ما لديهم، من مهارات، وقدرات، كفيلة بإذن الله تعالى، بجعل عطاءاتهم أكبر، وإنجازاتهم أرقى، وأفضل.

لنبتعد عن الغضب فهو قتال للصحة الشخصية، ومدمّر للعلاقات الإنسانية، تتنافر بسببه القلوب، وتنشأ على أثره الضغائن، والأحقاد، والمعارك، والحروب، وقد يدخل الإنسان بسببه في مشاكل لا قبل له بمواجهتها، وقد توصله إلى نتائج لا تُحمد عقباها، ولم تكن مستهدفة أحياناً.

لنجعل مطلع أي عام جديد فرصة لتفقّد العلاقات بيننا، كأفراد أسرة، والدين وزوجة، وإخوة، وأولاد، وأحفاد، وأقارب، نعمل على تحسينها، وتذكي شُعلة الحب الذي خبا في رداء بعضها، ولا ننسى صلة أرحامنا، وتفقد أقاربنا، لا سيما ذوي الحاجة منهم، نستعيد علائق اندرست، ونُفعل، ونوثق أخرى استجدت، فقد كثرت بحمد الله تعالى وسائل الاتصال، وسهّل على الكثيرين منا بحمد الله مواساة الآخرين، وجبر كسور قلوبهم، بما تيسر من مال صدقة، أو زكاة، أو غيرهما.. لنتقي الكلمة الطيبة، ولنتخير العبارة الصادقة، ولا نُهمّل الفعل الحسن، فمن أجلى صفات المؤمن، وأظهر ميزاته، أنه جواد كريم.

إن توخي الصبر، والتلبّس بالأمل، واستخدام آلية التخطيط، والاستزادة من إتقان آليات التعامل مع بني البشر، من كان منهم طيباً، ومن كان صعب المراس، والتعلّم من التجارب، واعتبارها دروس لا فواجع، كل ذلك، وغيره، مما يُعدّ شبيهاً به، كفيل بإذن الله تعالى، ومع التوكل عليه، أن يُسهّم في أن يصل الإنسان إلي بر الأمان.

ومهما كانت الصعوبات، والتحديات التي يواجهها الإنسان، ومهما كانت العقبات التي تقف في طريقه، ومهما بلغ به الأمر سقوطاً في مصيدة اليأس، والتشاؤم، شكاً في الوصول إلى السعادة الحقة، فإن عليه مع مطلع كل عام محاولة الإجابة بصدق على عدة أسئلة، قد تجلب إليه النجاح والتفاؤل والرضا عن النفس كما قال المفكر توم ردل، خمسة أسئلة لرحلة الحياة هي:

- أين أنا الآن، وأين أريد أن أكون؟

- من أختار أن أكون خلال هذه الرحلة؟

- ماذا احتاج لأصل إلي نهاية الرحلة؟

- كيف أخطط لمنهج تعليم نفسي؟

- متى أعرف أنني وصلت؟

لنسأل أنفسنا هذه الأسئلة، التي يتوقف عليها الوصول إلى النجاح الحقيقي، ولنحاول بصدق الإجابة عليها، حتى نعيش حياة ملؤها الحب، والسعادة، والرضا الحقيقيين.

ومن المهم جداً، وضع هذه التساؤلات موضع التنفيذ، والإجابة عليها بأمانة، وصدق، ثم الشروع في العمل الجاد المخلص لتنفيذها.

وقفنا الله وإياكم لكل خير وصرف عنا الشر كله.



52



أبداً لا تستسلم



الفرق بين كلمتي منتصّر، ومنكسرّ، طفيف في التركيب، لكنه عميق في المعنى، والمدلول.

وفي الزمان الغابر كان الاستقرار هو عامل الثبات، أما الآن فالتغيّر هو عنصر الثبات، الذي يسمّ الأشياء، والأشخاص والأفكار، فاذا فهمت هذا، فلا تستسلم أبداً.

تُحاول أن تستشرف آفاق المستقبل، بدقة، وبمهارة فائقة تُخطّط لحياتك، ولكنك لا تفوز بنيل مبتغاك، فلا تيأس، ولا تستسلم أبداً.

وتُنظّم إمكانياتك المادية، والمعنوية، وتُرتّب جهودك، التي ترى أنها لازمة للنجاح في هذه المهمة، أو تلك، ثم لا تلبث أن تُصاب بخيبة أمل، جراء أمور لم تتوقعها، ومعادلات لم تحسب لها حساباً، فلا تيأس، ولا تستسلم أبداً.

تبذل جهداً وثيراً لتربية ولدك، ثم يشب على غير ما علّمته، ويتخلّق بأخلاق وأطباع عكس ما فهّمته، ينشأ عاقلاً لك، وللمجتمع، وناكراً لجميلكما، فاصبر، وتحمل، وعاود الجهد، مرات، ومرات، وادع الله في التوفيق، والصلاح، ولا تيأس، ولا تستسلم أبداً.

تتفانى في أداء المهام المطلوب منك إنجازها في عملك، وتُخلص لتنفيذها، ثم تُعمّط حقوقك، من كلمات الشكر، والتشجيع، فضلاً عن العلاوات، والمكافآت، والترقيات، وتحمل المسؤوليات الأهم، التي تتكافأ مع قدراتك، وطاقاتك، فلا تيأس، ولا تستسلم أبداً.

تُقدّم كل ما تملك، أملاً في إسعاد نصفك الآخر، ثم لا تلقى إلا الجحود، ونكران الصنيع، والجميل، فلا تيأس، ولا تستسلم أبداً.

تكون صديق شدة لصديقك، فتشُد من أزره، عندما حلكت حوله

الظلمة، وترفع من همته، وعزيمته عندما ادلهمت حوله الخطوب، ثم لما يُفرج الله عنه الهم، ويرفع عنه الكرب، ينسى المعروف، ويُنكر الجميل، بل أقسى من ذلك ربما يتحول إلى معادٍ، وسهمٍ في حلقك، بدلاً من أن يكون وفيّاً، حافظاً للمعروف، والود، على أقل تقدير، فلا تياس، ولا تستسلم أبداً.

تقدّم خبرتك بصدق، ورضا، وتجردٌ لزميل مُتدربٍ، ثم عندما يتشرب أسرار العمل، ويتعلم فن تحمّل المسؤوليات، ينسى فضلك، ويغمطك حقك، وربما تتاح له الفرصة لقيادتك، كأثر لتفوق، أو إعمالاً لسطوة واسطة، فيقسو عليك، ويحاول إذلالك، وإهانتك، أنت الذي لم تدخّر وسعاً في منحه الثقة، وتزويده بالخبرة التي لديك، فلا تياس، ولا تستسلم أبداً.

تكفل مُعسراً، أو تعطيه مبلغاً من المال، يستعين به على قضاء حوائجه، فيعدّك بإرجاع مالك عاجلاً، ثم يتأخر عن دفع ما عليه، فتضطر إلى التسديد نيابة عنه، أو تُسجّن، إن كنت غير قادرٍ على الوفاء، أو يضيع حقك، وأهم من ذلك قد يجرمك تصرفه الأرعن من حُب فعل الخير، وتندّم ولاة حين مندم، فلا تياس، ولا تستسلم أبداً.. وفقك الله وأعانك.

إفهم.. الحياة كأفضل ما يُقال عنها أنها لا تخلو من بعض المصاعب، والمتاعب، وهي في واقع الأمر بلاء، واختبار، من وفقّ فيها للإننتصار على ضعف نفسه، وشهواتها، وعلى هواه، فقد وفقّ إلى خير كثير، وفاز في دنياه، وقدم ما قد يُنجّيه الله تعالى به من عذابه الأليم.

أما من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، وجرّع، ولم يصبر على أتعابها، ومشاقّها، فربما تأخذه أقداره إلى ما لا تُحمد عقباه.

فإذا عزمتم فتوكل على الله، واصبر فإن مع الصبر يأتي النصر،  
بإذن الله تعالى.

تم بحمد الله وفضله.

## التواصل مع الكاتب:

الجوال / +966 504161887

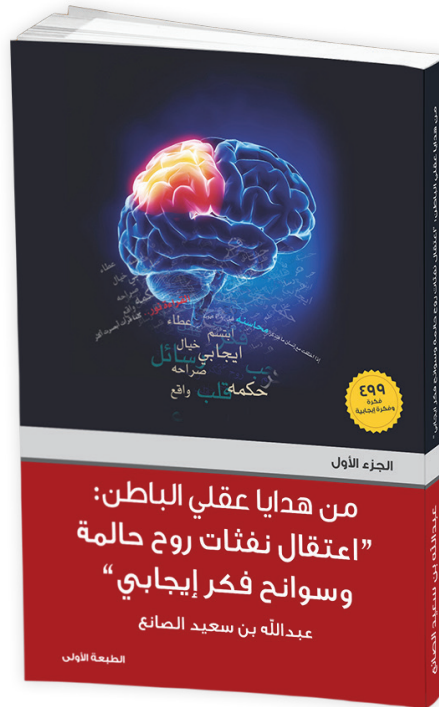
البريد الإلكتروني / Saker1962@gmail.com

فايس بوك (عبدالله الصانع) / @alsane\_abdullah

تويتر (عبدالله سعيد الصانع) / @alsane\_abdullah

# من إصدارات الكاتب

من هدايا عقلي الباطن:  
”اعتقال نفثات روح حالمة  
وسوانح فكر إيجابي“  
(الجزء الأول)





نسخة مهداة إلى:

---

---

---